الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتاب: **لَيث الأوَّل** مَلِكُ إنجلترا المَجْهُول

المؤلف: **وليد بن أحمد الشعلان**

التصنيف: **رواية**

الناشر: **دار مدارك للنشر**

الطبعة الأولى: أكتوبر (تشرين الأول) 2016

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 614 - 429 - 916 - 6

رقم إذن الطباعة: 143910

**صورة الغلاف:**

- تصوير المصور الكبير الأستاذ/ حسين الدغريري.
- خط العنوان الخطاط الكبير الأستاذ/ فهد المجحدي.

**الرسومات داخل الكتاب:**

الرسومات داخل الكتاب هي إعادة تجسيد لرسومات تاريخية شهيرة يعود تاريخ بعضها لأكثر من 700 عام.

جميع الرسومات هي من إبداع الرسامة المبدعة/ روان أحمد الشعلان.

تصميم وإخراج: **مكتوم السعيدي**

maktoomalsaidi@gmail.com

Madarek Publishing House

مدارك

دار مدارك للنشر

مجمع الذهب والألماس، شارع الشيخ زايد، بناية رقم 3، مكتب رقم 3226، دبي - الإمارات العربية المتحدة

Gold and Diamond park, Sheikh Zayed Road, Bldg 3 Office 3226, Dubai - United Arab Emirates

P.O.Box: 333577, Dubai - UAE. Tel:+966 1145 41148 Fax: +971 4 380 5977

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ **مدارك**. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من **مدارك**.

mdrek.com read@mdrek.com DarMadarek

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليد بن أحمد الشعلان

Telegram:@mbooks90

# لَيث الأوَّل

## مَلِكُ إنجلترا المَجْهُول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المقدمة

يَتفقُ أغلَب العُلمَاء على أنَّ عُمرَ الأرْض لا يقلُ عَن أربعة مِليارَات عَام. وأنَّ الإنسانَ لَم يَبدأ قِصتَهُ على هذا الكَوكَب الهَرِم إلا قَبلَ مَا يُقارِب الخَمسينَ ألفَ عَام. لِذا، مَهمَا تَصوَّرَ البَشرُ أنَّ حكَايَاتهم والأحدَاث التي مَرَّت عَليهم على مَتنِ هذا الكَوكَب كَانت مُتباعِدةً زَمنياً، فهيَ تَظلُّ في حَقيقَة الأمرِ مُتقارِبَةً حينَ تُقارَنُ بِعُمرِه. فالأرضُ تَذكرُ الإنسانَ على مَتنِها تماماً كما يَذكُر شَابٌ بَلغَ الثلاثينَ عَاماً أمرَاً حَدَثَ مُنذُ أسبوعَين فَقط!

بَعضُ القِصص قَد تَحوي فُصولاً مُتباينَةً زمنياً وتَضُمُّ شُخوصَاً عَاشُوا في حقَب مُختلفَة. فالأحداثُ والقصصُ القَديمَة والحَديثَة تَظلُّ مُتصِلَة. لكن لنُمعِن النَّظَرَ قَليلاً، هَل تُوجدُ أصلاً قِصصٌ قَديمَة لهذا الإنسَان الذي استعمَرَ الأرض مُنذ أسبوعَين فَقط نِسبَة لعُمرِ الأرْض؟

تَاريخُ الإنسَان أقصَر بكَثير مِما نَتصوَّر.

تَاريخُ الإنسَان مُترابِطٌ ومُتشابِكٌ ومُتراكِمٌ وحَكايَاتهُ مَكرورَة.

قَد تَبدأ حِكايةٌ في أقصَى الأرض، ولا تَنتهي فُصولُها إلا في أدنَاها.. وبَعدَ ألفِ عَام!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَماماً كَما حَدثَ في رِوَايتي هَذِه.

قَد يَصدِمُكَ أن تَعرفَ أنَّ جُلَّ الشَخصيَّات والوَقائع التَاريخيَة في الرِواية هي شَخصيَّاتٌ حَقيقيَة ووقَائعٌ موثَّقة.

فَهيَ، وببَساطَة، تَحكِي الحَقيقَة كَمَا أعرِفُها!

الرَّاوِي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الأول

**يوم عيد الميلاد – ١١٢٦م. لندن، إنجلترا.**

بَينمَا كَانَ رُوادُ القَصر المَلكي والعَاملين فيه يُعدُّون لأمسيةِ يَوم الميلاد ويَتأهبونَ لليلة حَافلة سيحضُرها عَديدُ الضُيوف من البارونات والنُبلاء ورِجالُ الدين، إذاً بالمَلِك (هنري الأول) يَقطعُ سَاحةَ القَصر وهُوَ يَسيرُ مُسرعاً وبجِوارِه ابنته الكبرى (ماتلدا) التي كَانت تُحاول جَاهدةً مُجارَاةَ سُرعته في المَشي. كانَ يَقبضُ على يَدِها بِشدَّة ويُوجِّهُ حَديثهُ لَها بحَماسٍ بَالغ وجديَّةٍ بَدَت واضِحةً على مَلامِحه الشَاحِبة:

- أخيرَاً يا ابنتي!

أخيراً اقتنعَ بارونات إنجلترا بحَقي في تَسميتك وَريثَةً لعرشي.

ستةُ أعوام مَضَت وأنا أحاولُ إقناعهم، لم أدَّخر خِلالَها وَسيلةً إلا اتبَعتُها، شَرعيةً كَانت أم غَيرَ شَرعيَة!

يا لَهُم مِنْ زُمرةٍ مُتغَطرسة منَ الأثرِيَاء المُتعَجرفين!

أنا المَلك بحق السَماء! أنا المَلك!

لا يَجدرُ بمَلك إقناعَ أحد بما يَراه صَالحاً لمملَكته!

أأستحقُ ذلكَ بعدَ كُل تلكَ السنين التي أمضَيتُها في تَوحيدِ وحِمَايةِ هذه الجَزيرَة المُضطَربَة وضَمَانِ رَخائها؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أأستحقُ ذلكَ وأنَا مَن أصدَرَ وثيقةَ الحُريَات في أولِ أيامِ تَتويجي قبلَ ستةٍ وعشرينَ عَاماً؟

- لا تَغضب يَا أبتي أرجوك!
المُهم أنَّ مَا تُريده سيتحقَّق هذه الليلَة. وسَأصبحُ وريثةَ عَرشِك الشَرعية.

- لَن تَفهمِي مَقصدي يا ابنتي.
المَلكُ لا يَشعرُ بمُلكه وهوَ يُجاري آخرين في قَراراته، فَما بالك بمَلك وَجدَ نَفسهُ مُضطراً لمُجاراتِهم حَتى في أمورِ حَياتهِ الخَاصَّة!
مَا زِلتُ أشعرُ بحُرقة اليوم الذي اضطررتُ فيه لإقناع والدتك – رِحمَها الرَّب – أن تُغيَّر اسمها (إدث) بَعدَ زَواجِنا، فَقط لأنَّ هؤلاء البارونات استفزَّهم اسمُها الأسكتلندي فطَالبوا بأن تتسمَّى باسم إنجليزي!
إدث، ابنةُ مَلِك أسكتلندا، وجَدَت نَفسها مَعي أنَا، مَلِكُ إنجلترا ودُوق نورمندي، مُضطرَّةً لتغيير اسمها!
اخترنَا حينها اسمَ (ماتلدا) لوالدتك تَيمناً باسم وَالدتي، ماتلدا. ثُمَّ أسميناك أنتِ أيضاً ماتلدا. ولو رُزقتُ بابنةٍ أخرى لأسميتُها أيضاً ماتلدا!
ماتلدا.. ماتلدا.. ماتلدا! هل كفَاني ذلكَ تدخُلَهم!؟ لا!
فحتى ماتلدا، ابنتي وابنةُ هذه الأرض، رفَضُوا تَوريثَها العَرش!
لَو أصَابَ الجِبالَ مَا أصَابني لانفَجرت، أو أصَابَ الكَواكِبَ لانتَثرت.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دلفَ المَلكُ هنري الأول وابنتهُ إلى بَهوِ العَرش حيثُ كَانَ البارونات بانتظارهِمَا، ثُمّ طَلبَ المَلكُ مِنَ الحُرَّاس إغلاقَ الأبوَابِ بإحكَام. كانَ اعتراضُ البارونات على توريثِ ماتلدا مُلكَ إنجلترا سَببهُ أنهم لَم يَرغبوا حِينها بِأن تَتولَّى «أنثى» حُكمَ إنجلترا، ورَأوا في ذلكَ أمراً لا يَليقُ بدولَتِهم، على الرغمِ مِن خِبرةِ ماتلدا السِياسيَةِ وإسباغِ البابا عَليها لَقبَ إمبراطورة قَبلَ سَنوات.

في بدايةِ الأمر، حَاولَ المَلك هنري الأول مُجاراتهم في ذَلك فعلاً، فوريثُهُ الأول كانَ ابنه (ويليام) عَلى الرغم من أنَّهُ كَانَ أصغَرَ سِناً من ماتلدا. لكن ويليام تُوفِّيَ في حَادثِ غَرقٍ لإحدَى البَواخرِ المَلكيةِ التي كَانَ على مَتنها في العام ١١٢٠م، بعدَ عَامين فقط من وفاةِ والدَته المَلكة ماتلدا الأم، ليجدَ المَلكُ المَكلُوم نَفسهُ في وَضعٍ صَعب، حيثُ لم يَتبقَ له من الأبناء الشرعيين إلا ابنتهُ الكُبرى ماتلدا. فهوَ لَم يُرزق إلا بثلاثةِ أبناءٍ شرعيين (ابنهُ الأصغَر ريتشارد تُوفِّيَ وهوَ طِفل). أما بَقيةُ أبناءِ المَلك، وهم تسعةُ أبناء وخمسةَ عشر ابنَة، فقد كَانوا أبناءً غيرَ شرعيين (أبناءُ المَلك من جَواريه) وبِحسَبِ عُرفِ المونَاركية الأوروبية في ذلكَ الوَقت، يُمنعُ تَوريثُهم المُلك.

دَخلَ المَلكُ بَعدَ وفاة ابنه ويليام في حَربٍ سِياسية مع البارونات مُحاولاً إقناعهم بتسميَةِ ابنته ماتلدا وَريثةً للعَرش. ولَم يُفلِح إلا بعدَ سِتَةِ أعوَام.

يقالُ أنَّ الملكَ كَانَ ضَعيفاً أمام البارونات بسببِ الطَريقةِ التي تَولَّى فيها الحُكم وجَلَس بِها على العَرش. حيثُ تَولَّى هنري الأول حُكمَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنجلترا بعدَ مَقتلِ أخيه الأكبر (الملك ويليام الثاني) الذي قُتلَ في ظُروفٍ غَامضَة. حَيثُ أصابَهُ سَهمٌ طَائشٌ أودَى بحيَاتِه أثناءَ خُروجه في رحلةِ صَيد، ولَمْ يُخفِ البارونات شُكوكَهم بِأنَّ المَلك هنري الأول قَدْ أوعزَ بِقَتلِ أخيه طَمَعاً في المُلك. تَهامَسوا بذلكَ وأشاعُوه حَتى في يوم تتويجه في دَيرِ ويستمنستر في لندن يومَ الخامسِ من أغسطس العامَ ١١٠٠م.

هنري الأول كانَ أصغرَ أبناءَ المَلك ويليام الأربعة. تُوفِّيَ أحدُهم صَغيراً فَلَم يَتبقَ سوى ويليام الثاني، يَليه روبرت الثاني ثُم أخيراً هنري. وبعدَ مَقتَلِ أخيه المَلك ويليام الثاني، تَمكَّنَ هنري الأول من إقناعِ البارونات ورِجالِ الدين بِضَرورةِ تَتويجِه مَلكاً لإنجلترا نَظراً لغيابِ أخيه روبرت الثاني الذي كانَ في ذلكَ الوَقت يُشاركُ في الحَملة الصَليبيةِ الأولى. كانَ هنري الأول يُصرُّ عَلى أنَّ إنجلترا – المُضطربة حينها – يجبُ ألا تبقَ دونَ مَلك يَتسنَّمُ عَرشَها، وإلا فإنَّ الاضطرابات والثَوَرات سَتَعمُ البِلاد. موافقةُ البارونات كانَت لها انعكاسَاتٌ وعَواقبُ مُتوقعَة على عَلاقتهم بالمَلك هنري الأول، حيثُ أشعروهُ بأنَّهُ لولا هذه المُوافَقة لَما نُصِّبَ مَلكا.

كانَ المَلكُ هنري الأول يَنفي بشدَّة أنَّ لهُ يَداً بمقتَلِ أخيه، بَلْ ويَستشيطُ غَضباً في كلِّ مَرَّة تُطرحُ فيها مِثلُ هذه الشُكوك. ويبدو أنَّ البارونات أدرَكوا بَاكِراً أن هذا الأمر سيكونُ بمثَابةِ نُقطة ضَعف حَسَّاسة لدَى المَلك، فاستغلُوها للاستقواء عَليه. لكن، وعلى الرُغم من ذلك، كانَ هنري الأول قَوياً في إدارته لشُؤون البِلاد وقَائداً عَسكرياً مُظفَّراً، حيثُ انتصرَ في حُروبٍ عَديدة حتى لُقِّبَ بهنري الغَازي. لعلَّ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم انتصاراته كانَ انتصارهُ على أخيه الأكبر (روبرت الثاني) الذي كانَ يَحكُمُ مَقاطعةَ نورمندي بَالغةِ الأهميَة في فرنسا. استطاعَ هنري الأول هزيمةَ أخيه روبرت الثاني بَعدَ ستةِ أعوام فقط من تتويجه مَلكاً لإنجلترا وانتزعَ منهُ لَقبَ (دوق نورمندي) وأمرَ بِحبسِه في سِجنِ قَلعةِ كاردف.

المُهمُ الآن هُوَ أنَّ المَلك هنري الأول قَد تَحصَّلَ على مَا أرادَ يومَ عيدِ الميلاد من عام ١١٢٦م، حيثُ أقسَمَ بارونات إنجلترا على الدِّفاعِ عَن حَقِّ ماتلدا في المُلك بعدَ وفاةِ والدها. لكنَّهُ ظَلَّ مُتشككاً في ولائهم وبَرِّهم بقسَمِهم حتى آخرِ لحظاتِ حَياتِه.

## ٢٣ نوفمبر – ١١٣٥م. ليو دو فوغي، نورمندي، شمال غرب فرنسا.

مَضى ما يُناهزُ التسعةَ أعوامٍ مُذ سُمِّيَت ماتلدا وَريثةً لعرشِ والدها.

اعتادَ الملكُ هنري الأول يُرفِّهُ عن رُوحه المُثقلة بالهُموم بأن يَخرُجَ في رَحلاتِ الصَيد. وهذا ما فعلهُ اليوم. اختارَ المَلكُ هذه المَرَّة مَدينةَ (ليو دو فوغي) في مقاطعةِ نورمندي، وذَهبَ بِرفقةِ ثُلَّةٍ من حَرسِه ومُرافقيه المُقرَّبين.

في الصَّباحِ البَاكر اجتمعَ المَلكُ بمرافقيه، حيثُ بَدا المَلكُ بصحةٍ جيدة وهِمةٍ عَالية ومِزاجٍ مُعتدِل سُرعانَ ما عكَّرَهُ سُؤالُ أحدِ المُرافقين:



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- سيدي، لمَ لا نَزورُ الأميرة ماتلدا؟ فهي قريبةٌ مِن هُنا في مَدينةِ أنجو، لعلَّ الخلاف..

- اخرَس! أخرَسك الرَّب! لا تَذكُر اسمَ هذه العَاقَّةِ أمَامي! أخبِر الطَاهي بَأني أريدُ تَناولَ سَمَكِ الجلكي على الغَداء. أنا بِحَاجَةِ طَبقٍ شَهي عَلَّه يُصلحُ ما أفسدتَه من يومي بمقترحكَ هذا!

- لكن سيدي! الأطباء طَلبوا مِنكَ عَدم تناولِ هذا النوع مِن السَمَك، فتناولهُ خَطِرٌ على حِياتِك!

- لتذهَب أنتَ والأطبَاء إلى الجَحيم! أنَا المَلك وآكلُ ما أريد! اغرُب عن وجهِي قبلَ أن آمُرَ بسجنِك!

- أمرُ جَلالتكم.

كثيرٌ من الأمور يُمكنُ أن تَحدثَ في تِسعةِ أعوام!

تتبدلُ الأولويات، وتتحولُ القلوب، وتتغيرُ المصالح!

ماتلدا لَم تَعد قريبةً من والدها المَلك. اقتَربت مِن سُدَّة المُلك والحُكم، ومَن يَقرَبُ المُلك سُرعانَ ما يُصبحُ شَخصاً آخر، شخصٌ لا يَمتُّ لذاتِه الحَقيقية بصِلَة!

فبعدَ تسميتها رَسمياً وريثةً لعرشِ والدها، قامَ المَلكُ بتزويجها للكونت (جيوفري) حَاكم أنجو المُقاطعة الكَبيرة والقَوية جَنوبَ مُقاطعةِ نورمندي في فرنسا، ظَنَّاً بأن ذلك يَضمنُ وَلاءَ واستقرارَ نورمندي البعيدةِ نِسبياً عن إنجلترا، لاسيَّمَا أنَّ ماتلدا تَكبُرُ جيوفري



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأحدَ عشرَ عاماً وتتمتعُ بخبرَةٍ سياسيةٍ ستُمكنُها منَ السيطرَةِ عليه. كان جيوفري شاباً طموحاً ويَحظى بشعبيةٍ جَارفةٍ في مقاطعتهِ أنجو، كما أنه اشتهرَ بوسامتِهِ حتى أنه كانَ يُلقَّبُ بجيوفري الوَسيم.

بعدَ زواجِها مُباشرةً، ذَهبت ماتلدا مع زوجِها جيوفري إلى فرنسا، وهُناك تَمكَّنَ من إقناعِها بأنَّ قَسَم البارونات وتعهدَهُم بالولاءِ لها بعد وفاةِ والدها هوَ أمرٌ لا يمكنُ الوثوقَ بِه وأنهم – البارونات – سُرعانَ ما سيحنثونَ بقسمهم بعدَ وفاة الملك هنري الأول وبذلك تَخسرُ ماتلدا مُلكَ إنجلترا ونورمندي.

أقنعَ جيوفري ماتلدا بحلٍ غَريب لهذهِ المُعضِلة. وهوَ أن تَطلُبَ من والدها الملك بأن يَأمُرَ نُبلاء نورمندي بالقسَمِ لهَا بالولاءِ والطَّاعة الآن وهُوَ مَا يزالُ مَلكاً لإنجلترا ودُوقاً للنورمنديَ! مما يَعني ضِمناً تنازُلَ المَلك لها عن مُقاطَعةِ نورمندي. فذلك، بحسبِ جيوفري، سيمنحُ ماتلدا قُوةً تستطيعُ بِها رَدعَ أي تمرُّدٍ قد يحصل في إنجلترا بعدَ وفاةِ المَلك.

حينَ بلغَ هذا الطلبُ الغريب المَلك هنري الأول، رفَضهُ بِشدَّة وأخذَ يَصرخُ بغضب: «تلكَ الحَمقاء العاقَّة! جيوفري يخدَعُها ليستولي على مُلكِ إنجلترا، يا لَهُ من بَطلٍ أشر! يبدو أنَّ البارونات كَانوا على حَق، فالنساءُ لا يَصلُحنَ للمُلك! كَم كُنتُ غَبياً حينَ زوجتُها لذلكَ الخَائن! ظننتُ أنها ستسيطرُ عليه، لكنَّ عَكس ذلك هُوَ ما حَصَل! النساءُ لا يَصلُحنَ للمُلك!»

بعدَ رفضِ المَلك لطَلبِ ماتلدا وجيوفري، قامَ الاثنان بدَعمِ ثَورةٍ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اشتعلت في جَنوبِ نورمندي تُطالبُ بِخلعِ المَلك وتَنصيبِ ماتلدا دُوقةً للنورمندي!

وفي خِضَم انهماكِ ماتلدا في دَعمِ الثَّورةِ ضِدَ أبيها في نورمندي، بَلغها أن والدها في حَالٍ صحيَّة مُتردية وأنه قد يَموتُ في غُضُونِ أيَام! فهناك، في ليو دو فوغي، حَيثُ كانَ الملكُ يستمتعُ برحلةِ الصَّيد، تَبدَّلَ الحَالُ بسُرعة ووقعَ المَلكُ طَريحاً على فِراشِه بعدَ تناولِه سَمك الجلكي الذي أثَّرَ كَثيراً على صِحتِه كَما حَذَّرهُ الأطباء، حَيثُ أن هذا النَّوع من السَمَك يُصيبُ الأمعَاء بالتهابَاتٍ حَادَّة لم يَتحملها جَسدُ المَلك المُسن.

بعد أسبوعٍ من تناولِه تلكَ الوَجبةِ المَشؤومة، لَفظَ المَلكُ آخرَ أنفاسه. تُوفِّيَ المَلك الذي أنهكتهُ هُموم المُلكِ والسِياسَة وأتعبتهُ الحُروب ومزَّقَ قَلبهُ فِرَاقُ الأحبَّة قبلَ أن تُجهزَ عليه خِيانَاتُ المُقرَّبين.

تَم تَحنيطُ المَلك فورَ وفاتِه.

دُفنَت أحشاؤه في ليو دو فوغي، فيما دُفنَت الجُثَّة في دَير ريدنج في إنجلترا التي كانَ قد شيدَها في العام ١١٢١م.

حينَ بلغَ ماتلدا خَبرُ وفاةِ والدها شعرت بحُزنٍ بَالغ وتأنيبِ ضَميرٍ حَاد، حتى أنه يُقال إنها لَم تُرَ مُبتسمةً قَط بعدَ ذلك اليوم.

دَلفَ جيوفري إلى مَخدعِها هَرِعاً ليواسيها فصَاحت بحُرقة:«أنظر ما فَعلنا بوالدي! لقد قَتلناه يا جيوفري! نَعم، لقد قَتلناه!»، ليَرُدَ جيوفري ببرود: «لَم نَقتُله.. قَتلهُ سَمكُ الجلكي!».



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تُوفِّيَ المَلِكَ هنري الأول ليَدورَ سُؤالٌ في ذِهن الجَميع: ماذا سيحدُث الآن؟

هَل سيَبرُ البارونات بقسَمِهم؟ هَل ستُصبحُ ماتلدا فعلاً مَلكةَ إنجلترا ودُوقة نورمندي؟

ما حدَث بعدَ ذلك لَم يَخطُر رُبما ببالِ أكثرِ المُتسائلين!

انتهى الفصل الأول.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملك هنري الأول – King Henry I

(١٠٦٨م – ١١٣٥م)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإمبراطورة ماتلدا – Empress Matilda

(١١٠٢م – ١١٦٧م)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جيوفري آل بلانتجنيه، كونت أنجو –

Geoffrey Plantagenet، Count of Anjou

(١١١٣م – ١١٥١م)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الثاني

كانت ماتلدا ابنةُ المَلك هنري الأول تُعرَفُ بلَقب «الإمبراطورة ماتلدا» حتى قبلَ تسميتها وَريثةً لمُلك إنجلترا. اكتسبت هذا اللَّقب نَظيرَ زواجها من مَلكِ ألمانيا هنري الخامس – الذي تُوجَّ لاحقاً إمبراطوراً للروم من قِبلِ البابا – وذلكَ قبلَ أنْ تُكملَ السنةَ الثامنةَ من عُمرِها!

كانَ زواجُ ماتلدا الأول نتيجةً لصَفقة مُعلنة بينَ والدها المَلك الحَديث لإنجلترا والمَلك هنري الخامس مَلِكُ ألمانيا. وقد تَمَّت تلكَ الصَّفقة بدَعم مُباشر ومُباركة جَليَّة من والدتها. المَلك هنري الأول رَأى في هذا الزَّواج تَدعيماً لحُكمه وترسيخاً لأحقيَّته بالمُلك، فيما حَصَلَ الملك هنري الخامس بالمُقابل على عشرةِ آلاف مارك (العُملة المُتداولة في أوروبا حِينها).

فورَ إتمام صَفقةِ زواجها من هنري الخامس، غَادرت ماتلدا إنجلترا مُتجهةً إلى ألمانيا لتلتَقي زَوجَ المُستقبل الذي يَكبُرها بستة عشر عاماً! في الخامس والعشرين من جولاي العام ١١١٠م تَم تتويجُها رَسمياً مَلكةً لألمانيا. تَلقَّت ماتلدا تَعليماً حَازماً في أصُولِ التَعاملِ وِفقَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التقاليد الألمانية وفي شؤون السياسة والحكم. وفي العام ١١١٤م، حين أصبحَ عمرها اثني عشر عاماً، تم تزويجُها رَسمياً من هنري الخامس.

لعبت ماتلدا أدوَاراً مفصلية في تدعيم حُكم زوجها حتى توِّج امبراطوراً للروم[1]، بعدَ أن انتَخَبهُ مُلوك أوروبا في إيطاليا. توِّج هنري الخامس إمبراطوراً من قِبل البابا – المُختلف على شَرعية أبويته – جروجري الثامن. وعلى الرغم مِنْ أنَّ ماتلدا أسبَغت على نَفسها لَقبَ «إمبراطورة»، لَم يعترف كثيرٌ من مُلوك أوروبا بهذا اللقب حيثُ لم يتوجها البابا به بشكل صَريح كما زعموا. إلا أنَّ ماتلدا ظَلت تُصرُّ على أحقيتها باللقب وأنَّ البابا قد توَّجها بِهِ بالفِعل.

حَكمت ماتلدا إيطاليا عامين كاملين حينَ تَركَ لها الإمبراطور هنري الخامس مَقاليدَ الحُكم هناك وذهبَ إلى ألمانيا ليُخمدَ ثَورةً اشتعلت ضدَّه. تلكَ الفَترة البَسيطة من الحُكم اكسَبت ماتلدا خِبرةً كبيرةً في أمورِ الحُكم والسياسة على الرغم من حَداثَة سِنها.

في العام ١١٢٥م، تُوفِّيَ الإمبراطور هنري الخامس بعدَ أن أصيبَ بمَرضِ السَرطَان. وبعد وفاته أصرَّت الكنيسةُ على ألا يتمَّ تَوريثُ الحُكم لماتلدا ولا لغيرِها من أقرِبَاء الإمبراطور، بَلْ يَتحتمُ إجراءُ انتخابات جَديدة. وهوَ ما حَدثَ فعلاً، حيثُ تمّ انتخابُ أحدِ ألدِّ أعداءِ هنري الخامس وهوَ لوثير مَلكُ سابلنبيرغ ليُصبحَ الإمبراطور الجَديد. حينها لَمْ تَجد ماتلدا ابنةُ الثلاثة والعشرين رَبيعاً خَياراً أفضلَ مِنْ أنْ تعودَ أدراجها إلى مملكةِ أبيها الملك هنري الأول. عَادت وهيَ في أوجِ

(١) كانت الإمبراطورية الرومانية حينها تضم رقعة كبيرة من أوروبا كإيطاليا ومملكة ألمانيا التي كانت تشمل ألمانيا وهولندا وبلجيكا وغيرها من دول أوروبا الحالية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حماسها وطموحها السِّياسي. وبعدَ عام واحد فقط من عودتها، سُمِّيَت رَسمياً، وبمصادقةِ بارونات إنجلترا، وَّريثةً لعرشِ وَالدها.

لَمْ تحظَ ماتلدا بطُفولةٍ كغيرِهَا مِنْ الأطفَال. فقد أمضَت جُلَّ طفُولتها وكُلَّ شَبابِها في دَهاليزِ السياسةِ ومُعسكراتِ القتال. لذا، فإن ما اشتهَرت بِه من حِنكةٍ وحَصافةٍ وحَزم وشِدةِ بَأس لَم تَكُن سِماتٍ مُستغربةً لأميرةٍ مَرَّت بظروفِها، ولا أبالِغُ إن قلتُ إنَّها اكتسبت من مُقوماتِ القيادةِ والحُكم في سِنٍّ مُبكرة مَالم يَكتسبهُ أغلبُ مُلوك أوروبا في ذاك الزَّمَان.

قُبيلَ وفاة الملك هنري الأول، كانت ماتلدا وبدعم من زَوجها جيوفري تَدعمُ ثَورةً اشتعلت ضِدَّ والدها في مُقاطعةِ نورمَندي. لكن ما أن تُوفِّيَ المَلك حتى بَدأت ماتلدا تُعدُّ نَفسها وبسُرعة لاستلامِ عَرشِ إنجلترا بصفَتها الوَريثة الشَرعية له.

لكنَّ ستيفن – ابن عمةِ ماتلدا – فَاجأ الجميع واستغلَّ وجودَ ماتلدا خارجَ إنجلترا ليَثِبَ على عرشِ خَاله المَلك هنري الأول فورَ وفاتِه في العام ١١٣٥م!

بعدَ أن نَصَّبَ ستيفن نَفسهُ ملكاً، اشتعلت الحربُ الأهلية في إنجلترا، حيثُ اختلفَ البارونات الإنجليز فيما بينهم مَا بينَ مُؤيدٍ لحُكمه وما بينَ مُعارضٍ يَرى أنهُ مُلزمٌ أخلاقياً بأن يَبرّ بقسمِه للمَلك هنري الأول بالولاء لابنته ماتلدا بعدَ وَفاتِه.

دَخلت إنجلترا في عهدِ المَلك ستيفن مَرحلةً قَاتمة من الاضطرابات والفَوضَى لَم تنتهِ إلا بوفاتِه. ففي العام ١١٣٨م حَاربَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ديفد الأول ملك إسكتلندا ستيفن دفاعاً عن حق ابنة أخيه في المُلك، إلا أنه هُزِم.

وبعدَ تلك الهَزيمة بعام واحد فقط، أي في العام ١١٣٩م، تمكنت ماتلدا من غَزوِ إنجلترا قَادمَةً من فرنسا وبدعم كَبير من أخيها غير الشَرعي روبرت إيرل جلوسيستر الذي عُرفَ بحُبه الكَبير لوالده ومُلازمته له. في العام ١١٤١م انتصرت ماتلدا أخيراً على ستيفن، لتتوِّجَ لأولِ مرةٍ مَلكةً لإنجلترا. أما ستيفن، فقد أمرَت بحبسه في إحدى القِلاع الحَصينة. لم يَشترِك جيوفري في تلك الحَرب، بَل ولا في كُل حُروبِ ماتلدا في إنجلترا، حَيثُ نَأى بنفسه عَن ذلك كَي لا يَظُن أحدٌ أنه يَطمعُ بمُلكِ إنجلترا كَما ظنَّ هنري الأول.

وَقعت ماتلدا في امتحانٍ أخلاقي عَصيب في نفسِ العَام الذي توِّجت فيه مَلكةً لإنجلترا، وذلكَ حينَ تَمَّ أسرُ أخيها روبرت من قِبلِ ثُوارٍ دَاعمين لستيفن. كانَ لهم طَلبٌ وَحيدٌ وبَسيط: الإفراجُ عن ستيفن مُقابل إطلاقِ سَراحِ روبرت!

وَجدت ماتلدا نَفسها مُضطرَّةً لقبولِ طَلبِ الخَاطفين لتُنقذَ أخيها الذي كانَ وَفيّاً لها ودَعمها عَسكرياً في غزوِها لإنجلترا والوُصولِ لعرشِها، فأمرَت بالإفراجِ عن ستيفن.

بمُجردِ خروجِ ستيفن من سِجنه لَجأ لمؤيديه وبدأ العَملَ على تَجهيزِ جَيشٍ قَوي لاستعادةِ مُلكه، وهوَ ما حدثَ فعلاً! ففي نفس العام تمكنَ من هَزيمةِ ماتلدا مستغلاً خُبوتَ شعبيتها، فطَردَها خارجَ لندن قبلَ أن يُنصَّبَ نفسه ملكاً لإنجلترا مَرةً أخرى!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هُزمت ماتلدا بعدَ حُروب عَديدة وتَحالُفات فاشلة واغتيلت طُموحاتُها السّياسية مُجدداً. يبدو أن لا نصيبَ لها في المُلك. عَادَت تَجرُ أذيالَ الهَزيمة والخَيبة إلى فرنسا بعدَ سَنوات وهيَ تَندبُ حَظها العَاثر وتُمنّي نَفسها بيوم تَنتقمُ فيه من ستيفن الذي جَرَّدها من كُلّ ما كَانت تَصبو إليه. كَانت تُبكي بحُرقة في رِحلة العَودة. وحين حاولَ أحدُ مُستشاريها مُواساتها صَاحت بحُرقة: «ها أنا أخيبُ رَجاءَ والدي مَرةً أخرى! لا شيء يُمكنكَ أن تقولهُ قَادرٌ على تَغييرِ هذهِ الحَقيقةِ وهذا العَار»!

أنهكَت ماتلدا كَثيراً بعدَ كُلّ تلكَ السنين والأحدَاث، كَما أن زَوجها جيوفري دَاهمهُ المَرض وبَدأ يفقدُ قوتَهُ واهتمامهُ بالسّياسة. فَمن ذَا الذي يُمكنُه الانتقامَ مِن ستيفن واستعادةَ مُلكِ ماتلدا؟!

بدا الأمرُ في عام ١١٤١م مُستحيلاً ولا يُمكنُ تَحقيقهُ إلا بمُعجزَة. فَهل تنَاست ماتلدا الأمر برُمته كَما كانَ يَنتظرُ منها جَميعُ حُكّام فرنسا الطامعينَ بمُلكها؟ أم أنها أغرَقَت نَفسها أكثر في بَحرٍ عَميقٍ من الأمَاني المُستحيلة؟

انتهى الفصل الثاني.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الثالث

للتساؤلِ الذي أنهيتُ بهِ الفصل الثاني من روايتَي إجابتان:

إجابةٌ قَصيرة، وهيَ أن ماتلدا أغرقَت نَفسها في أحلامِ استعادةِ مُلكِ إنجلترا فعلاً، لكنَّ تلكَ الأحلام لَم تَكُن مُستحيلةً!

وإجابةٌ طَويلة، تَبدأ قبلَ طَرد ماتلدا من إنجلترا بخمسةَ عشر عاماً، وهيَ ما سأسرُدهُ فيما يلي من سُطور.

## ٥ مارس – ١١٣٣م. لو مون، شمال غرب فرنسا.

في هَذا اليوم الربيعي الهَادئ رُزقت ماتلدا وزوجُها جيوفري بطفلٍ في غايةِ الجَمَال. وحينَ سَأل جيوفري عن الاسم الذي ستختارهُ ماتلدا لوليدَها، أجابت على الفَور: هنري طَبعاً! أنا واثقةٌ من أن والدي المَلك سيفرحُ لذلك! لعلَّ ذلكَ يَكونُ سَبباً في تهدئةِ الأمورِ بيننا.

ابتسمَ جيوفري دونَ أن يَنبسَ ببنتِ شَفَة، إلا أن ابتسامَتهُ المُتهكمةِ تلك كانت تُظهرُ كَمّاً كَبيراً من عَدمِ الرِضَا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ذلكَ اليوم ولدَ هنري (الثاني) ابنُ ماتلدا ابنةُ هنري الأول مَلكِ إنجلترا. وُلدَ هنري قَبلَ وفاةِ جَدِّه المَلك بعَامين تَقريباً.

كانَ هنري الثاني نَابغاً منذُ طُفولته، ولما اشتدَّ عُودهُ وأصبحَ فَتيًّا كانَ من الواضح للجميع أنهُ أخذَ عن والدهِ الوَسامةَ والفُروسية تماماً كما أخذَ حَصافةَ والدته وطُموحها السِّياسي الكَبير. كانَ يسألُ كَثيراً عن جَده مَلك إنجلترا (هنري الأول) ويُعبرُ دَوماً عن اعجابه الشَديد وفَخرهِ به، ولطَالما رَدَّدَ أنهُ سيثأرُ لَه ويَستردُ مُلك إنجلترا يَوماً مَا.

يومَ طَردَ ستيفن ماتلدا من لندن في العام ١١٤١م، كانَ ابنها هنري الثاني مَعها. كانَ في الثامنة من عُمره. ومنَ المؤكد أن حَدثاً جَسيماً كهذا كانَ صَعباً ومُؤلماً لفتىً مُندفعٍ ومُتحمسٍ كهنري الثاني. هَذا الحَدثُ تَركَ جُرحاً غائراً في قَلبِ هنري لَن يندملَ حتى يَستردَ كَرامةَ أسرته ومُلكها التَليد في انجلترا، كمَا كانَ لهذا الجُرح بَالغَ الأثرِ على شَخصيته ونُدَبٌ انطَبعَت على اهتماماته في المُستقبَل.

احتضَنَ هنري الثاني والدتَهُ وهيَ تَبكي كَمداً على ما حدثَ لها، ثُم قالَ لها بَحزم: والدتي، سَأستعيدُ إنجلترا وسَأنتقمُ لكِ ولوالدي ولجَدي هنري الأول، أعدُكِ بذلك!

كانت تلكَ كلماتُ طفل في الثامنة من عُمره، لم يُحمّلها أحدٌ حجماً أكبر، سوى ماتلدا! حيثُ رَأت فيه الفارسَ القَوي الذي كانَ يحلمُ والدُها (هنري الأول) أن يورِّثه مُلك إنجلترا، بَل ربما رَأت فيه والدها نَفسه! ذاكَ الذي لا يَهزمُ في المَعارك أبداً. رَأت فيه هنري الغَازي!

لذا، حَرصت ماتلدا على تَنميةِ تلك الرَّغبةِ الجَامحةِ باستعادةِ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُلك إنجلترا في ابنها هنري الثاني. كَانت تُذّكرهُ دَائماً بذلك وتَحثُّه على العَمل على الإعداد لَه، بَل رُبما أشعرتهُ بأنَ هذا هوَ قَدَره وأنه أمرٌ واجِبٌ عَليه لا خِيارَ لهُ فيه. ومن أوجه هذا الحِرص أن بَاتت ماتلدا تتدخلُ في كُلِّ شؤون حَياته وتُحاولُ أن تَفرِضَ عليه نَمطاً من الصَّرامة والجِدية وتَسعى لتعزيزِ الانتماءَ المَلكي في وِجدانه. وبالإضافة إلى تدريبات الفروسية التي كانَ هنري الثاني يتلقاها في سنٍّ مُبكِرة، حَرِصَت ماتلدا على أنْ يتلقّ علماً راسخاً في عديد المجالات كالرياضيات والفَلسفة والتَاريخ. تَلقَّى هنري الثاني تَعليمهُ مِن أكبرِ المُعلمين وفي أكبرِ دُورِ العِلم في أنجو في فرنسا وفي برستول في إنجلترا.

أحبَّ هنري الثاني إنجلترا كَثيراً، كانَ يزورُ المُدن الإنجليزية في جَنوبِ إنجلترا، حيثُ ظَلت بعضُ المُدنِ هُناك بَاقيةً على ولائها لأسرة آل نورمندي. لذا كانت لهُ مغامراتٌ غيرُ مَحسوبة مع جيوشِ ستيفن. كانت أولها وهوَ في الرابعة عَشر من عُمره! ولم تساعدهُ والدته (ماتلدا) ولا خالُه (روبرت) في تلك المغامرات المَحسومَة سَلفاً. كانوا يَرفضونَ تلكَ المُغامرات ويَروَن فيها مُخاطرةً كَبيرة على حياة هذا الفَتى المُتهور. لم يَروا في استعادة إنجلترا أمراً مُستحيلاً، لكن ذلك يَحتاجُ لإعداد أكثرَ قُوةً ولقيادة أكثرَ نُضجَاً.

في سنِ الرابعةَ عشرة، جمعَ هنري الثاني جَيشاً من المُرتزَقة وحَاولَ حَربَ جَيشِ ستيفن في مُقاطعة ويلتشير الإنجليزية. انتَهت تلكَ الحَرب بسرعة بفوزٍ سَاحقٍ لجَيش ستيفن. كما أن جَيشَ هنري الثاني تَفرَّقَ بعدَ أن عَجزَ عن مُواصلة دَفع الأموالِ لَهم، فوَقعَ هنري الثاني في مُعضِلة خَطِرة، حيثُ لا يُمكنهُ البَقاءَ هُناك ولا حتى العَودةَ لمُقاطعة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نورمندي في فرنسا – التي كان والدهُ جيوفري قد تمكن قبل أشهر قليلة وبشجاعة نادرة من أن يستعيد حُكمها بعد أن استحلفها عُلماءُ ستيفن في فرنسا – كان هنري الثاني محبوساً وعالقاً في إنجلترا. لكنَّ أمراً غريباً حدث حينها، فقد عفا عنهُ ستيفن، بل وأعطاهُ أموالاً وساعدهُ على العودة لفرنسا، إكراماً لقرابتهما كما قيل!

أيضاً كانت لهنري الثاني مغامرةٌ ثانية لغزو إنجلترا بعد تلك الحادثة بسنوات، لكن هذه المرَّة بمُساعدة كبيرة من الملك ديفد الأول مَلك إسكتلندا وعَمِّ والدته. انتهت تلك المُغامرةُ كسابقتها، بالفشل الذريع.

دَخلَ هنري الثاني مُعترك السّياسة باكراً، حيثُ عيَّنهُ والدهُ جيوفري دوقاً لنورمندي وحاكماً لأنجو وهوَ في السابعة عشر من عُمُره، وذلكَ قبلَ وفاة جيوفري في العام ١١٥١م. نبغَ هنري الثاني في السّياسة كمَا نَبغَ في الفُروسية. كانَ جَاداً وحَصيفاً بشكلٍ لا يُجاريهِ فيه أحدٌ من أقرانه الشَباب في المُقاطعات الفرنسية. وجدَ هنري الثاني نَفسهُ في حَربٍ ضَروس مع لويس السابع مَلك فرنسا الذي كانَ قد استطاعَ لفترة وجيزة أن يَبسُطَ نُفوذَه على نورمندي وأنجو، مِما أكسَبهُ خَبرةً جَيدة في الحُروبِ وفنُونِها.

في ذاك العَام وقعَ هنري بغرام فَتاة من عَامة الناس تُدعى (إميلي) بعدَ أن أعجبَ بجُرأتها وجَمالِها في إحدى جَولاته في ضَواحي أنجو. بدأ الأمر حينَ سَمعَ صوتاً بين الحُشود التي اصطفَّت لرُؤيته يَطلبُ مِنه أن يكونَ أكثرَ عَدلاً في الحُكم من وَالده!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمرَ هنري الثاني حُرَّاسهُ بأن يُحضروا القَائل، فإذا بها فَتاةٌ جَميلة تَقفُ أمامهُ بكُلِّ عِزةٍ وإباء. سَألها مُتعجباً عن الخَلل في حُكم والده، لتُجيبَهُ بجُرأة نَادرة: «كُلَّ شَيء! لقد صَادرَ كلَّ ما نَملك وبدعَم من الكَنيسة لدَعم حُروبه وثَورَاته. المُلوكُ يُشعلونَ الحُروب مع أقاربهم في الصَباح ثُمَّ يَتصالحونَ معهم في المَساء دُونَ أن يَخسروا شَيئا. أما نَحن، فنحنُ وَقودُ حُروبهم تلك على الرغم من أنها في الغَالب لا تَعنينا».

بل أنها ذَهبت أبعدَ من ذلك لتُقارنَ بين الحُكم في أوروبا والحُكم في الدُّول الإسلامية! حيث أردفت بأنها سَمعت من أحدهم أن الحُكمَ هناك لا يَخضعُ لسُلطة الحَاكم فقط، بَل يوجدُ لديهم تشريعٌ أقوَى من الحَاكم وهو التَشريعُ الدِيني والقَضاءُ المُستَقل، فيُمكنُ لفَردٍ من الشَعب أن يُحاكمَ المَلكَ نَفسه!

كانت تلكَ المُقارنةُ كَافيةً ليتمَ إعدامُ إميلي في مَكانها دُونَ مُحاكمة في بلد اشتهرَ بعدائه لدول الخلافة الإسلامية وشَاركَ بفاعلية في الحَملتين الصَليبيتين الأولى والثانية. إلا أنَّ الحاكمَ الصَغير ضَحكَ وأمرَ حُراسه بأن لا يَمسوها بسُوء، ثم سَألها:

- هل أنتِ مَسيحية؟

- أنا أؤمن بأنَّ المَسيح كانَ نَبياً مُرسَلاً من الرَّب.

- هذا لا يَكفي. المُسلمون يُؤمنونَ بذلكَ أيضاً! أم أنكِ مُسلِمة؟ أيُعقلُ أنَّ هناكَ مُسلمونَ يَعيشونَ في كَنفنا؟

- لا أعرفُ عن الإسلام مَا يكفي لأتديَّنَ به.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ما عُمرك؟

- خَمسَة عَشر عَاماً.

- أنت جَميلةٌ وذَكيَّة ومَا زلتِ في مُقتبل العُمر، لكنكِ جَريئة. حَاذِري من جُرأتكِ تلك، فقد تُودي بِكِ للهَلاك.

- سأفعَل، سُمو الأمير.

انسحَبت إميلي من أمام هنري الثاني بهُدوءٍ ولبَاقة بعدَ أن طلبَ من الحُرَّاس أن يَستدلوا على بَيتها ويُساعدوا أهلَها. أما هنري، فقد غَادرَ المَكان وهوَ يَشعرُ بإعجابٍ كبير تِجاه تلك الفَتاة، ليسَ فقط لجمالِها السَاحِر بَل أيضاً لذكائها وجُرأتها. فشخصيةٌ ثَائرةٌ كشخصيَّة هنري الثاني كانت لتُعجبَ لا مَحالة بشخصيةٍ جَريئة وشُجاعَة كشخصيَّة إميلي.

التقى هنري الثاني بإميلي بعد ذلك مرات عديدة في الخَفاء بعيداً عن أعيُن والدته التي كانت ستغضَبُ كَثيراً بل رُبما ستنهَار لو عَلمت بأنه على عِلاقَة بفتاة من العَامة. إلا أن ماتلدا لم تَكُن لتَغفلَ عن ذلك. عَرفت باكراً بتلكَ العلاقة، لكنها آثرت عَدمَ التَّدخُل، فقد كانت مُقتنعةً بأن علاقةً كهذه لا تَعدو عن كونِها نَزوةً قَصيرةً لأميرٍ شَاب.

لكنَّ الحقيقة كانت مُغايرةً لذلك تماماً!

عَزَمَ هنري الثاني أمرَهُ على الزواج من إميلي مُتحدياً كلَّ الأعرافِ المَلكية وضَارباً بعرضِ الحَائط كُلَّ مَخاوفهُ من رَدةِ فعل



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والدته. أحبّ هنري الثاني إميلي كثيراً وكانَ مُتأكداً من أنه لن يَجدَ فَتاةً تأسرهُ وتستحقُ أن تَجلس معهُ على عَرشِ نورمندي كإميلي.

حينَ عَلمَت الإمبراطورة ماتلدا بنيَّة هنري الثاني الزواجَ من إميلي جُنَّ جُنونها!

دونما تَفكير، أمرَت ماتلدا بعضَ الفُرسان بالقبضِ فَوراً على إميلي وإيداعها في أحد السجونِ الحَصينة في مقاطعة نورمندي مُستغلةً خروجَ هنري الثاني في رحلةِ صَيد. شَعُرت ماتلدا بخَطرٍ مُحدق على مشروعها الكبير للانتقام من ستيفن بواسطةِ ابنها الشَّاب. فأيُّ اهتزاز لصُورةِ هنري الثاني في الأوساطِ المَلكية وبين عَامةِ النَّاس سيُقوِّضُ ذلكَ المَشروع وقد يُفضي إلى أن يَنفضَّ حُلفاؤها من حُكام المقاطعات الفرنسية وبعض البارونات الإنجليز عَنها. لذا كانَ عليها أن تتصرَّفَ بحَزمٍ كبير وشِدةٍ بأسٍ لا تَعرفُ لها الرحمةُ طَريقاً.

ما أن عَلِم هنري الثاني بأمرِ إميلي وما حلَّ بها حتى هَرِعَ إلى قصر الحُكم في نورمندي حيثُ تقيمُ والدته. وبِمُجردِ أن رآها صَاحَ قَائلاً:

- آمركِ بصفتي دُوق نورمندي بإطلاقِ سَراحِها فَوراً!
- اخرس! لعنتكَ السَماء! يبدو أنك نسيت من أكون، أنا الإمبراطورة ماتلدا!
- لكن..
- لا تُكمِل! أيُّ عارٍ وأيُّ خِزي كنت ستجلبُ لنا أيها الفَتى الأرعن!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أين العارُ في أن يتزوجَ دوق نورمندي من الفتاةِ التي أحبها؟

- سؤالٌ وقح تعرفُ إجابته تماماً! هذه الفتاة التي أغوتَك وألقت عليكَ عُقَد سحرها الزَائف ليست سوى فَتاة وَضيعة ولدَت وعاشت في ضَواحي أنجو المُهملة. لن أسمحَ لكَ بأن تُجلسها على عرشِ نورمندي ما دُمتُ على قيدِ الحَياة! هل نسيتَ أن اسمَ عائلتي هو نورمندي؟ لن أسمحَ لكَ بتلطيخِ شَرفِ العَائلة!

- لكن..

- أخرَس ودَعني أكمِل! تلكَ الفتاة الوَقحة قارَنت بين حُكمنا وكَنيستنا وبينَ حُكم المُسلمين! وتَركتَها دونَ أن تَجزَّ عُنقها! ماذا دهاكَ بحقِّ السَماء؟ هل أنتَ هنري الذي وَعدني بالانتقام من ستيفن؟ أنا لا أرى أمَامِي الآن سوى فَتىً رَخو طَائش تَسُوقه شَهواتهُ ونَزواتهُ التَّافهة. هَل تظنُ أنَّ أحداً سيقفُ مَعنا ويَدعمَنا في حَربنا ضِدَّ ستيفن الخَائن بعدَ أن تتزوجَ بفتاة كهذه؟ أم أنكَ نسيتَ وعدكَ لي بالانتقام والثَّأر من ستيفن؟ أكانَ والدكَ ليقبلَ بذلك؟ أكانَ جَدُّكَ الملك هنري الأول ليقبلَ بذلك؟ سآمُر السجَّانين بإعدامِ تلكَ الفتاة لهَرطقتِها وتطَاولِها على والدك وعلى الكنيسة.

- لا! لن أسمحَ بذلك! لن أتزوَجها، لكن لا تَقتليها يا أمي. أرجوكِ!

كانَ هنري الثاني يُحدِّقُ في عَيني والدته مُتسائلاً إنْ كَانت هيَ نَفسُها تلكَ الظلِّ الرَؤوم التي لطَالمَا أحبَّتهُ وكَانت عَطوفَةً عَليه، لكنَّه لَمْ يرَ في عَينيهَا سِوى قَسوةً وتَعنُّت. وبعدَ أن أيقنَ هنري أن أمرَ زواجه



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من إميلي أضحَى مُستحيلاً أمامَ جبروت والدته وإصرارها الشَّديد على رَفضٍ حتى مُجرَّد التفكير بذلك، توصَّلَ ووالدتهُ إلى اتفاقٍ يَحفظُ به دَمَ إميلي.

اتفقوا على أن يُكتفَى بِنَفي إميلي خَارجَ فرنسا مُقابلَ أن يتزوَّجَ هنري الثاني وبأسرعِ وقتٍ زَوجَةً تختارُها لهُ ماتلدا دونَ اعتراضٍ منه.

كانت تلك الليلة كجناحِ الغُراب، حالكة السَّواد. فتمكَّنَ هنري الثاني مِنْ أنْ يتَسلَّل – وبمُساعدة حُراسه – إلى السجن الذي أودِعت فيه إميلي. ما أن رَأته حتى ارتَمت في حُضنه وهي تَرتَعش وتَبكي بِحُرقَة. كَانت تَنظُر مُبَاشرةً إلى عينيه وفي عَينيها خَوفٌ بَالِغ. بَعد أن سَكنَت رجفَتُها سَألته:

- هَل ستَقتلونني؟

- لا! لَن يَمسَّكِ أحدٌ! اهدأي يا حبيبتي.

- لكنَّ السَّجَّان أخبرني بَأني سَأعدَم في الصَباحَ!

- لا. لَن يَحدُثَ ذلك ولو اضطُررتُ لحَربِ والدتي! أنا لا أخلفُ وَعداً أبداً. لَقد وَعدتُكِ بالزَّوَاج. لكن يا إميلي، أنَا وَعدتُ والدتي أيضاً أن انتَقِمَ لها ولوالدي وجَدي من ستيفن. لقد عَاهدتُ نَفسي على ذلك. ويبدو أن زَواجنا سيُفسِدُ ذلك.

- أيُّ الوَعدين ستُخلِف يا هنري؟

- قلتُ لكِ، أنا لا أخلِفُ وعداً أبداً.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شَرَحَ هنري الثاني لإميلي اتفاقَهُ مع والدته. ثُمَّ طَلَبَ منها أن تَستَقرَّ لفترَة مُؤقتة في مَدينة لاكسويل في ألمانيا التي كَانت تَحدُ فرنسا جنوباً في تلك الأيام. أخبَرَها أنه سيُرسِلُ مَعها حُرَّاساً وكِتَاباً منه لكبير قَسَاوِسة دير لاكسويل حتى لا يَتعرضُ لها أحدٌ بِسُوء.

حَدَثَ ذَلك. في صَبيحة اليوم التَالي غَادَرت إميلي مُتَّجِهةً لمَدينة لاكسويل بِرفقَة حُرَّاسٍ يَثقُ بِهم هنري الثاني.

كانَ هنري الثاني يُدرِكُ تَماماً أن والدته لَن تَترُكَ إميلي لتَعيشَ بِسَلام. وأن بَقاءَها عَلى قَيد الحَياة قَد يُفضي إلى انتِشَار حِكَايتِها مَعه مِما قَد يُؤثرُ على صُورة العَائلة كَمَا تَخشَى. لِذَا، كَانت لَدى هنري خِطَّةٌ بَديلة لا يَعرفُها سِواه!

بَحثَ هنري بَين جُنوده عَن رَجلٍ يَثقُ به ويكون مِمَّن شَاركوا في الحَملَة الصَّليبية الثَانية التي كَانت قَد انتَهت قَبلَ عَام واحدٍ فَقط (العام ١١٤٩م). لَم يَستغرق هنري الثاني وقتاً طويلاً في البَحث. فسُرعان ما عَثرَ على (أليكس)، أحد أشجع الجُنود وأكثرهُم ولاءً لوالده جيوفري. كان أليكس قَد شاركَ في الحَملة الصَّليبية الثانية تَحت لِواء المَلك لويس السابع، مَلك فرنسا.

استدعى هنري الثاني أليكس لقَصره، ثُم طَلبَ منه أن يُرافقه في جَولة قَصيرة في حَديقة القَصر، بَعيداً عن أعين الحُراس والخَدم. ما أن اطمأنَّ هنري الثاني لِعدم وجود مَن يَتبعه حَتى بَادرَ أليكس بالسؤال:

- كيفَ كَانت حَربُكُم المُقدَّسَة يا أليكس؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كَانت كَارثيةَ، سَيدي الدُوق. هُزمنا شَرَّ هَزيمة ولَطَّخنا الصَليبَ بعارٍ لا يُمحى!

- كيفَ رَأيتَ ستيفن، مَن يُسمّي نَفسَهُ مَلِكاً لإنجلترا؟

- كانَ قَائداً مِقدَاماً.

- لقد كُنتَ جُندياً تَحتَ إمرَةِ وَالدي، أليسَ كذلك؟

- نَعم، سَيدي.

- فكيفَ اذاً تُحارِبُ مُصطَفَّاً بجِوَارِ ألدِّ أعدائه؟

- إنه نِدَاء الصَليب، سَيدي الدُوق. تَتَلاشى كُلُّ تِلكَ الخِلافات أمَامَ واجِبَاتِنا المُقدَّسَة.

- أمازلتَ تَدينُ بالولاءِ لوالدي؟

- وحتى آخرِ يَوم في حَياتي. لو أمكنني أَن أهِبَهُ ما بَقِيَ مِن أيامي لفَعلت!

- عَظيم. كيفَ رأيتَ المُسلمين؟

- جُنودٌ شُجعان. لم أرَ جنوداً يُقبِلونَ عَلى المَوت مِثلَهم!

- وأخلاقُهم؟

- أخلاقُ النُبلاء. لا يَقتلونَ الأسرى، بل يُكرمونَهم! لا ينتقمونَ مِن القُرى التي يَفتحُونَها ولا يَهدمونَ كَنيسة!

- وصِدقُهم؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لا ينكثونَ عَهداً ولا يَغدرون.
- ما داموا بهذا النُبل، لِمَ تُحاربونَهم؟
- ليسوا مسيحيين، سَيدي الدُوق. هُم على مَقربَة من القُدس. سَبقَ أن دَخلوها وقَد يَفعلون ذلك مُجدداً. يجبُ ألا نَسمحَ لَهم بالاستيلاء على تِلكَ المَدينةَ المُقدَّسَة.
- هَل تَعرفُ ديارَ المُسلمين ومَناطِقهم جَيداً؟
- أقصَى ما وصَلتُ من مَناطِقهم كانت ضواحِي دِمَشق. فَبَعدَ وصُولنا للقُدس رِفقَةَ الملك لويس السابع، حَاولنا غَزوَ دِمشق غَيرَ مَرَّة. لكننا فَشِلنا.
- هذا كَاف.
- لكني أجيدُ لَغةَ العَرب!
- عظِيم!
- تعلمتها بأمرٍ مِنْ لويس السابع قُبيل الحَملة.
- قُل لي يا أليكس..
- أمرُ سيدي!
- هل أستطيعُ الوثوقَ بِك؟
- عليّ لَعنةُ الرَّب في السماوات إن خُنتُ ثقتك، أقسمتُ لوالدك بالولاء. ثم أقسمتُ لَك. وأنا لستُ رجلاً يَحنثُ بقَسَمه، سيدي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اطمأن هنري الثاني كثيراً لأليكس. حَدَّق في عَينيه فرأى صِدقاً وولاء. فطلبَ مِنه طلباً مُتهوراً ومَجنوناً وربما مستحيلاً!

طَلبَ هنري الثاني من أليكس أن يُرافقه في رِحلة سِريَّة إلى مَدينة لاكسويل في ألمانيا، ومِن هناك يَصطحبوا إميلي مَعهم خِفيةً ويَتجهوا إلى بِلادِ العَرب فيتركوها تَستقرُ هُناك لِفترة مُؤقتة بين ظَهرانيهم إلى أن يَتمكن هنري الثاني مِن استِعَادةِ إنجلترا ثُم يَقوم بإعادة إميلي إلى فرنسا. صُعق أليكس من طَلَب هنري الثاني، بَرزَت عَيناه وتَسمَّرت شَفتَاه وهو يَستمعُ لحديثه. ما أن فَرِغَ هنري الثاني من الحديث، عَبَّرَ له أليكس عَن صُعوبة المَهمَة وطَلَبَ مِنه أن يَختارَ وجهةً أخرى غَيرَ بِلادِ العَرَب. إلا أن هنري أكَّدَ لَه بأنه قد فَكَّرَ في ذلك مَلياً، فَجُند والدته يستطيعون الوصُول لأي مَكانٍ في أوروبا. والدته الإمبراطورة مازالت تحتَفظُ بعلاقة جَيدة بأغلبِ مُلوك أوروبا. المَكان الوَحيد الذي لا يستطيعون الوُصولَ إليه هو بِلاد العَرَب. سَألَ أليكس:

- لكن سيدي الدوق، كيفَ سَيقبلُ المُسلمونَ بأن تَعيشَ إميلي بينهم؟

- ألَم تَقُل إنهم نُبلاء ومُتسامحون؟

- نعم. بيدَ أنَّ إميلي فِرنسية دَخيلة. سَتثيرُ ريبتهم وربما حَنَقهم!

لا تَخَف. لن نقصِدَ في مدينة كَبيرة. سنحرصُ أن تَستقرَ إميلي في إحدَى القُرى الصَغيرة البَعيدة عن سَاحاتِ الحُروب والتَّوتُر. سنجدُ حَلاً لكُل شيء. الأهم، أليكس، هَل أنتَ مَعي في هذا؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رَدَّ أليكس بِكُلِّ حَزمٍ وثَبَات وشَجَاعةُ الفُرسان تَشِعُ مِن عَينيه: نَعم سيدي الدوق!

بعدَ أشهُرٍ قليلةٍ مِن الإعدَاد والتَخطيط، غَادرَ هنري الثاني نورمندي مُصطَحباً أليكس بَعد أن أخبَرَ مَن في القَصر أنهُ ذَاهبٌ في رِحلةِ صيد قَد تستَغرقُ عِدةَ أسابيع. بَعد يَومين مِن الرِّحلَة، أمَرَ هنري الثاني حُرَّاسَهُ المُرافقين بالعَودَةِ إلى نورمندي بِحُجَة أنه يُريدُ أن يُكمل بَاقي الرِحلة لوحَده وأقنعَهم أن وُجودَ أليكس مَعه كَافٍ لحِمَايته، ثُم قَصَدَ فَورَ مُغادرتِهم مَدينة لاكسويل، كَما اتفَقَ مع أليكس.

بعدَ رحلةِ يَومين فقط، وَصلَ هنري الثاني وأليكس إلى لاكسويل. حَاولَ هنري الثاني التَنَكُّرَ كشابٍ مِن عَامةِ النَّاس بملابسٍ كان قد جَلَبها له أليكس. وما أن وَضعَ قَدمَهُ على أرضِ لاكسويل حَتى بَدأ بسؤالِ المَارَّةِ عن مَقَرِ الدير الشَهير فيها. ثُم اتجهَ فُوراً للدير بعدَ أن استدلَّ عليه من أحدهم. هناك، فوجئَ هنري الثاني وأليكس بكبيرِ القساوسةِ هناك وكأنما كان ينتظرهم! كانَ القِس كَبيراً في السِّن ومُتكئاً على عَصاً غَليظَة يَعلوها صَليبٌ من الذَهب ويَضعُ عَلى كَتفيَه عَباءَةَ القسَاوسَةِ القَشيبَة. كانَ يَرقُبُهم من بَعيد وهم يَعبرون زُقاق مَدخلِ الدير المَهيب وابتسامةٌ عَفويةٌ تَرتَسِمُ على مُحيَّاه. مَا أن أقبلوا عليه حتى رَحَّبَ بهم بحرارة، ثُم طَلبَ من هنري الثاني أن يُحادثَهُ في خَلوَة. قادَ القسيس هنري الثاني إلى إحدى الغُرف ثم أغلقَ البَابَ بإحكام، والتفتَ على هنري الثاني قائلاً:



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أهلاً بِكُم، سُمو الأمير!

- أمير؟ أنا؟ لا يا نِيافَة القِس! يبدو أن قدَاسَتُكم قَد التَبسَ عَليه الأمر.

- لا داعِ لأن تُخفِي شَخصيَتك هُنا سُمو الأمير. أنا أعرِفُ كُلَّ شيء. إميلي أخبرتني.

- إميلي؟ أينَ هِيَ؟

- انها في مكانٍ آمِن لا تَقلَق.

اتضَحَ أن إميلي لَم تَكُن على ثِقَة بَأن مُرافِقيها مِن الحُرَّاس لَن يَغدُروا بها ويَتآمروا عليها بَأمرٍ من ماتلدا. لِذا افتَعَلَت مُشكلةً مَع أحدِهم ثُم أوهمتهم بَأنها فَرَّت مِن لاكسويل. وبعدَ أن تَعذَّرَ عَلى الحُرَّاس العُثورَ عليها غَادَروا لاكسويل عَائدينَ إلى فَرنسا. في حِينِ كَانت إميلي في الحَقيقة مُتَخبئةً في الدير بِرعايةِ كَبيرِ القسَاوِسة الذي شَرَحَت لَهُ الأمرَ بِرُمَّته.

طلبَ هنري الثاني مِن القِس أن يَرىَ إميلي، فَرافَقَهُ إلى إحدَى السَاحَات الخَضراء في أطرَافِ الدير. وهُنَاك كَانت إميلي تَجلسُ بهُدوء وتَنظُرُ إلى السَّمَاء بصَمت.

تَسَمَّر هنري الثاني في مَكانه حينَ رَأى إميلي. كَان يَتأملُها من بَعيد دُونَ أن تَشعُرَ به. اعتَصَرَ الألَمُ قَلبَ هنري الثاني وهو يَرى إميلي وقد ذَبُلت مَلامُحها وأشحَبَ الحُزنُ لَونَها. بَدت وكأنها كَبُرت عشرينَ عَاماً خِلال تِلكَ الأشهُر القليلة التي غَابَت فيها عَنه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نَادَى الأميرُ الشَاب مَحبوبَتَهُ بصوتٍ خَافت مُرتَعش كَصُوت مُحتضِر، فالتفتت إليه والذُهولُ يَملأ عَينيها! بَعد ثوانٍ من نَظرات التَعجُّب وعَدَم التَّصديق، نَهضَت إميلي بسُرعَة واتجهت نَحو هنري الثاني قَبلَ أن تَرتَمي في حُضنه والدُّموعُ تُغرقُ وجنَتيها الغَضَّتين فيما كانَ هو يحتَضنُها بشوق. حينها، تَنحنَحَ القِس بصوتٍ عَال وهو يقولُ مبتسماً: أنتما في بيت الرّب، لا تنسيا ذلك! فشَعرَ هنري الثاني وإميلي بخجلٍ شَديد وطَلَبا الصَّفح من القِس قبلَ أن يَتوجهوا جَميعاً لإحدى الحُجَر الصَّغيرة في الدير.

بعدَ أن رَحَّبَ القِس بهنري الثاني وتَمنَّى لَهُ طِيبَ الإقامَة في لاكسويل تَركَهُ مَع أميلي وذَهبَ ليُطمئنَ أليكس الذي كانَ يَنتظرُ هنري الثاني بقَلق في بَهو الدير. ما أن غَادرَ القِس الحُجرَة حَتى بَادرَ هنري الثاني بسؤالِ إميلي:

- لمَ أخبرتِ القِسَ عن أمرنا؟ يَبدو أنكِ غَيرَ مُدركَة لحَجم الخَطَر الذي يتهدَّدُكِ هُنا! أنتِ تَعلمين جَيداً أن اتفَاقِي مَع وَالدتي ضَمَّ شَرطاً بأن لا يَعلمَ أحدٌ بأمرِنَا بَعد نَفيك خارجَ فرنسا. تَستطيعُ والدتي الوصُولَ إليكِ بسهولة هُنا!

- هَدئ من رَوعِك يا هنري! لَم أُخبِره بالأمر حَتى تَأكدتُ من صِدقه. كانَ لابُدَ من ذلك لأني لم أحتَمل حَياةَ الخَوف التي عِشتُها مَع الحُرَّاس. كُنتُ لا أنام سِوَى سُويعات مُتَقطِّعَة أفيقُ خِلالَها مَفزوعَةً كل ليلة، حيثُ بَاتَ الشَّكُ يُساورُني بأنهم سيَقتلونني أثنَاء نَومي ارضاءً لماتلدا. لقد سَمعتَهم يَتهامَسون



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأنَّ الخَلاصَ مِني سيُفرحُ ماتلدا. كَانوا يُضمِرونَ لي الشَّر. لم أجِد مُغيثاً سِوى القِس ولا مَلجأً سِوى الدير.

- أرجو أن يكون أهلاً لثِقتكِ يا إميلي.

- نعم، إنه كذلك. أنا وَاثِقة.

- عموماً، لَن نَمكُثَ هُنا طَويلاً. بَقاؤكِ في أي مَكانٍ تَستطيعُ والدتي الوصُولَ إليه بجُندَها هوَ مُخَاطرَة يجبُ تَلافيها.

- مَاذا يَدورُ في رَأسكَ يَا هنري؟

- يَجبُ أن تَذهبِي لديارِ العَرَب!

- ماذا؟ من المؤكد أن وَعثَاء السَّفر قد أثَّرَ بِك فأصبَحتَ تَهذي! لا يُمكن أن يكونَ ما سَمعتُه للتَّو مِنكَ صَحيحَاً!

- بَل هو صَحيح! يَجبُ أن تَبقي هُنَاك لفَترةٍ مُؤقَّتة حتى أتمكنَ من استعادةِ مُلك إنجلترا فلا يَبقَ لوالدتي حُجَّةٌ في رَفضِ زَواجِنا. حينَها سأرسِلُ مَن سيُحضِرُكِ إلي. بَل لرُبما أتيتُ لكِ بَنفسي!

- هذا ضَربٌ من الجُنون. أنتَ تُلقي بي إلى الهَلاك!

- لا تقلقِ أرجوكِ. أحضرتُ معي فارساً من خِيرةِ فُرسان أوروبا وأكثرهَم وَلاءً وصِدقاً ليَمكُثَ مَعكِ ويَحميك!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وما يَضمَنُ أنكَ تَحتَ ضَغطِ والدتِك الامبرَاطُورَة وتَأثيرِ نَشوةِ المُلك والانتصَارِ لَن تَتخلَّى عَني؟ هَل تتوقعُ مِني أن أذهبَ للموتِ طَوعاً بلا ضَمَانات؟

- سأتزوَّجك!

تَجمدَت الدمَاء في عُروقِ إميلي. كانت تَنظرُ إلى هنري الثاني والصَّدمَةُ تَعتَريها مِمَا سَمِعَت. فلَم تَتَوقَع أبداً أن يَعرضَ عَليها الزَوَاج!

بعدَ لحظات من الصَمت. قالت إميلي وهي تنظرُ للسَّماء عَبرَ نَافذة صَغيرة: «أُحبكَ يا هنري! سأفعلُ كلَّ ما تُريد. يَكفيني كَرَماً من الرَّب أن تكونَ زَوجاً لي!». اقتربَ مِنها هنري الثاني ليمسحَ دمعةً انهمَرَت من عَينها قبلَ أن يرُد: «أنا أحبكِ أيضاً. لن أتخلَّى عنكِ مَا حييت. أعِدَك!» قبلَ أنْ يلثمَها بحرارة ويُغَادَر المَكَان.

Telegram:@mbooks90

تَركَ هنري إميلي في الحُجرَة وانطلَقَ مُسرِعاً يَبحثُ عن أليكس وكبيرِ القَسَاوِسة. وجَدَهم في المَعبَد، كان القِس جَاثياً على رُكبتيه وحَولَه الكَهنة وسَدَنةُ الدير يَترَنَّمونَ بالصَلواتِ الكَنسيَّة، فيما كانَ أليكس جَالِساً عَلى كَراسي المَعبَد الخَشَبية العَتيقَة والوَجَلُ بَادٍ عَليه. جَلسَ هنري الثاني بِجَانبه بهدُوء وأخبَرهُ بما حَصلَ بصوتٍ خَافت. أصرَّ أليكس أنَّ بّقاءهم في لاكسويل يَنطوي عَلى مُخاطَرةٍ كَبيرة وأن عَليهم المُغادرة بأسرعِ وَقت. «التَفِت حَولكَ، سيدي الدوق. الجَميعُ يَرمقنا بنظراتٍ تملؤها الرِيبَة. سيصلُ خَبرنا والدتكُم في وقتٍ قَصير!»، هَمسَ أليكس بقلق. أجابَه هنري الثاني بأن مُدَّةَ بقائهم في



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لاكسويل لن تطُول، لكنَّه بحاجةٍ للحديثِ مع كَبيرِ القَساوِسة في أمرٍ هَام قبلَ تحديد مَوعدٍ للمُغادرة.

حينَ فَرغَ القِس من صَلاته، اتَّجَهَ إلى هنري الثاني وأليكس وطَلبَ منهما المَبيتَ في الدير حيثُ كان جليًّا أن الإعيَاء قد أخذَ منهُما كُلَّ مَأخذ. وافقَ هنري الثاني شَريطةَ أن يَلتقي القِس في المَساء في خُلوة، فأومَأ القِس برَأسه إيجاباً وهوَ يَبتسم.

في المَساء، التقى هنري الثاني بالقِس في المَعبَد وقد خَلا من المُصلين. وبدونِ مُقدِمَات سَألَ هنري الثاني القِس إن كان بإمكانهِ أن يُساعده أن يَتزوَّجَ من إميلي سِرًّا!

أطرَقَ القِس لوهلةٍ قَبلَ أن يرُد:

- كُنتُ أعرِفُ أنك سَتطلُبُ مني طَلباً كهذا. بُنَي، يَصعُبُ على قِسٍ مِثلي مُخالَفةَ التَقاليد المَسيحيَة وعقدَ رِباطَ الزَواجِ المُقدَّس في السِّر. كَما يَصعُب علي استِعدَاء والدتك الامبراطورَة وأسرَة نورمندي المَالِكَة.

- حسناً فَهِمت.

- لكن! يَصعبُ عليَّ أكثرَ أن امتَنِعَ عن مُساعدةِ قَلبين شَابين اجتَمَعَا على حُبٍ صَادقٍ وبَريء. ما كان يسوع ليقبلَ بذلك!

اقتربَ هنري الثاني من القِس وقَبَّلَ يَدَه. في تِلكَ الخَطَوات المَعدودة التي مشَاهَا ليَصِلَ إلى القِس، مَرَّت في ذِهنِ هنري الثاني ألفَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صُورة لألف عَاقبَة قَد تَعقُبُ تَصرُّفَهُ هذا. لكِنَّ حُبَّهُ لإميلي كانَ كَفيلاً بأن يَطرِدَ كُلَّ تلكَ الهَواجسَ من رَأسِه.

طلبَ القس من هنري الثاني أن يُحضرَ أليكس ليَشهدَ زَواجَه وأخبَرَهُ بأنه سيذهَبُ لإبلاغ إميلي واحضَارِها للمَعبَد. حينَ اجتمعَ الكُل، عَقدَ القسُ رِبَاطَ الزَواج المُقدَّس بينَ هنري الثاني وإميلي. ثمَّ أخبرَ هنري الثاني أنَّ بإمكانه أن يُمضِي لَيلَتَهُ مع إميلي في كُوخ مُجاور للدير لا يَقطِنهُ أحد. وهناك أمضَى هنري الثاني أجملَ ليالي عُمرِه!

في مَساء اليوم التَالي، غَادرَ هنري الثاني وعَروسهَ إميلي وأليكس مدينةَ لاكسويل بَعدَ أن ابتاعوا فَرَساً قويةً لإميلي وودعوا القس الذي وَعدَهُم بالصلاة لَهم. غادَروا سِرَّاً مُتسترينَ بالظلام والأجوَاء المُتقلِّبَة، حَيثُ لَبسَ الجَو فجأةً مطرَفهُ الأدكَن، قَبلَ أنْ يَنهمِرَ مَطرٌ غَزيرٌ أغرَقَ المَدينَة، مَطرٌ يسيحُ في الرضرَاض سَيحَ النَّضنَاض. وعلى الرُّغم من أن وجهتهم لم تكُن مُحددةً، لم يبدُ على أحدِهم الخَوف من المُستقبل، وكأن هنري الثاني وإميلي قد أيقنا أن ما هُم مُقبلينَ عليه هو قَدَرٌ لا مفرَّ من خَوضِ غَمَارِه. استمرَّت الرِّحلةُ أياماً عِدَّة عَاشا فيها سعادةً لم يَعرِفوها من قَبل وكأنهُما نَسيَا أنهما سيفتَرِقان بَعدها. من ألمانيا – التي كانت ضِمنَ سُلطَة الإمبراطورية الرُومَانية – انطلَقُوا، فقطعوا هنغاريا، ثم إيطاليا - التي كانَت أيضاً ضِمنَ سُلطَة الإمبراطورية الرُومَانية - ومِن هُناك اتجهوا إلى أقصَى جَنوب الإمبراطورية.

على مَقرُبة من حُدودِ مدينة حَلَب، طَلبَ أليكس من هنري الثاني أن يعودَ أدراجهُ إلى فرنسا، حيثُ ستصعبَ عليه العَودة في حَالِ دَخل



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معهم إلى بِلادِ العَرَب، كما أن بَقاءَه بِمُفرَده في تِلك البِلاد سيُعرِضُه لخَطرٍ شَديد. على مَضَض، وافقَ هنري الثاني. كانت لحظاتُ وداعِ هنري الثاني وإميلي صَعبَةً ومَريرَة. نَظرَ هنري الثاني إلى إميلي وهو يُمسِكُ وَجهها الصَغير بكفَّيه وقال:

- سنلتقي مُجدَّداً. أعِدُكِ!

- أعرفُ أنكَ ستَفي بوعدِك!

- كوني شجاعة. أنتِ زوجَةُ هنري دوق النورمندي، بحقِّ السَّمَاء!

- سأكون!

أخرجَ هنري الثاني من جُعبته عَصاً خَشَبيةً قَصيرةً وغَليظَةً ومُطرَّزةً بالذَّهَب تُشبِهُ الصَّولجَان، ثُمَّ أخرَجَ رُقعَةً طَويلةً مِن الجِلد كُتِبَت عليها أحرُفٌ مُتعامدة لا مَعنى واضِح لها وكأنَّها طَلاسِم. أعطَى هنري الثاني العَصَا والرُّقع لإميلي ثُم طَلبَ مِنها أن تَحتفِظَ بهم مَهما كانت الظُّروف! سَألته عن مَاهيَّة تِلكَ القِطَع، فأجاب: «في هذه القِطَع دَليلُ زَواجِي مِنك. لا يُهم أن تَفهمي الآن. المُهِمُ أن تَبقَى العَصَا مع الرُّقَع فلا مَعنَى للرقَع بِلا العَصَا والعَكسُ صَحيح». وضَعت إميلي العَصَا والرُّقَع في صُندوقٍ خَشبي كَانت تَضَعُ فيه مَتَاعَها وأحكَمَت وِثَاقَه.

Telegram:@mbooks90

ودَّعَ هنري الثاني أليكس وأوصَاه على إميلي، ثُم اتجَه لإميلي واحتضَنَها قبلَ أن يودِّعها بصَمت. كانَ وَدَاعاً هَادئاً تَحدَّثت فِيه العُيون وأخرِسَت الشِفَاه. غَادرت إميلي يُرافِقُها أليكس وهنري الثاني يَرقبهُما



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِن بَعيد وهما يتلاشَيان في الأُفق. فلم يَقوَ على حَبسِ دُموع انسكَبَت مِن عَينيه فقد أدمَى حُزنُ الفِراقِ فُؤادهُ الشَّاب وأضنَاهُ القَلقُ على زَوجِهِ ومحبوبَته التَي غَامَرَ بكُلِّ شَيءٍ من أجلَها.

سُرعانَ ما استجمَعَ هنري الثاني قُواه ورَبَاطةَ جَأشِه وبَأسَه. فكَفكَفَ دُموعهُ بِرَدنِه ووثبَ على خَيله مُتَجِهاً إلى الشَمال عَائداً إلى فرنسا.

انتهى الفصل الثالث.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

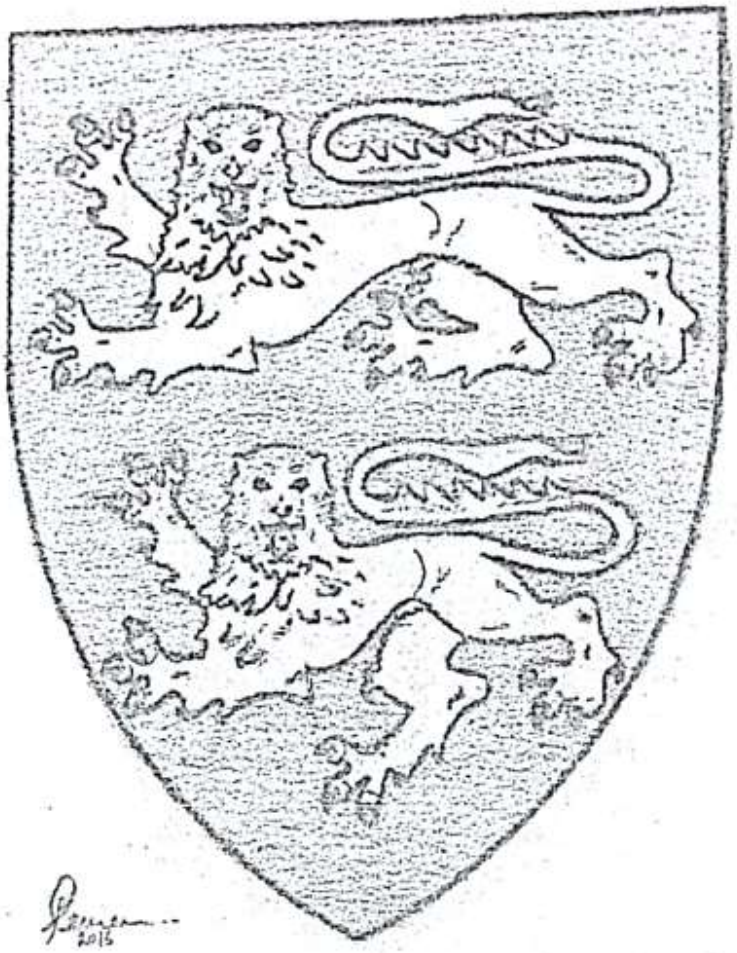

- Heraldic Design / Arms شعار

House of Normandy – أسرة آل نورمندي



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

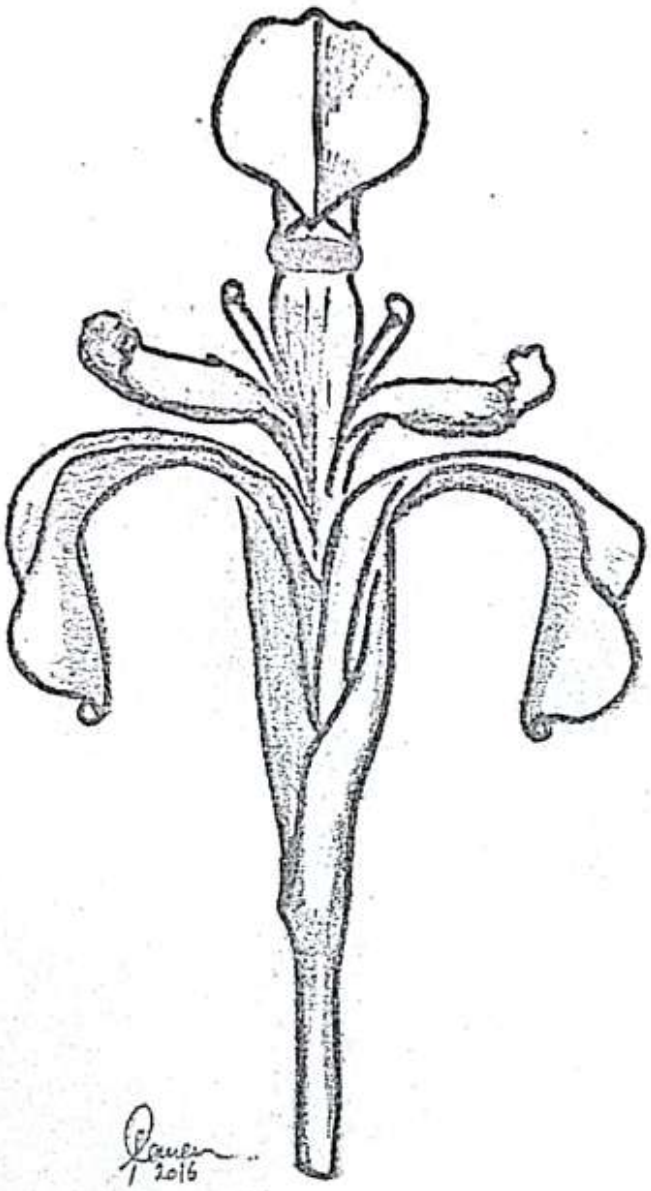

زهرة السوسن – Iris Florentina

من هذه الزهرة الجميلة بوريقاتها الست تم استيحاء شعار (وردة الزنبق) أو (Fleur-de-Lis)،
الشعار الأشهر في تاريخ أوروبا وربما العالم بأسره!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعار – symbol

وردة الزنبق – Fleur-de-Lis

هذا الشعار هو رمز أناقة التصميم الأوروبية منذ مئات السنين وحتى اليوم وفي كافة المجالات،

هو شعار ملكي، سياسي، ديني، فني!

بالكاد تجد شعاراً ملكياً لأي دولة أوروبية يخلو من هذا الرمز.

يعتقد المؤرخون أن أول من استخدمه بشكل رسمي كان لويس السابع ملك فرنسا،

وإن وجدت نقوش مشابهة لهذا الرسم في أحافير العصر البابلي.

على الرغم من أن الشعار يسمى وردة الزنبق، فالرسم هو أقرب بكثير لزهرة السوسن.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الرابع

عادَ هنري الثاني إلى فرنسا بعدَ رِحلةً ماراثونية قَطعَ فيها جِبالَ أوروبا ومَرَّ بمُدُنها وقُرَاها بُسرعة كَبيرة. كانَ الإرهاقُ الجَسدي والذِّهني قد بَلغَ منهُ مَبلغاً كادَ يُوردُهُ الهَلاك. فإميلي التي تَركَها على حُدودِ مدينة حَلَب العربية لَم تُفارِقه! كانت مَعهُ في فكرِه ووجدانه طِوالَ الوَقت. أصبحَ الآن أكثرَ إصرَاراً من ذي قَبل عَلى غَزو إنجلترا وبأسرَعِ وَقت، وشَغوفاً باستعادةِ مُلكها أكثرَ من أي وقتٍ مَضَى!

طلبَ حُضور قائد جَيشه فورَ دُخولِه قَصرَ أسرَة آل نورمندي النيَّف في مُقاطَعة نورمندي في فرنسا وهوَ بالكادِ يَجرُ قدمَيه منَ الإعيَاء وسطَ عبارات الترحيب ونظرات القلق والاستغراب من العَاملينَ في القَصر. ثُم دَلفَ لجناحِه وارتمَى على سَريره الوَثير ليغرَقَ في نَومٍ عَميق.

لَم يُفق هنري الثاني من سُباته العَميق إلا على صَوت بُكاء والدته وهي تَحتضنُهُ وتَهزُ كَتفيَه بغضَب: «أين كُنتَ كُلَّ هَذا الوَقت؟ كدتَ أن تقتُلَني خَوفاً عَليك! لمَ تَفعلُ هذا بي؟ كيفَ تَذهبُ للصيدِ بمُفرَدك؟ أينَ أليكس الذي كانَ يُرافقُك؟». أجابَ هنري الثاني بهدُوء: «سأجيبُكِ لاحقاً عَن كُلِّ هذه الأسئلة يا أمي. المُهم أني عدتُ، وأنَا بخَير كَما تَرين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمَّا الآن، فلديَ مَوعِدٌ هَام مع قائد الجيش لوَضعِ خُطَّة الاستعدَاد لغ
إنجلترا». فُكَّت حَواجِبُ ماتلدا المَعقودَة حِينَ سَمعت رَد هنري الثان
لم تَستَطِع أن تُخفِي سَعادتها بخبرِ الإعدَاد لغَزو إنجلترا! فقد كا
هنري الثاني يُردِّدُ بعدَ هَزائمه أمَامَ ستيفن أنَّ قَهرَ جَيشَ ستيفن القَ
في إنجلترا يتطلَّبُ سنوات عدة من الإعدَاد والتَّحضير. لكِن يبدو أ
غَيَّرَ رَأيه وقَرَّر أنْ يُعاودَ حَربَ ستيفن ويستَأصِلَ شَأفتَه!

في مَساء اليوم التَالي، اجتمعَت ماتلدا مع هنري الثاني اجتمَاع
خَاصاً لتَعرِفَ منه سَرَّ غيابه لأكثرَ من شَهر بِلا مُرافقين. حَاكَ له
هنري الثاني حكايةً من نَسجِ خَياله عن رحلةِ صَيد طَويلة أخذتهُ خارِ
الحُدود. ثم أخبرَها أن أليكس أعجبَ بفتاة في ألمانيا وطَلبَ منهُ أن
يَأذن له بأن يَستقرَّ هُناك، فأذِنَ لَه. لَم تُصدِّق ماتلدا بحنكتها وذَكائها
المَعروف تلكَ الحَكَاية الوَرهَاء. بَل بَدأت الشُّكُوكُ تُساوِرُهَا بَأن هنري
الثاني ذَهبَ لألمانيا بِهدَف لِقاء إميلي، فَسألته:

- هَل تَعرفُ أن إميلي قَد هَرَبت مِن مَنفَاها في لاكسويل؟
- سَمعتُ ذَلكَ من أحد العَاملينَ في القَصر يَومَ الأمس. ما عَلاقَةُ ذَلك بحَديثنا؟
- ألا تَجدُها مُصادَفةً غَريبَة أن تَهرُب إميلي في نَفسِ الفَترة التي تكونُ أنتَ متواجداً فِيها في ألمانيا؟
- لا أبداً! ألمانيا مَملكةٌ ضَخمَة كَما تَعرفين. أولستِ إمبراطورة الروم!؟ صدقيني، لقد نَسيتُ إميلي تماماً!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لا أصدِّقُك. أنتَ تَكذِب! أتظُنُّ أنَّ حِيَلاً كهذهِ تَنطلي عَلي!
- ما الذي تُريدِينَه؟
- أن تَتَزوَج. وفي أقرَب وَقت!
- لكن..
- لا مجالَ للرَّفض. لقد كانَ ذلكَ جُزءاً من اتفَاقِنا تَحتَ اليَمين المُقدَّس!
- لَم أرفُض. لكني أطلُبُ التأجيلَ حتى ننتهي مِن غَزو إنجلترا.
- نحنُ بِحاجةٍ لزَواجِكَ هَذا قَبلَ حَربِنا مَع ستيفن.
- لكن..
- انتَهى الأمر. لقد اختَرتُ لَكَ عَروساً!
- ومن تكون هَذِه العَروس؟
- إليانور.
- إليانور! زَوجَةُ لويس السَابِع مَلكِ فرنسا! كَيف؟
- لقد أبطلَ البابا أوجين زَواجَهما قُبيلَ ذَهابِك في رَحلةِ الصَّيد المَزعُومَة!
- أتطلُبينَ مِني أن أتزوَجَ مِمَّن كَانت زَوجَةً لعدوٍّ وَالدي اللَّدُود؟
- نَعم! سيكسِرُ ذَلك قَلبَه ويَرفَعُ مِن شَأنك أمَام حُلفَائك.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت إليانور زَوجةَ لويس السَابع مَلِك فرنسا الشَّهير. عاشت مَعهُ رَدحاً مِنَ الزَمَن واصطَحبَها مَعهُ في الحَملَة الصَّليبية الثَّانية. إلا أنَّ لويس السابع أصبحَ مُستَاءً منها لأنها لَم تُنجِب لَهُ أولاداً مما يُشكِّل خَطراً على مَملَكته، فَقد كَانت التَقَاليدُ المَسيحيَّة في ذلك الوَقت تَمنَعُ فَكَّ رِبَاطِ الزَواجِ المُقدَّس - أو ما يُعرَف بالطَلاق - وبشَكل صَارِم. لذا شَعُرَ لويس السابع أنَّه في مَأزِق كَبير مَع إليانور. إلا أنَّهُ تَمكَّن أخيراً من إقناع البابا أوجين – رُبما بِطُرقٍ مُلتَوية – بأن يُبطِلَ زَواجَه من إليانور بِحُجَّةِ أنها تَرتَبِطُ به بدَمٍ وقَرَابَة عائلية مُبطِلَة للزَّواج.

كانَ هنري الثاني يُواجِهُ امتحاناً في غَاية الصُّعُوبَة. فقد كانَ يتمسكُ بالمبادئ المَسيحيَّة والأصُولِ الكَنَسيَّة ويَحرِصُ على الالتزام بِها. فكيفَ لهُ اذاً أن يتزوَّجَ امرأةً أخرَى وهوَ مُتزوجٌ من إميلي! فهذا يَعني أن زَواجَه من إليانور سيكونُ زَواجاً بَاطلاً! مَاذا سيفعلُ النَّاس لو عَلِموا بِتلكَ الحَقيقة؟ حتماً سينهَارُ حُكمُه ويُفتَكُ بتاريخ أسرَته لو فُضِحَ هذا الأمر. لكن، ومَرةً أخرَى، يُغامِرُ هنري بكُلِّ ذَلك في سَبيلِ تحقيقِ هَدفه الأول، الانتصارُ على ستيفن واستعادَةَ إميلي. لذا، وبعدَ إلحاحٍ كَبير من والدَته، قَبِلَ بالزواج من إليانور! حيثُ كانَت خُطَّتُه أن يجدَ طَريقَةً بعدَ استعَادةِ إنجلترا يُبطِلُ بها زواجَه من إليانور – تماماً كَما فَعلَ لويس السَابع - ومن ثَم يُعلِنُ زَواجَه من إميلي بَعد احضَارِها من بِلادِ العَرَب وكَأنه يَتزوَّجُها للمرَّةِ الأولَى. فَلا أحد يَعرِفُ بزواجِه منها سِوى شَخصين لا مَصلَحةَ لهَما في فَضحِ ما حَدَث، قِس لاكسويل وأليكس.

تمَّت مَراسِمُ زَواجِ هنري الثاني من إليانور بَعدَ ثَمانيةِ أسابيع



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقط من انفصالها عن لويس السابع، في العام ١١٥٢م. كانَ عُمر إليانور حينها ثلاثين عاماً فيما كانَ هنري في عامه التاسع عشر. كانت إليانور مَعروفَةً بحُسنها الطَّاغي. كما اشتَهرَت بحصافتها ودَهائها السيَاسي حَيثُ رافَقت لويس السابع في معَاركه ولازمَتهُ في الأزمَات السياسية التي مَرَّ بها. ولكن، على الرُّغم من ذلك، كانَ ضَعفُ الانسجام بينها وبين هنري الثاني واضِحاً منذُ البداية. لقد كانَ زواجُهما أشبَهُ بإتفاقية سياسية، بَل حتى في تواصُلهما الشخصي كانت الأمورُ تميلُ كثيراً للتكلُّف البروتوكولي والبُرود العَاطفي. كانَ هنري الثاني يسأل إليانور كَثيراً عن الحَملَة الصَليبية الثَانية ومَا تَم فيها وعن بِلاد العَرب والمَسلمين، وكانت تَساؤلاتُهُ تلك تُثيرُ رَيبةَ إليانور وبخاصة أن هنري الثاني كانَ يُبدي مَعرفَةً بطُرقِ الوصُولِ لبلاد العَرَب وبَعض تَفاصيلِ مُدُنهم عَلى الرُّغم مِن أنَّه لَم يَذهب إلى هُنَاك مُطلقاً، أو هَكذا يَدَّعي.

لم يُضِع هنري وقتاً بعد زَواجه، بَلْ عَملَ بشكلٍ دَؤوب ومُستمر للإعداد لغزو إنجلترا، وهو ما تَمَّ في شتاء العام ١١٥٣م. فبعدَ تَحالُفات سياسيَة مُعقَّدة وتَجهيز جَيش صَغير جُلُّهُ من المُرتَزقة، وَجدَ الشَّابُ ذو العشرينَ رَبيعاً نَفسهُ يَقودُ الجُندَ ويَعبُرَ بهم بَحرَ المَانش ليواجَهَ فِرقةً من جَيش ستيفن في مَعرَكة حَاسمة لفَكِّ الحِصَار عن قَلعَة ويلنغفورد. كانَ قَرارُ هنري الثاني المُفاجِئ بغزوِ إنجلترا قَد جاءَ رَداً على حصارِ ستيفن لقلعَة ويلنغفورد في مُقاطَعة أكسفورد جَنوبَ إنجلترا. كانت تلك القَلعَة تَدينُ بالولاء لهنري الثاني وقد كانَ يُخطِّطُ للتَّحصُّن بها عندما تَحينُ سَاعَة غَزوِ إنجلترا، فَقد كَانت قَلعةً يَحسرُ دُونَها النَّاظِر ويَقصرُ عَنها العُقابُ الكَاسِر. لكنَّ حِصَارَ تلكَ القَلعة قَد عَجَّلَ بتلك السَاعَة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانَ غَزو إنجلترا في الشِّتَاءِ القَارِس وبجَيشٍ كجَيشِ هنري الثاني أمراً في غَايَة الشَّجَاعة فاجأ الكثيرين وأولُهُم ستيفن. إلا أنَّ هنري الثاني، على الرُّغم من قِلَّة عَدد جُنوده وضَعف عَتاده، كانَ مَدعُوماً من مُقاطَعات الشَّمَال والشَرق في إنجلترا، بالإضافة طَبعاً لحليف والدته الكَبير، خَالُه روبرت. انقسَمَ البارونات الإنجليز في دَعمِهم بينَ مُصطفٍّ مع ستيفن ومُصطفٍّ مع هنري الثاني. بينما استطاعَ هنري الثاني وبدَهَاء كَبير أن يُحيِّدَ رِجَال الدين بَعدَ أن فَاوضَهم على أنه لَن يَمسَّهُم ولا دُورَ عِبادَتهم في حَال نَأوا بأنفُسِهم عَن خِلافه وحَربه مع ستيفن. كانَ ستيفن يَملكُ جَيشاً جَرَّاراً قَادراً على حَسم مَعركته مع هنري الثاني بسُهولَة. إلا أنَّه انشَغَلَ بحُروبٍ دَاخليَّة في تلك الفَترَة، بينما كانَ هنري الثاني يستَغلُّ تَوَاجُدَه في إنجلترا ويَجمَعُ الحُلفَاءَ من حَوله ليُكوِّنَ جَيشاً قَوياً من المُنَاصرينَ له. التقى الجَيشَانِ على مَقرُبَة من نَهر التايمز بجِوارِ قَلعَة ويلنغفورد. لكن حَدثَ في ذلكَ الوَقت أنَّ مَرضَ وَريثُ عَرشِ ستيفن وابنه، ايوستس، قبلَ أن يَتوَفَّى بشكلٍ سريع ومُفاجِئ. في حين كَان ابنُ ستيفن الثاني، ويليام، لا رَغبَةَ لدَيه في المُلك حينها. دَعَا ستيفن هنري الثاني للتفاوض، فقَبِل على الفَور ولبَّى الدَعوَة.

وجدَ هنري الثاني نفسَهُ يُفاوضَ مَلكاً مَكسوراً مَخذُولاً يُكابِدُ المَرضَ على الرُّغم من أنَّه بالكاد يَبلغُ الستينَ من عُمره. كانَ ستيفن يعرِفُ أنَّه أضحَى بلا وَريث يَرِثُهُ بَعدَ وفاته، لذا رَأى أنَّه من العَبَث أن تَستَمِرَ الحَربُ وتُسفَكَ الدمَاء دُونَ طَائل. فعَرضَ عَرضاً غَريباً على هنري الثاني. بعدَ أن ذَكَّرَهُ بالقرابة التي تَجمَعُهُما، وبأنَّهُ مازالَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شاباً يافعاً في مُقتبَل العُمر، عَرضَ عليه أن تقفَ الحَربُ حالاً مُقابل أن يُعلنَ للإنجليز تَبنيَّهُ ابناً لَه وتَسميَتهُ وَريثاً لعَرشه بعدَ وفاته. استجدَى ستيفن هنري الثاني بأن يَحفَظَ له كَرامَتهُ وهوَ في أيامه الأخيرَة إكرَاماً لجدِّه هنري الأول – الذي يَكونُ خالَ ستيفن أيضاً – ورَداً لجميله حينَ عَفَا عَنه وسَاعدَه يومَ كانَ عَالقاً في إنجلترا قبلَ أعوَام. ضَعُفَ هنري الثاني أمامَ مَنظر ستيفن المَريض، وشَعُرَ بالنَّخوَة مَا أن سَمعَ اسمَ جدِّه الذي لطَالمَا أحبَّهُ وفَاخَرَ به، هنري الأول. على خِلاف المُتوَقع من شَاب مُتعطِّش للانتقَام، وافقَ هنري الثاني على طَلب ستيفن. فأعلنَ ستيفن ذلكَ فِعلاً في كَاتدرائيَة وينشتر أمامَ المَلأ مَطلَعَ نوفمبر من العام ١١٥٣م.

عادَ هنري الثاني إلى نورمندي، وهناكَ أستُقبِلَ وجَيشُهُ استقبَالاً يليقُ بانتصاره الكَبير والسَريع على ستيفن. كانت ماتلدا في مُقدِّمَة المُستقبلينَ لَه وعَلامَاتُ الفَرَح والزُّهُو تَملأ مُحيَّاها. قَد تَكونُ تِلكَ هي المَرَّةُ الوَحيدَة التي تُشاهَدُ فيها مُبتَسِمَةً بعدَ وَفاة والدها هنري الأول. فهيَ حتى في يوم انتصَارِها على ستيفن وتَسنُمِها مُلكَ إنجلترا – قبلَ اثنا عشر عاماً – لَم تفرَح بمقدَار فَرحِها بانتصَار ابنها هنري الثاني. كانَ انتصارهُ مَشروعَها الذي عَملَت عَليه لسنين، واليومَ ها هُو يُتوَّج بنجَاح بَاهر. كَمْ تَمنَّت لَو شَهِدَ وَالدُها المَلِكُ هنري الأول بطُولات سِبطِه هنري الثاني!

بعدَ أحد عشرَ شهراً من هذا الانتصَار، تحديداً في أكتوبر من العام ١١٥٤م، تُوفيَ ستيفن. ليُتوَّجَ هنري الثاني مَلكاً لإنجلترا في تَحوُّل كَبير لم يَتوَقع أحدٌ أن يتأتّى بهذه السُرعَة والسُهولَة. هذا التتويج أنهَى



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حُكم أسرَة آل نورمندي الذي كَان قَد بدأ في القرن الحادي عشر. فهنري الثاني من أسرَة آل بلانتجنيه. كانَ حُكم إنجلترا تَحدياً صَعباً لشَاب بالكاد يَعرفُ البلدَ التي يَحكُمها، بَل أنه لَم يَكُن حتى يُجيدُ التَّحدُّثَ باللغة الإنجليزية. إلا أنه اجتازَ هذا الامتحانَ بنَجَاح. فخلالَ فَترة قَصيرَة استطاعَ أن يَجمَعَ كُلَّ هَذه الألقاب: ملك إنجلترا، وحاكم ويلز واسكتلندا، ولورد إيرلندا، ودوق نورمندي!

كانَ الجميعُ مُبتهجينَ بهذا النَصرِ المُؤزَر لهنري الثاني. فعمَّت الاحتفالاتُ أرجَاء إنجلترا. ووصَلت التَهاني والتَبريكَات من جُلِّ مُلوك أوروبا، بَل وقَبلَهم مِن البابا نَفسه. كانَ نَصراً سياسياً وعَسكرياً من الطِرَازِ الأوَّل، استعادَ بِه هنري مُلكَ جَدِّه هنري الأول وثأرَ به لوالدته ووالده. إلا أنَّ هنري الثاني نَفسه لَم يَكُن مَأخوذاً بِتلكَ الفَرحَة. كانَ كلُّ ما يُفكِّرُ به هوَ كَيفَ يستَعيدُ إميلي، زوجَتُه البَعيدَة في بِلادِ العَرَب!

كان دخول الملك هنري الثاني وزوجته إليانور إلى لندن في الثامن من ديسمبر من العام ١١٥٤م دخولاً أسطورياً اصطفَّت فيه الحُشود في الطُرقات مُهللةً ومُرحبةً بالمَلِك الشَّاب، كما كانَ في استقبَاله كِبارُ الأسَاقفة والبارونات الإنجليز. وفي التاسع عشر مِنَ الشَّهر نَفسه تَمَّ تتويجُ المَلِك هنري الثاني وبجِواره زَوجتهُ إليانور رَسمياً ملكاً لإنجلترا في دير ويستمنستر في لندن.

بعدَ تتويج هنري الثاني بالمُلك، آثرَت والدَتهُ الإمبراطورة ماتلدا أنْ تَستقرَ في فرنسا، وظَلَّت هُناك حتى وافتهَا المَنيةُ في العَام ١١٦٧م عَن خَمسةٍ وستين عَاماً.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لَم يَمضِ على تَتويجِه مَلِكاً لإنجلترا سِوى أشهُرٍ قَليلة، حتى بَدأ هنري الثاني يَستعدُّ خِلالَها لمواجَهة الجَميع والوَفاء بِوعدِه لإيملي من خِلالِ العثورِ عَلى ثَغرَة يَنفذُ منها فيُبطِلَ بها زَواجَه من إليانور. لَمْ يَكُن الأمرُ بالسهولَة التي تَصورَها، خُصوصَاً وأنَّ الكَنيسةَ في إنجلترا أقوى بكثير وأشدُّ شَراسةً مِنَ الكنيسةِ في فرنسا.

في صَبيحَة يَوم مُمطِر، كانَ هنري الثاني مُنكبَّاً على مُتابَعةِ شُؤون البِلاد، فإذا بحَاجِب البَهو المَلَكي في القَصر يَهرَعُ إليه ليُخبَره أن زائراً يرفُضُ ذِكرَ اسمَه يَطلبُ مُقابَلةَ المَلك وعلى انفرَاد! استغربَ هنري الثاني ذلك وأثار ذلك فضوله، فأمَرَ جُلاَّسَهُ والحُرَّاس بإخلاءِ المَكان قبلَ أن يأمُرَ بإحضارِ هذا الزَائر. سَمِع هنري خُطوات مُثقَلَة تَتهادَى في بَهو القَصر فأشاحَ ببصَرِه نَحو مَصدَر الصَوت، إلا أن ما رَآه قد جَمَّدَ الدِمَاء في عُرُوقِه!

فقد كانَ هذا الزَائر هوَ أليكس!

انتهى الفصل الرابع



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملك هنري الثاني – King Henry II

(١١٣٣م – ١١٨٩م)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Queen Eleanor – الملكة إليانور

(١١٢٢م – ١٢٠٤م)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لوحة تحاكي أخرى شهيرة كانت قد رسمت في القرن الرابع عشر الميلادي، يظهر فيها الملك هنري الثاني وزوجته الملكة إليانور



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الخامس

لم يَكُن هنري الثاني يَتوقعُ مُطلقاً أن يَرى أليكس أمَامهُ في قَصرِه في إنجلترا في هذا الوَقت وبَعد زَمنٍ قَصير من تَوديعه على مَشارِف مَدينة حَلَب العَربية. وبِقدرِ صَدمته الكَبيرة لرُؤية أليكس، شَعرَ هنري الثاني بِخوف شَديد على إميلي. تَساءَل في نَفسه فَورَ رُؤيته، كيفَ يترُكها في بِلادِ العَرب وَحيدةً ويَأتي إلى هُنا؟! أم أنها رَافقته وتَختبئ في مَكانٍ مَا في إنجلترا؟! لكن، ما الذي أتَى بِهما الآن؟!

هَرولَ باتجاه أليكس الذي كانَ مُنهكاً وبِالكَاد يَقفُ على قَدَميه. وقبلَ أنْ يُقدِمَ تَحيتهُ للمَلك الجَديد، صاحَ بِه هنري الثاني: «أينَ إميلي؟ تَحدَّث!». التزمَ أليكس الصَمت وهوَ يَرمِقُ هنري الثاني بِنظرَات تَشُوبُها الحَسرَةُ والخَيبَة. ازدادَ هَلعُ هنري الثاني فأخذَ يَهزُّ كَتفي أليكس وهوَ يَصرخُ بِذُعر: «تَحدَّث! تَحدَّث!»، ليُجيبهُ أخيراً:

- إميلي بِخَير. لكن..

- لكن مَاذا؟

- إميلي لَن تَعودَ لإنجلترا!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لَن تَعود؟ لماذا؟ هل حدَثَ لها مَكروه؟

- جلالةَ المَلك.. إميلي.. اعتنَقت الإسلام!

كادَ هنري الثاني أن يَقعَ أرضاً من هَولِ مَا سَمِع! أحسَّ وكأن الأرضَ تَموجُ به وأصَمَّهُ طَنينٌ في أذنَيه. خَارت قُواه بِسُرعة فأخذ يَتهادَى حَتى وَصلَ عَرشهُ وجَلسَ عَليه. أطرَقَ يَنظرُ إلى الأرض لثوان ثُمَّ رفع رأسهُ ليُطلقَ صَرخةً عَاليةً سَمِعَ دَويها كُلُّ مَن في القَصر!

بَعد أن هَدأ قليلاً، عَادَ ليسألَ أليكس:

- كيفَ استطاعت أن تفعلَ ذلك بِي؟

- جلالةَ المَلك.. هُناكَ أمرٌ آخر..

- مَاذا أيضاً؟ تحدَّث بِحقِّ السَّماء!

- لقد أنجَبت مِنكَ وَلداً، لكنَّها تَرفضُ عَودَتهُ لإنجلترا!

- إلهِي!

تَوالت الصَّواعقُ على هنري الثاني فانهارَ وأخذَ يَبكي بحُرقَة. عَجزَ أن يَتمالكَ نَفسه بأن يَكظِمَ حَسرَتهُ ويَكبتَ حُزنَه وهوَ المَلكُ القَوي الصَّارم. إلا أنهُ وبعدَ بُرهةٍ لَم تَطُل، حَاولَ استعادةَ تَوازُنَه فرَفعَ رَأسهُ والدُموعُ تُبَلِلُ لحيتَهُ القَصيرة وقالَ بهدوء: «اذهَب الآن ونَل قِسطاً من الرَّاحة. اترُكني. سيكونُ لي مَعكَ حَديثٌ طَويلٌ في المَساء».

لعلَّ السَاعات التي أعقَبَت ذَاكَ اللِّقَاء كَانت من أصعَبِ السَّاعات وأشدَّها على هنري الثاني. حَاولَ غَيرَ مَرةٍ وعَبثاً أن يَجدَ تَفسيراً



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَعقُولاً لِمَا حَدث. لقَد غَامرَ بِكُلِّ شَيء حُبًّا في فَتاة تَخلَّت عَنه. لمَ فَعلت ذَلك؟ كيفَ استطاعَت أن تَكسرَ عَهدَها وتترُكَ زَوجَها؟ كيفَ تَناسَت كُلَّ التَضحيَات التي بُذلَت من أجلِها؟ هَل أنجَبَت فعلاً طفلاً مني؟ مَا عَسايَ أفعلُ الآن؟ كَانت تلك التَساؤلات وغَيرها تَدورُ في خَلَد هنري الثاني. كَانَ يَبحثُ عَن أجوبَة وهوَ يَسترجِعُ المَاضي القَريب عَلَّ الأجوبة تُمكِّنُهُ من استيعَاب الأخبَار التي سَاقاها أليكس. غادرَ البَهو وأخذَ يَسيرُ على غَير هُدىً في القَصر. تَلاشت لَديه حُدودُ الزَمان والمَكان، وبَدا وكَأنَّهُ فَقدَ وَعيَه. نَهرَ حَارساً بَادرَ لمُساعدَته ثمَ أخبرَه بأنهُ على ما يُرام، قبلَ أن يَدلُفَ لحُجرته ويَأمُرَ الحَاجب ألا يَقطعَ أحدٌ عَليه خُلوتَه. ارتمَى على أريكته مُنهارَاً ومُحتارَاً وهوَ يَحملُ في صَدره قَلباً مَطعُونَاً يَكادُ نَبضُهُ أن يَتوقف، فتوسَّدَ ذِراعَ الهَم وافترَشَ مِهَاد الغَم.

في المَساء رَافقَ هنري الثاني أليكس إلى تَلَّة قَريبَة من القَصر. كَانَا لوَحديهمَا وبالكَاد يَنظُرانِ إلى بَعضيهما. كَانَا يَشعُرانِ بِثقلِ هَذا اللقَاء ومَا سيَتضمَّنُهُ من أسئلة وأجوبَة وتفَاصيل لا بُدَّ من مُواجَهتها. على عَجل، سَألَ هنري الثاني أليكس:

- أخبرني يا أليكس عَن كُلِّ شَيء. لا تُخفِ عني شيئاً! كيف دَخلتُمَا حَلَب؟

- لم ندخُلها، جَلالةَ المَلك. حينَ اقتربنا منها اكتشفنَا أنَّ جُنودَ الجَيش الإسلامي مَا زالت تُعسكرُ حَولَها، وحَلَبُ كَما تَعلمُون



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَدينةٌ كَبيرة وفيها جُنودٌ وعَسسٌ كُثُر. فرأيتُ ألا نَدخُلَها. بَل أن نَبتعِدَ عَن الشَّام قَدرَ الاستطَاعَة.

- أينَ ذهبتُما إذاً؟

- اتجهَنا جَنوباً في رِحلة شَاقَّة استغرَقَت بِضعةَ أيَام. حَتى وَصلنا إلى أرض وَفيرة المَاء وفيها زَرعٌ كَثير على الرُّغم من أنَّها في جَزيرَة العَرَب القَاحلة. هُناك دَلَّنا بَعضُ البَدوِ الرُّحَل على مَدينة عَريقَة تُسمَّى دُومةَ الجَندَل، فيها قَلعةٌ عَتيقَةٌ ونَيِّفةٌ وشَاهِقَة تُسمَّى مَارِد[٢]، قلعةٌ قَد جَاوزَت الجَوزَاء سَمتاً وعَزلت السِماكَ الأعزَل سَمكاً، كَما يُقالُ هُناك! أما أهلُهَا فهم من العَرب الأقحَاح ومُتمسِكونَ بِعادَتهم العَربيةِ الأصيلَة مِن الكَرم والشهَامَة والنَّخوَة وإجَارَة المَلهُوف. فَدخلنا دُومَة الجَندَل وادَّعينَا أننا أُخوَةٌ تَائهون مِن مَسيحيي الشَام الأرمَن، ولَم نَجِد مِنهُم سوى التِرحَاب.

- كيفَ كَانت إميلي؟

- أعجبَت كَثيراً بحُسن تَعامُلِهم وكَرَمِهم. حَتى أنَّها تَعلَّمَت اللُّغَةَ العَربية وبَدأت تَتحدَّثُ بِها في وَقتٍ قَصير.

- مَتى اتَّبَعت مِلَّتَهم؟

- لَم تَدخُل إميلي الإسلامَ حَتى وَقتٍ مُتأخِر. لكنَّها مُذ استقرَّ

---

(٢) قلعة مارد في دومة الجندل التي بقيت شامخة حتى يومنا هذا. يعود تاريخ إنشائها إلى القرن الأول الميلادي، وعثر فيها فريق استكشاف بحثي زارها في سبعينات القرن الماضي على أحافير وخزفيات رومانية تعود للقرنين الأول والثاني.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِنا المطافُ هُناك كَانت شَغوفَةً بمَعرِفَة تَعاليم الإسلام وقِراءَة كِتابِهم المُقدَّس، القُرآن. في المَدينة مَسجِدٌ مَهيب شَيدَهُ أحَدُ أصحَاب نَبيهم مُحمد – صلى الله عليه وسلم – وأَميرٌ عَظيمٌ من أمراء الإسلام السَابقين، عُمر بن الخطَّاب[٢]. وفي المَسجد كَانت الدروسُ الدِينيَة تُلقَى بشكل دَائم، فَكانت إميلي تَحرِصُ عَلى الاستماع لتلكَ الدُروس. بعدَ أشهُرٍ من تَدارُس الإسلام، فُوجِئتُ بِها تُخبرُني بَأنها قَد أسلَمَت!

- لقد كَانَت مُعجَبةً بدِينِهم مُذ كَانَت هُنا. كانَ عليَّ أن أتوقَعَ ذلك! مَاذا عَن ابني؟

- بعدَ أسابيع من نُزولنا دُومَةَ الجَندَل بَدأت عَلاماتُ الحَمل تَظهرُ عَليها. وحينَ سُئلت عَن والد طِفلها، أخبرَتهم أنه تَوفَّى في الطَريق. طِوالَ فَترة حَملها كانت قَلقَةً على جَنينها ولا تَعرفُ كَيفَ سَترعَاه وفيما إن كَانت سَتُخبِرُه بحقيقَة مَا حدَث لَها ومن هو والدُه. وضَعته بِخَير وهوَ بِصحة جَيدة، ويُشبهكَ كَثيراً جَلالَةَ المَلك.

اغرورَقَت عَينا هنري الثاني بالدمُوع، قَبلَ أن يَسأل:

- هَل أسمَته؟

- نَعم. أسمَتهُ لَيث. وهوَ اسمٌ عَربي يَعني أَسَد.

---

(٢) شيد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – هذا المسجد في السنة السادسة عشرة للهجرة النبوية وهو في طريقه لاستلام مفاتيح القدس. تم تصميم المسجد ليطابق تصميم مسجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – في المدينة المنورة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ليث! اسمٌ جميل.

شرحَ أليكس بقية التفاصيل لهنري الثاني، وكيف أن إميلي طلبت منهُ العودة لفرنسا ليُخبرهُ بما استجد. كما أخبرهُ أنها تفهم كُلّ تضحياته من أجلها ولن تنساها، وأنّها مَا زَالت تُحبُّهُ وتتمنى له الخير، وتدعُوه للإسلام! أخبرهُ أيضاً بأنها تتمنى منهُ أن يتفهم أن قرارها هذا كانَ صَعباً للغَايَة لكنهَا كانَ لابُد لها من أن تَفعَلَ مَا تراهُ فيه صالحها وصَالح ابنها في الحَياة الأخرَى التي تتمنى أن يَجتمعان فيها. أخيراً، أخبرَه أنه بحسَب أحكَام الدين الإسلامي فإن زَواجهُ منها قد أبطل، حيثُ لا يَصحُّ زَواجُ المُسلِمَة من غَير المُسلم، ولكنها طَلبت من أليكس أن يُخبرَ هنري الثاني بأنها لَن تتزوجَ من بَعدِه.

كانَ هنري الثاني أكثرَ تَماسُكاً هذه المَرَّة. كانَ يُخفي ألماً يَجتاحُ صَدرهُ وكأنما حُزَّ بخنجر صَدئة. إلا أنَّ الحَقيقةَ التي كانَ يَهربُ منها طِوالَ الوَقت كَانت أنهُ هُوَ نَفسه كانَ مُعجباً بالإسلام ومَبادئه! لذا كانَ يُحاولُ جَاهداً أن يلتمسَ عُذراً لإميلي. كانَ يُحاولُ تَخيلَ شَكل ابنه (ليث) ويُمنّي نَفسه بَأن يَلقاهُ يَوماً ولو في الحَياة الأخرَى كَما تريدُ إميلي. كانَ أولُ ابناءِ هنري الثاني من إليانور، ويليام، قَد تُوفيَ قَبل أيام وهوَ لم يُجاوِز عَامَه الثاني، الأمرُ الذي أحزَنَهُ كَثيراً. لذا كانَ ليث هُو أكبرُ أبنائه الشَرعيين، فأحسَّ هنري الثاني بِغُبن بُعدِه عَنه(٤).

التفتَ هنري الثاني ونَظرَ إلى عَينِ أليكس مُباشرةً وهوَ يَربتُ على كَتفه ثُم قَال:

(٤) كان لهنري الثاني حينها ابن آخر غير شرعي أسماه جيوفري على اسم والده. لكن التقاليد الملكية تمنع توريث الملك للأبناء غير الشرعيين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أنتَ فَارِسٌ نَبيل. فَعلتَ الذي لَم يكُن ليفعَلهُ غَيرُك. وأنا أصدِقكَ وأثِقُ بِك. لكنكَ تَعرفُ جَيداً مَدى خُطورةِ أن يَعرفَ أحدٌ ما قَد حَصل. يَجبُ أن يكونَ هذا هُو آخرُ لِقاءٍ بَيني وبَينك. وتَذكَّر أنكَ أقسمتَ عَلى الوَلاء وكِتمانِ السِر!

- حَتى آخرِ رَمقٍ في حَياتي، جَلالةَ المَلك. لقد نَذرتُ حَياتي خِدمةً لَكم وللرَّب.

- كانَ أبي في غَايةِ الحِكمةِ حينَ وثقَ بِك. حتى حينَ تَركتَهُ والتحقتَ بجيشِ لويس السَابع، لَم أسمَع مِنه إلا الثَناء عَليك. كانَ يعرفُ أنكَ تَفعلُ ذلكَ خِدمةً للصَليب ويَسوع. لقَد أمرتُ لَكَ بألفِ قِطعةٍ ذَهبية، ستكفيكَ لتعيشَ بِرغدٍ وهُدوء بَعيداً عَن هُنا. في فرنسا رُبما.

- شُكراً، سيدي.

احتضنَ هنري الثاني أليكس وودَّعهُ، ثُمَ ألقى أليكس التَّحيةَ للمَلك وغَادر. لكنهُ حينَ ابتعدَ قَليلاً، صَاحَ هنري الثاني:

- أليكس..

- جَلالة المَلك..

- ان رغبتَ أن تَذهبَ أنتَ أيضاً لبلادِ العَرب وتتبعَ الإسلام، افعَل. لكن لا تُخبرني!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابتسمَ أليكس وأومأ برأسه دُونَ أن يَرُد. ثُم غادر.

ما أن ودَّعَ هنري الثاني أليكس حتى شَعرَ بالوحدة والخوف! فلا أصحاب لَه هُنا، الفَجوةُ بينهُ وبين إليانور تزدادُ يوماً بعدَ يوم، والبارونات والتجار هُم أصحابُ مَصالحَ سياسية يَعرفُ تماماً أنهُ لا يَنبغي الوثوقَ بهم. وهو وإنْ كانَ يَحكُمُ مَملكةً كَبيرة، إلا أنَّهُ لا يُجيدُ حَتى التَّحدُثَ بلُغة سُكانها[٥]! لا أصحابَ يثقُ بهم، ولا أبناء كِبار يَعتمدُ عَليهم، فكيفَ ستكونُ أيامُهُ المُقبلة؟! وكيفَ سيحكُمُ هذه المملكة العَنيدة وسَاستِها الشَرسين؟! وَدَّ لَو احتجبَ في سِرداق، فلَم يَعُد للحَياةِ مَعنىً بَعدَ إميلي.

انتهى الفصل الخامس.

(٥) لم يكن هنري الثاني يجيد التحدث باللغة الإنجليزية، كان يتحدث الفرنسية واللاتينية فقط.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل السادس

أدركَ هنري الثاني أنَّ أحلامَهُ بحُكم إنجلترا مَعَ حُبِّ حياته وزَوجته إميلي بَاتت مُستحيلة، فدَخلَ في نَوبةٍ حَادَّة من الاكتئاب. كانَ يَشعرُ بالوحدة كَثيراً، ويَرى بأنَّهُ طُعنَ في ظَهره على يَد أَحَبِّ النَّاس إليه. كانَ يَشعرُ بالغدرِ والخيانة. لذا، بَاتَ يَتشكَّكُ في كُلِّ شَيء ولا يَثقُ بأحد! تَجلَّى ذلك في عدةِ قَرارات اتخذَها بَعدَ لقائه مَع أليكس بوقتٍ قَصير. فقد رَفضَ إعطاء زَوجته إليانور أيةَ صَلاحيات، عَلى عَكسِ السَائدِ والمُتوقَع. كَما أنه وفي خُطوةٍ مُفاجئة للجميع قَامَ بجَمعِ البارونات الإنجليز في شَهر أبريل من العام ١١٥٥م وأجبرَهم على القَسَمِ بالولاءِ لَه ولأبنائه من بَعده.

لعلَّ من حُسن حَظ هنري الثاني أنَّ ألدَّ أعدائه وأكثرَ الطامعينَ في مُلكه، وهُم أخوتُهُ جيوفري ووليام بالإضافة إلى ويليام ابن المَلك ستيفن، جَميعُهم قَد توفوا في سنٍ مُبكرة وبعدَ فَترةٍ قَصيرةٍ من جُلوسه عَلى العَرش. فكُفيَ هنري الثاني بذلكَ شَرَ قتالهم لتَرسيةِ حُكمه وتَرسيخ مُلكه. إلا أنَّ ذلكَ لَم يَكُن كَافياً لبَثِّ الطُمأنينة في صَدره. كَانَ يَقودُ الجُيوشَ بنفسه وبحماس أثارَ دَهشةَ الجَميع. كَما كانَ كَثيرَ التَّنقُل والحَركة حَتى قيلَ عَنه في تلكَ الفَترة بأنهُ لا يُشاهَد ثَابتاً في مَكانٍ وَاحد إلا حِينَ يَأكُل! اشتُهرَ عَنهُ أيضاً أنهُ أصبَحَ قَليلَ الكَلام، لا يَتكلمُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا لضَرورَة، وخُصوصاً إذا كانَ غاضِبا. لعلَّ حَماسَهُ ذاك كانَ مُحاولَةً لنسيانِ حكايته المَريرةِ مَع إميلي التي كانَت تَحتضِنُ ليث أكبرَ أبنائه في قَلبِ جَزيرةِ العَرَب!

لكنَّ الحقيقةَ كَانت أيضاً أن ستيفن كانَ قَد تَركَ إنجلترا مَملكةً مُهترئةً مَزقتها الحُروبُ الأهليَّة، فكانَ منَ الضَروري أن يَتمَ رَأبُ صَدعِها ولَمُّ شَملِها بأسرَع وَقت وبأقسَى الطُّرُق إن استلزَمَ الأمرُ ذلك.

في خِضَمِّ هيجَانه واستِعَارِ نيرانِ الحَسرَة في فُؤاده، وفي عزِّ انغماسِه في اللَّهث وراءَ حُروبِه ومَعاركه السِّياسية، وفي قِمَّة عُزلَته وانعزالِه ووِحدته، حَدثَ أمرٌ سيغيرُ حَياةَ هنري الثاني بعدَهُ تماما!

تَعرَّفَ هنري الثاني في لندن على شَاب إنجليزي من عَامة الشَعب يُدعى (توماس بيكت). كانَ بيكت يَكبرُ هنري الثاني بأربعةَ عَشرَ عَاماً، وكانَ لامعاً بين أقرانه وحَاضرَ البَديهة ومُتقدَ الفكر، وعلى الرُّغم من أنه كانَ ابنُ تَاجر إنجليزي مُتواضِع، إلا أنهُ شَقَّ طَريقهُ للبَلاطِ المَلكي بسُرعة مُعتمِداً على جِدِّه وذَكائه ولبَاقته.

تَوطَّدت عِلاقةُ هنري الثاني ببيكت بسُرعة. كانَ هنري الثاني مُعجبَاً بنَشاط بيكت واخلاصه وآرائه الحَكيمَة ومُقترحاته السَديدة كُلمَا أشكَلَ أمرٌ عَليه وطَلبَ المَشورَة. أصبحَ الاثنان بمَثابة الأصدقاء وبَدأت الصفاتُ الرَّسمية تَتلاشَى بَينهُما. كَما حَدثَت لهُما وبينهُما مُغامَراتٌ كَثيرة وأحداثٌ عَديدة لَم تُزِد هنري الثاني إلا إعجَاباً بهذا الشَابِ الإنجليزي المُتفرِّد. وَجدَ هنري ضَالتَهُ أخيراً في بيكت، حيثُ رَأى فيه شَخصاً كُفؤاً وأهلاً للثقةِ والمَشورة، فقربَهُ وأكرَمَه. كانَ بيكت



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شاباً مُندفعاً كهنري الثاني، لكن بعكس هنري الثاني كان بيكت غير مُتدين ويهتم كثيراً بالمظاهر والتقاليد الملكية. أصبح هنري الثاني يثق ببيكت كثيراً لدرجة أنه كان يعهدُ إليه بمُجالسة ضيوفه في غيابه بدلاً من الملكة إليانور، الأمرُ الذي أغضبها وأغضب العديد من السادة والنُبلاء في إنجلترا، فقد كانوا لا يرونَ في بيكت إلا شاباً من العامّة لا يُجيدُ حتى التَّحدُّث بالفرنسية بطلاقة!

لكنَّ ذلكَ لَم يكُن ليُثني هنري الثاني عَن تقريب بيكت ووَضع ثقته الكاملة فيه،ى فقامَ بترقيته لرُتبة تشانسلور (أو مُستشار). ثُمَّ أوكلَ إليه مَهمةَ إعادةِ الأمنِ والنظام لمملكته التي غرقت في الفوضى والفقر وانتشار الجريمة بَعدَ سَبعةَ عشرَ عَاماً من الاضطرَابات والحُروب الأهليَّة إبَّانَ حُكم ستيفن. فأبلى بيكت بَلاءً عَظيماً في مَهمته تلك! كانَ حَازماً ويَعملُ بجِدٍ مُنقطع النَّظير، ووصلَ به الأمرُ أنْ وحَّدَ كُل الإقطاعيات والقُصور في إنجلترا تَحتَ رَايةِ المَلك في وَقت قَصير. كانَ شعارُهُ الذي يَبدأ بِهِ مُفاوضاته مَع كُل إقطاعي مُتمرِّد هُوَ: الوَلاءُ للمَلك، أو النَفي!

كانَ لنَجاح بيكت في مَهامِّه المُوكلة إليه من قِبل المَلك عَواقبَ سياسيةً كَبيرة، فقدَ اعتبرَ هنري الثاني ذلكَ تَوكيداً لصحة قَراره بتَقريبه والاعتمادِ عليه، كما أنَّ الصَّداقةَ بينهُما بَلَغت حِينها مَبلغاً بَعيداً.

بعدَ استتباب الحُكم وعَودةِ الأمنِ لإنجلترا، بَقيَ هَاجسٌ وَحيد لدى هنري الثاني، الكَنيسة!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد كانَ هنري الثاني يَمقتُ الكَنيسة الإنجليزية وقساوستَها لأنَّ ولاءهم للبابا في روما يَفوقُ ولاءهم لَه. كانَ مُطرانُ إنجلترا ورَأسُ هرَمها الديني يَقودُ كنائسَها من كَاتدرائية كانتربري. لِذَا كَانت وفاةُ المُطران في العام ١١٦٢م فُرصةً سَانحةً لَم يكُن هنري الثاني ليَغفلَ عَنها. اتخذَ هنري الثاني حينَها قَراراً صَعقَ الجَميع واعترضَ عَليه أغلبُ مُستشاريه والمُقربينَ منه وعَلى رَأسهم زَوجتهُ إليانور. فقد قرَّرَ تعيينَ أكثر شَخص يَثقُ به في المَملكة، بيكت، على رَأسِ الكَنيسةِ الإنجليزية ومُطراناً للكَاتدرائية على الرُّغم من رَفضِ قَساوسةِ إنجلترا بحُجَةِ أنَّ بيكت لَم يُعرف بتديُنِه أبدا.

بالإضافة إلى رَغبتِه كَسبَ وَلاء الكَنيسة الإنجليزية وإرغَامها على التَبعية لَه، كانَ المَلك هنري الثاني يُضمرُ أمرَاً لَم يخطُر بِبَال أحد. فَقد كانَ يَأملُ أن يُساعدهُ بيكت على اقناعِ البابا بأن يُبطلَ زواجهُ من إميلي بالسِّر كَما أبطلَ زَواجُ إليانور من لويس السَّابع قَبلَ سَنوات، خَاصةً بَعدَ فُقدانه الأملَ نهائياً بعودةِ إميلي. فقد كانَ المَلك هنري الثاني الذي عُرِفَ بتديُنِه يَخشَى أنَّه إن لَم يَفعل ذَلك فسيُصبحُ زَواجُهُ من إليانور سِفاحٌ مُحرَّم وتوريثَهُ عَرشَ إنجلترا أحدَ أبنائها مَعصيَةً لَن يَغفرَها لَهُ الرَّب. لكن ليَفعلَ ذلك، كانَ عَليه أولاً أن يَفضَحَ سِرَّهُ لبيكت، وهُوَ أمرٌ في غَايةِ الصُعوبَةِ والحَساسية.

استدعَى المَلك هنري الثاني بيكت، ودَارَ بينهُما الحِوارُ التَالي:

- أهلاً بصديقي العزيز!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أهلاً جلالةَ المَلك. طَابَ مَساءكم. تُسبغونَ عَليَ ذَروةَ الكَرمِ ومَبلغَ سَنامه حينَ تَعتبرُوني صَديقاً لِجلالتكُم.
- أنتَ صَديقٌ حَقيقي يا بيكت في زَمنٍ عَزَّ فيه الأصدقَاء وفي مَملكة بتٌّ لا أثقُ بأحدٍ من قَاطنيها. أنتَ رَجلٌ مُجرَّب وتَسبقُ أفعَالُك أقوَالُك.
- ما أنا إلا خَادمٌ لجلالتكُم، ومُنفذٌ لرُؤيتكُم وتَوجيهاتُكم. حَفظكَم الرَّب لإنجلترا ونورمندي وبَاقي المَمَالك.
- لَم تُخيب ظَنِّي يَوماً، ولهذا استدعيتُك اليَوم. بيكت..
- أمرُ جَلالتكُم!
- لقد قَررتُ تَعيينَكُم مُطراناً للكَاتدرائيَة في كانتربري لتَرأسَ بذلك كَنائسَ إنجلترا!
- لكن.. جلالةَ المَلك..
- لا تُكمل! لَن أقبلَ منكَ إلا المُوافقة! أنتَ تَعرفُ مَدى حَاجتي لشخص أثقُ به وبولائه في كانتربري. كُلُّ المَطارنَة السَابقين كَانوا يُوالونَ البابا في روما أكثرَ من ولائهم لنَا. كَانوا يُقدسونَه أكثرَ من يسوع بحقِّ السَّماء!
- أنا رَهنُ إشارَتكُم دَوماً! كنتُ وسَأبقَى خَادمكُم المُطيع. لكنَكُم تَعرفونَ يا مولاي أني لستُ مُتديناً..
- أعرف! سَأحرصُ على أن تَتلقى كُلَّ الدُروس والتَعاليم الدينية وعلى يدِ كِبارِ الكَهنة. أنتَ أذكَى من أن تَقفَ بَعضُ الطُّقوسُ الدينية حَاجزاً بينكَ وبينَ هكذا مَنصب.
- أمرُ جَلالتكُم مُطَاع.
- لكن أرجو ألا تَتخلى عني وتَعبُدَ البابا أنتَ أيضاً!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انفجرَ الصَديقانِ ضَحِكاً بَعدَ جُملةِ المَلك الأخيرة، فهي لَم تَكن تَعدو عَن كَونِها مُزحَةً مِن مَلِك لمُستشارِه الذي يَثِقُ بِه أيما ثِقة.

تشجَّعَ المَلِكُ بَعدَ هذا الحوار، فصَارحَ بيكت بِأمرِه مَعَ إميلي. ورَوى لَهُ تَفاصيلَ مَا حَدث. تَلقَّى بيكت ذلكَ بتمَاسُك رُغمَ دَهشته التي كانت جَليَّةً عَلى وجهِه. تَأثَّرَ بيكت كَثيراً بِمَا حَدثَ لِمنري الثاني وتَعاطَفَ مَعهُ جداً تَعاطُفَ الصَديق المُحب، حتى أنَّ عَينَاهُ اغرورقتا بالدُموع. ما أن شَاهدَ المَلِكُ ذلك حتى اقتَرَبَ من بيكت ليَقبضَ على يَدِه بِشدة وهوَ يَقول:

- أتعدُني يا صديقي بأن تُقنعَ البابا أن يُبطلَ زواجي من إميلي كَما أبطَلَ البابا يوجين زَواجَ إليانور من لويس السَّابِع، لَكن بالسِّر؟
- أعِدُك!
- عِدني أيضاً أن لا تُخبرَ أحداً بذلك سِوى البابا.
- عليَّ لَعنةُ السَّماء إن أفشيتُ سِرَ سَيدي المَلك.
- وأنا أثِقُ أنكَ سَتفي بوعُودك.

بعدَ أن أصبحَ بيكت مُطراناً، قَلَّت زِياراتُهُ للمَلك، فقد انكبَّ على دِراسة تَعاليم الدين المَسيحي وكَرَّسَ جُلَّ وَقتِه لذلك. فَأحسَّ المَلِكُ بأنَّ بيكت بَدأ يَنشغِلُ عَنه، وبَدأ يَتساءلُ عَن سَببِ تَأخرِه في السَّعي لتَحقيق وَعدِه لَهُ بِإقناع البابا بإبطالِ زَواجِه من إميلي بالسِّر. بَدا وكَأنَ علاقة المَلك ببيكت فَتَرت، كَما أنَّ المَلك لَم يَجِد ذَاك الامتنان الذي كانَ يَتوقعُهُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من بيكت الذي لَم يَكُن يُنسّقُ إدارَته للكَاتدرائيّة وشؤونها مَع المَلك على غَير المُتّفق عَليه.

بعدَ عَامين من ذَاكَ التَّعيين، حَدثَ مَالم يَكُن يَتوقعُهُ هنري الثاني. فَقد تَغيرَت شَخصيَةُ بيكت واهتماماتُهُ بشكل درَامي وسَريع. أصبَحَ في غايةِ التَّدين والزُهد حَتى أنَّه فَاقَ سَابقيه منَ المَطارنة شَعبيةً لَدى القَساوسة، بَل ولَدى البابا نَفسه! الأمرُ الذي أقلَقَ المَلك.

بعدَ عَامين من ذَاكَ التَّعيين، حَدثَ الصِدامُ الأول بينَ الصَديقين!

فقد أصدَرَ المَلك هنري الثاني مَرسُوماً مَلكياً يَقضي بأن يكونَ جَميعُ أفرادِ الشَّعب سَواسيةً أمَام القَضَاء المَلكي، الذي يَرأسه مُطرانُ كانتربري. الأمر الذي جُوبِهَ برفضٍ عَلَني وقَوي من المُطران بيكت!

فقد كَانَ العُرفُ في تلكَ الحقبة هو أنَّ «رجال الدين» لا يُحاكمونَ أمَام القَضَاء المَلكي مَهما فَعلوا، كَما كانت أقصَى عُقوبة يُمكنُ أن تَحلَّ بأحدهم هيَ أن يَتمَّ عَزلُهُ عن الكَنيسة التي يَعمَلُ فيها. رَفضَ بيكت تنفيذَ ما جَاءَ في المَرسُوم المَلكي وأصرَّ على أن رِجال الدِين كَانوا وسيظلُّون فَوقَ القَضَاء وأحكَامه!

لَم يَكتَفِ بيكت برفضِ تَنفيذ المَرسُوم المَلكي، بَل وأمَرَ قَساوسةَ الكَنائس بالعصيانِ وتَعطيل الأعمَالِ المُنَاطَةِ بهم ككتَابة عُقودِ الزَّواجِ مَثلاً، ليضغَطَ بذلك على المَلك فيُلغي مَرسُومه مَحل الخِلاف.

فُوجِئت إنجلترا بأسرِها من رَدَّة فعل بيكت على مَرسُوم المَلك وإصرَارِه على مُناكفَته وهوَ الذي عَيَّنَهُ بنفسه لثقته بولائه لَه. أما



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هنري الثاني فقد صُعِقَ بشدَّة من تَمرُّدِ بيكت واستشاطَ غَضَباً. فأمَرَ بمُحاكمَته بتُهمَةِ الخِيانةِ العُظمَى!

كَم هُوَ مسكينٌ هذا المَلك، تَتعَاقبُ عَليه الصَّدمات والخَيبات كَما لَم تَتعاقَب على غَيره. فكُلَّمَا اطمَأنَّ لشَخص خَيَّب ظَنَّه وجَحدَ مَعروفَه. شَعرَ هنري الثاني بأنَّهُ ارتكبَ خَطأً كَبيراً حِينَ وَثقَ ببيكت، فخُطورةُ ما حَصَل لا تَتجسَّدُ في وجودِ رَجُلٍ على رَأسِ الكَنيسة الإنجليزية خَانَ الثقَةَ وأخلَّ بمَهام عَمَله فَحسب. بَل إنَّ هذا الرَجُلَ نَفسه يَعرفُ سرَّ المَلك الذي كَنَّهُ في صَدره لسَنوات، ذاكَ السر الذي قَد يَجلبُ لَهُ الخزيَ ويقضي على حُكمه ومُلكه! كانَ النَّدَمُ يَنهشُ عَقلَ المَلك وجَسدَه، فأعياهُ المَرض وأضنتهُ الوَعكَات.

Telegram:@mbooks90

أثناءَ مُحاكمَته، لَم يَنبس بيكت ببنت شَفة. رَفضَ الحَديث والدفاعَ عن نَفسه، والتزمَ الصَّمت التَّام. أدانتهُ المَحكمةُ المَلكية وقرَّرت عِقابَهُ بالنَّفي خَارجَ إنجلترا. كانَ بيكت مُطمئناً بَعدَ سَماع قَرار المَحكمَة فقد كانَ يَظنُّ أنَّ علاقتَهُ الجَيِّدة بالبابا في روما تُجيزُ لَه أن يَطلُبَ منه أن يَتشفَّعَ لَهُ لدَى هنري الثاني فيُلغِي العُقوبَة. لكنَّ هذا لَم يَحدُث!

فبعدَ نَفيه، كَاتبَ بيكت البابا مُستجدِياً نَجدَته والتَّشفُّعَ لَه، لكنَّ البابا رَفضَ ذلك. كانَ رَفضُ البابا نَابِعٌ من خَشيته من أنَّ ذلكَ قَد يَصدَعُ العَلاقَةَ بَينهُ وبينَ المَلك القَوي هنري الثاني ويَفتحُ جَبهةَ خلاف مَعه قَد تُؤثرُ على الكَنيسة في روما، خُصوصَاً وأنَّ المَلك كانَ سَخيَّاً في أعطياته السَّنوية للكَنيسة هُناك. وجدَ بيكت نَفسهُ في مَوقفٍ حَرج لَم يَدرِ كَيفَ يَخرُجُ مِنه. قَرَّرَ أن يُكاتبَ المَلك هنري الثاني، صَديقه القَديم.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اتسمَت رَسائلُ بيكت الأولى للمَلك بمُحاولة الاستعطَاف. لكنَّه حينَ جُوبِهَ بتَجاهُلٍ تَام من المَلك، أصبحَت رَسائلُهُ تَضُجُّ بعبارات التَّحذيرِ من غَضَبِ الرَّب والتَّخويفِ من عِقابِه. الأمرُ الذي قُوبِلَ بتجَاهُلٍ أيضا.

وافَقَ البابا بعدَ مُرورِ أشهُر على نَفي بيكت على التَّوسُّطَ لَهُ لَدَى هنري الثاني أخيرًا. لكنَّ وسَاطَتهُ لَم تَنجَح مَع مَلك نَادم يَحملُ نُدُبَ طَعنَات بيكت في ظَهره. نُدُبٌ تُذكِّرُهُ بحَمَاقته حَينَ وَثقَ ببيكت كُلَّ تلكَ الثِقةِ العَميَاء. نُدُبٌ لجِراحٍ لَم تَندمِل بَعد، ولا أظنُّها تَندملُ أبدا.

مَرةً أخرَى، كَانت رَدَّةُ فعلِ بيكت على فَشَلِ وَساطَةِ البابا رَعنَاء تبعتها خُطوَةٌ وَرهَاء أفضَت لعَواقبَ لَم يَحسب لها حِسابًا. فقد قَامَ بيكت– وبدونِ إذنٍ من البابا – بتكفيرِ كُلِ نُبلاءِ إنجلترا لدَعمِهم للمَلك. استفَزَّ ذَلك المَلك هنري الثاني جداً فأصدَرَ قراراً يَقضي بإعدَام كُل مَن يَحملُ رَسائلَ من بيكت أو يَتعامُلُ مَعَه بتُهمَةِ الخيانَة العُظمَى، حتى وإن كَانَ من رِجالِ الدين! وفَورَ صُدورِ القَرَار تَمَّ القَبضُ على عَددٍ كبير من رِجالِ الدين في إنجلترا بتُهمَةِ التَّعامُلِ مَع بيكت.

في العام ١١٦٩م، قَرَّرَ هنري الثاني تَنصيبَ ابنه هنري الصغير وَلياً لعهده. لكنَّ التقاليدَ المَلكيةَ والكَنَسية تَنصُّ على وُجوبُ تَواجُدِ مُطران كانتربري (رأس الكنيسة الإنجليزية) لتعميدِ ولي العهد الجَديد ليتمَّ بذلك الاعترافُ الرَّسميُ به. فَرِحَ بيكت حينَ بَلَغهُ خَبرُ قَرارِ المَلك، حيثُ ظَنَّ أنَّ المَلك سيستَدعيه مُجبرًا ليقومَ بتعميدِ وَلي عَهده. لَكنَّ المَلك بجبرُوته المَعهود فَاجَأ الجَميع وكَسرَ كُلَّ التَقاليد والأعرَاف وأمرَ بأن يَتمَّ تَعميدُ ولي عَهدِه الجديد من قِبلِ مُطرانِ يورك!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيقنَ بيكت حينها أنَّهُ يُجابِهُ رَجُلاً أقوَى مِنهُ بكثير وأنَّ لا حِيلةَ لهُ مَعَه، فأرسَلَ مُذعِناً كِتاباً لهنري الثاني يَطلُبُ فيه لقاءَه.

على غيرِ المُتوقَّع، وافَقَ المَلكُ على لِقاءِ بيكت، ولَعلَّ سرَّ موافقته يكمنُ في أنَّهُ يَتوقُ لمَعرفةِ مَا إذا كَانَ بيكت قَد أفشَى سِرَّهُ لأحدٍ أو يَنوي إفشاءَه. حَصلَ اللقاءُ فِعلاً في أنجو في فرنسا في يوليو من العام ١١٧٠م. على ضِفَافِ نَهرِ لواغ الشَّهير في فرنسا كانَ بيكت يَقِفُ وَحيداً ينتَظرُ المَلكَ بملابسه الزَّهيدة وهوَ يُغطي رَأسهُ بقلنسوةِ ردائه، فيما كانَ هنري الثاني يُحدِّقُ به من بَعيد وهوَ يَقتربُ مُمتطياً حِصانَه ويُرافقه ثُلَّةٌ من حَرسه. كانَ خَلَد المَلك يَضُجُّ بمشَاعرٍ مُتضاربةٍ حيالَ لقاءِ بيكت. كانَ يَتساءلُ فيما إن كانَ عليه أن يَحتضنَهُ كصديقٍ وَقفَ معهُ وقفَات مَشهودة وسَاعدَهُ في ضَبطِ مَملكته وتَدعيم حُكمه، أم يَبصُقُ في وجهِهِ كخَائنٍ خَدعَهُ وتَخلَّى عَنهُ بعدَ أن أكرَمهُ ووثقَ به؟!

تَرجَّلَ المَلكُ عن صَهوةِ جَوادِه وطَلَبَ ألا يُرافقهُ أحَدٌ من الحُرَّاس، ثُم ذَهبَ وَحيداً إلى بيكت الذي كانَ يَنظُرُ إليه مُبتسماً. وحينَ وَصلَ المَلكُ إلى بيكت، مَدَّ بيكت يَدهُ إليه ليُصافحَه. حَدَّقَ المَلكُ في يَدِ بيكت، ثُم حَدَّقَ في عَينيه، قَبلَ أن يَمُدَّ يَدهُ ويُصافحَه. فَوراً دَارَ بينهُما حِوارٌ لا يَزال صَدى كَلماتِه يَتردَّدُ في أنجو حتى اليَوم. حِوَارٌ للتَّاريخ.

- بيكت.
- سَيدي المَلك.
- من الجَيد أنكَ ما زِلتَ تَذكُرُ أني مَلك!
- أنتَ أعظَمُ المُلوك وأجدَرُهم، سَيدي.
- أجَل! بدَليلِ أنَّكَ كَفَّرتَ النُبلاء في مَملكتي! أتَظُنُّ أني سَأصدِّقُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَلمَةً واحدةً تَخرُجُ من فَمكَ العَفن بعدَ كُلِّ مَا حَدث!؟

- سَيدي. كَمَا احترمُك وأجلُّك وأدينُ لَكَ بالوَلاءِ والطَّاعَة، فأنا أيضاً مُساءلٌ أمَامَ يَسوع والرَّب الآب عَن حمايَةِ رِجالِ الدين وحُقوقِهم بِحُكمِ مَنصبي كمُطران. الرَّبُ قَبلَ كُلِّ شَيء، جَلالَة المَلك.
- مُنذُ مَتى وأنتَ تَعرفُ الرَّب!
- مُنذُ أن أكرمتَني بأن نَصبتَني مُطراناً لكانتربري. لَقد نَذرتُ نَفسي للصَّليبِ المُقدَّس وإن كَلفَني ذَلكَ حَياتي.
- ووعُودُكَ لي؟ أنسيتَها؟
- لَم ولَن أُفشِ سرَّكَ لأي مَخلُوق. أقسَمتُ على ذَلك ولَن أحنَث.
- لقد وَعدتني أن تُقنِعَ البَابا بأن يُبطِلَ زَواجي مِن إميلي، ولَم تَفعل أيُّها الخَائن!
- هَذا وَعدٌ لَن أستطيع الإيفَاء به. فَما فَعلتَه يا جَلالَةَ المَلك هُوَ أمرٌ جَلَل ولا يُمكنُني أن أشارِكَ بكذبَةٍ كهذه باسم الرَّب. تَأكد أني أصلِّي لَكَ كُلَ لَيلة أن يَغفرَ لَكَ الرَّب صَنيعتَك.
- قَاتَلكُم الرَّب يا كَهنَةَ الكَذب! أولَم يُبطِلُ البَابا يوجين زَواجَ إليانور من لويس السَّابع لِسَبب يَعرفُ الجَميع أنَّهُ غَيرَ حَقيقي! تُحرِكُكُم أهوَاؤكُم التي تَدعُونَ كَذِباً أنَّها أوامرُ يَسوع ومَشيئةُ الرَّب!
- لَم أكذب عَليكَ يَوماً، جَلالَة المَلك. وكُلُّ مَا أرجُوهُ منكَ هُوَ أن تُفصِحَ عَن حَقيقَةِ مَا حَدَثَ للبَابا عَلَّهُ يَجدُ حَلاً لوَضعك ووَضعِ أبنائك. فَأنتَ بحَسب التَّعاليم المُقدَّسَة لَستَ زَوجاً لإليانور وأبناؤك منها هُم أبناءٌ غَيرُ شَرعيين، بِمَا فِيهم وَلي عَهدِك.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- اخرَس! ومَاذا إن لَم أفعَل؟ هَل ستَفضَحُني؟
- قُلتُ لَك، سَيدي. لَن أفشِ سِرَّكَ لأحَد حتى آخِرِ نَفسٍ أنفُثُه!
- وهَل تَتوقعُ مِني أن أصدِّقَك؟
- نَعم. فأنتَ تَعرِفُ أني صَادِق.

تَسمَّرَ هنري الثاني بَعدَ رَدِّ بيكت على سُؤاله. فبالرُّغم مِن كُلِّ مَا حَدثَ بينهُما، ظَلَّ شَيءٌ مَا بدَاخِله يَثِقُ ببيكت. مَازالَ يَشعُرُ بأنَ بيكت لا يَكذب! شُعورٌ غَريبٌ لَم يستطِع هنري الثاني تَفسيرَه، فصَمَتَ لبُرهَة، ثُم أردَف: «مَاذا تُريدُ يا بيكت؟»

جَثَا بيكت على رُكبتيه والدُّموعُ تَملأ عَينيه وقَال: «أطلُبُ عَفوَ جَلالتِكُم عَن كُلِّ مَا بَدَرَ مِني. وأطلُبُ الصَّفحَ عَن كُلِّ رِجالِ الدِين الذينَ قُبِضَ عَليهُم بِتُهمَةِ التَّعَامُلِ مَعي وإطلاقِ سَراحِهم. أرجُوكم يا سَيدي!»

أمسَكَ المَلك بيكيت مِن كَتفيه وقَالَ لَه وهوَ يُساعدُهُ ليَقف: «لَكَ مَا طَلبت. لنَنسَ المَاضِي يا بيكت، ولنَفتح صَفحَةً جَديدة.»

شَكرَ بيكت المَلك كَثيراً والفَرحَةُ والدَّهشَةُ تَملآنِ أسَاريرَه، فلَم يَكُن يَتوَقع أن يَصفَحَ عَنه بهذهِ السُرعَة.

قبلَ أن يَفترقا قَالَ بيكت لهنري الثاني: «أشعُرُ بأنَّ هَذه هيَ المَرَّةُ الأخيرَة التي أرَاكَ فيها!» فَردَّ عَليه هنري الثاني بغَضَب: «أتشُكُّ بي؟ أتعتَقدُ بأني أخُون؟» لَكن بيكت اكتَفى بابتِسَامَة وَدِيعَة قَبلَ أن يستَأذنَ المَلك ويُغادِر المَكان. عَادَ بيكت بَعدَ ذَلكَ اللقَاء إلى إنجلترا بَعدَ غِيابه



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عَنها لأكثرَ مِن ستةِ أعوَام. لكنَّهُ مَا أن استَقرَّ في كانتربري، حَتى بَدَأ بتسليحِ بَعضِ المَدنيين لحِمايتِه وحُمايةِ الكَنيسة. الأمرُ الذي أغضَبَ المَلك مِنه مُجددا.

بعدَ لِقائهما بِخَمسة أشهُر، وتَحديداً في يَوم عيدِ المِيلاد من العام ١١٧٠م، كانَ المَلكُ يُقيمُ وَليمةَ عَشاء في أنجو ضَمَّت مَجموعَةً مِنَ الفُرسَان والنُبَلاء والبَارونات. سَألَ أحدُهم المَلك عَن رَأيِه في بيكت ومَا يَصنَعهُ في كانتربري، فتَنَهدَ طَويلاً قبلَ أن يُعبِّر عَن بَالغ استيائه من بيكت وامتعاضه من تَصرُفاته، وكانَ مِن جُملَة مَا قَال: «أنَا المُلام. لَقد أكرَمتُ رَجُلاً لا يَستحق. قَربتُهُ مِني وكانَ الأجدرُ بِي ألا أقرِّبَ مِثلَه. أنا المُلام!» ثُم اختَتمَ كَلامَهُ بهذهِ العِبَارة: «ألا يُوجدُ في مَملكتي مَن يُريحني مِنه!»

كانَ لعِبارَة المَلك هنري الثاني الأخيرَة وَقعٌ هَائلٌ على أربَعةٍ من أشدِّ فُرسانه وَلاءً لَه ممن كَانوا على طَاولة العَشاء الضَّخمَة، فقد شَعروا وكَأن المَلك يَستنجِدُ بهم، لِذَا اجتَمعوا مُباشرَةً بَعدَ خُروجهم مِن القَصر وعَزَموا أمرَهُم عَلى أن يَذهبُوا إلى بيكت فَوراً، ويعرِضُوا عَليه إما الحُضور والاعتِذار من الملك، أو أن يُقتَلَ بسُيوفِهم في مَكانِه!

لَم يَبزُغ فَجرُ اليَوم التَالي إلا والفُرسَان الأربَعة قَد ابتعَدُوا عَن أنجو في طَريقهم إلى كانتربري. حِينَ عَلِمَ المَلكُ بنيتِهم تلك جُنَّ جُنونُه، وأرسَلَ خَلفَهُم مَن يُوقفهم. لكنَّ أوانَ ذلكَ كانَ قَد فَات!

وَصلَ الفُرسان الغَاضبون صَبيحَةَ اليَوم الثَاني إلى كانتربري، وأمامَ كاتدرائيتها قَابلُوا بيكت وهوَ يَهِمُّ بالدُخولِ إليها، فطَلبوا مِنهُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يَأتي مَعهم فَوراً إلى المَلك ليعتَذرَ عَما بَدرَ منه من تَصرُفات رَعناء ويُجدِدَ وَلاءهُ لَه. لكنَ بيكت رَفضَ ذلك، وواصَلَ طَريقَهُ بِهُدوء إلى الكاتدرائية.

بعدَ تَردُد بالدُخول لمَكان مُقدَّس ومُواجَهة بيكت دَاخلَه، قَرَرَ الفُرسَانُ الدُخولَ واللَّحاقَ ببيكت. مَا أن دَلفوا إلى الكاتدرائية حَتى بَدأوا بالبَحث عَنه وهُم يَصيحُونَ بصوت عَال: «أينَ بيكت خَائنُ المَلك والمَملَكَة؟» ليأتيهم رَدُهُ مَن بَعيد وهُوَ يَقفُ بوَجل بجوار أحد أعمدَة الكاتدرائية الضَّخمَة: «أنا هُنا! لَستُ بخَائن! مَا أنا إلا قَسٌ يُمثل الرَّب». استَفزَ رَدُ بيكت الفُرسَان، فهَجمُوا عَليه وسَدَّدوا لَهُ الطَعنات والضَرَبات بسُيوفهم الثَّقيلَة فمَزقُوا جَسَدهُ شَرَّ مُمَزَّق وقَتلوهُ شَرَّ قتلة وهُوَ أعزَل، وسَطَ ذُهول كُلِّ مَن في الكاتدرائية من كَهنَة وسَدنَة صِغَار.

في أول أيام العام ١١٧١م جَاءَ رَسولٌ إلى المَلك وهُوَ في فرنسا وأخبَرَهُ بمَا حَدثَ لبيكت. حَزنَ المَلكُ حُزناً شَديداً واعتَزلَ النَّاس، حتى أنَّهُ امتنَعَ عن الأكل لثَلاثَة أيَام. حَاوَلت إليانور مُواساتَه، لكنَّهُ رَفضَ حَتى مُقابلَتها. لَم يَكُن هنري الثاني خَائناً يَوماً، ولَم يَقصد بعبارَته تلك أن يُحرضَ الفُرسان على قَتله. لَم يَكُن يَتصوَر أن يُقتَلَ صَاحبُهُ بيكت بهذه الطَريقَة الوَحشيَة، وبسَبَبه!

غَضبَ الإنجليز غَضَباً شَديداً لمَقتل بيكت، أمَّا البَابا في رُوما فقد هَدَّدَ بعَدم الاعتراف بإنجلترا كُلَّها كمَملَكة مَسيحية!

أمَام تَهديد البَابا، عَرضَ المَلك هنري الثاني عَليه أن يَقومَ بإرسَال مَائتي فَارس للحَج للأرَاضي المُقدَّسَة في القُدس بمَاله



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخَاص، بالإضَافة إلى إلغَاء مَرسُومِه المَلَكي الذي كَانَ الشَّرَارة التي أشعَلَت الخِلاف مَع بيكت (المَرسُوم الذي يَنص عَلى إخضَاع رِجالِ الدين للقَضَاء)، فوَافَقَ البَابا على ذَلك وتَراجَعَ عن تَهديداته.

ازدَادت الجِراحُ في فُؤاد هنري الثاني المُثخَن. لَم تَعُد إميلي، ولَم يستَطِع أن يُبطِلَ زَواجِه بها. قُتِلَ صَديقُهُ بيكت، واهتَزَّت صُورَتُه لَدَى الإنجليز بَعدَ أن أمضَى أعوَاماً عَديدَة ليَكسَبَ ولاءهَم.

حتى أبنَاءُ المَلك الجَريح قَامُوا بِذَرِ المِلح على جِراحِه بأن تَمردُوا عَليه وحَاربوه ليقتَطِعوا أجزَاءً مِن مَملَكته، وبدَعمٍ مِن إليانور!

انتهى الفصل السادس.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Saint Thomas Becket – القديس توماس بيكت

(١١٢٠م – ١١٧٠م)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لوحة تحاكي أخرى شهيرة رسمت في القرن الرابع عشر الميلادي،
يظهر فيها الملك هنري الثاني والقديس توماس بيكت



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل السابع

تَوالَت النَّوائبُ والطَّوامُ على هنري الثاني مَلِك إنجلترا، وإن كَانت لَم تَغب عَنهُ مُذ عَشقَ تلكَ الفَتاة الفرنسيَة، إميلي، التي أسَرتهُ ثُمَ تَركتهُ دُونَ أن تُطلِقَ سَراحَهُ، أو حَتى تَقتُلَه!

لكنَّ الذي استجدَ من مَصائبِ المَلك الوَحيد والمَكلوم عَلى مَقتلِ صَديقه، هُو الخِيانات والانقلابَات دَاخلَ أسرَته الصَّغيرة.

ابتدَأت تِلكَ الخِيانَاتِ في العَام ١١٧٩م، ومِن مَن؟ ابنُهُ هنري الثالث!

لَقد قَرَّبَ المَلكُ هنري الثاني ابنَهُ هنري الثالث كَثيراً ولَم يَكتف بتنصيبه وَلياً لعرشه، بَل نَصَّبهُ «مَلكاً شَريكاً» في العَام ١١٧٠م، وهوَ أمرٌ لَم يَحدُث سَابقاً ولا لاحقاً في التَّاريخ الإنجليزي. لَكن هنري الثالث كَانَ يَتذمَّرُ كَثيراً مما كَانَ يَظنُّهُ تَهميشَاً من وَالده المَلك الذي لَم يَكُن سَخيَّاً مَعهُ بالمَال وَلم يُعطه مُقاطَعةً ليحكُمَها. لذا، بَدأ هنري الثالث حَرباً ضدَ والده المَلك مَدعُوماً ببَعض النَاقمينَ على المَلك والمُرتَزِقة. كَانَ المَلكُ هنري الثاني يَعتمدُ في حَربه ضدَ ابنه هنري الثالث على ابنه الآخَر ريتشارد قَلبِ الأسَد والذي كَانَ فَارِساً مِقدَاماً لا يَقلُ فُروسيَةً



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوة عن والده[٦]. استمرت الحرب حتى العام ١١٨٣م حين توفي هنري الثالث إثر مرض عضال ألم به. على فراش الموت ندم هنري الثالث على فعلته وطلب لقاء والده غير مرة ليتعذر منه، لكن الملك هنري الثاني رفض ذلك خشية أن تكون تلك مكيدة من ابنه العاق. بعد فترة قصيرة من مرضه، توفي هنري الثالث وهو في عامه الثامن والعشرين. ارتدى هنري الثالث وهو يموت خاتماً كان قد أهداه له والده، في إشارة لمسامحته لوالده وإن رفض مقابلته. حين علم الملك هنري الثاني بالأمر حزن حزناً شديداً، وقال عبارته الشهيرة: «لقد كلفني هذا الفتى كثيراً، لكني تمنيت أن يعيش ليكلفني أكثر»!

يصعب على الأب فراق ابنه وإن كان خصمه في الحرب. بعد وفاة هنري الثالث أصبح الملك هنري الثاني يعيش في عزلة وكمد وفقد كل حماسه الذي اشتهر به. لكن المصائب لم تكن قد اكتفت منه بعد.

فبعد أعوام قليلة من وفاة ابنه هنري الثالث، انقلب عليه ابنه ريتشارد قلب الأسد وبدعم من ابنه الآخر جون وزوجته إليانور!

هل يمكن للخيانة أن تتشكل بصورة أبشع من هذه؟!

ففي مؤتمر للسلام بين ملكي إنجلترا (هنري الثاني) وفرنسا (فيليب) في العام ١١٨٨م، طلب فيليب من هنري الثاني أن يوافق على زواج ابنه ريتشارد قلب الأسد من أليس ابنة ملك فرنسا الراحل لويس

---

(٦) ريتشارد قلب الأسد هو من خطط ونفذ الحملة الصليبية الثالثة بالاشتراك مع بعض ملوك أوروبا وعلى رأسهم فيليب ملك فرنسا. وانتهت تلك الحملة بصلح الرملة والتي نصت على بقاء القدس تحت حكم المسلمين بشرط السماح لزوارها المسيحيين بدخولها وعدم التعرض لهم. لم يعد ريتشارد بعد حملته لإنجلترا إلا جثة هامدة، علماً بأنه ارتكب خلالها مجازر بحق الأسرى المسلمين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السابع كَمَا كَانَ الاتفاقُ بَينهُما مُسبقاً، وأن يُعلنَ ريتشارد قَلبُ الأسَد وَريثاً لعرشه في إنجلترا. لكنَّ المَلك هنري الثاني التزَمَ الصَّمت ولم يَرُد على طَلب فيليب. لتَثُورَ ثائرَةُ ريتشارد قَلب الأسَد ليَقفَ أمَامَ الحُضُور من الفُرسَان والنُبلاء ويُعلنَ أنَّهُ يَخلَعُ بَيعتَهُ لوالده، وأنَّهُ بدءاً من تلك اللحظَة يَدينُ بالوَلاء لفيليب!

كانَ ريتشارد يَرى أنَّ وَالدهُ يُماطلُ في تَعيينه وَريثاً لعَرشه على الرُغم من أنه أكبرُ أبنائه الأحَياء، خُصوصَاً وأن شَائعات دَاخلَ القَصر كانت تتَرددُ بأنَّ المَلك يَنوي تَوريثَ ابنهُ جون بَدلاً من ريتشارد وأنهُ عَرضَ على فيليب أن يُزوِّجَ أليس لجون لا لريتشارد. الأمرُ الذي اعتبرَهُ ريتشارد قَلبُ الأسَد نُكراناً لجَميل مُساعدته لوَالده في حَربه ضدَ هنري الثالث. والحَقيقةُ أنَّ المَلك هنري الثاني لَم يَكُن يَرغَبُ بأن يُكرِّرَ تَجربَتهُ المَريرة مَع ابنه هنري الثالث الذي ما أن نُصِّبَ وَلياً للعَهد حَتى طَمِعَ بالحُكم وانقَلبَ عَليه.

فَوراً اشتَعلت الحَربُ بينَ فيليب وريتشارد من جهة والمَلك هنري الثاني من جهة أخرَى. لكنَّ المَلك لَم يَتمكن من مُجارَاة خُصومه النَّاقمين، فقد أعيَاهُ المَرض وهَبَّطَ من عَزمه أن أضحَى كَارهاً للمُلك والحُكم. في غُضونِ أشهُر مَعدودات، خَسرَ المَلكُ هنري الثاني أراضٍ شَاسعةً من مَملكته لصالح ابنه ريتشارد قلب الأسَد وحَليفه فيليب، وأصبَحَ ضَعيفاً لدرجَة أنَّهُ أجبرَ على إبداء الطَّاعَة والوَلاء لمَلك فرنسا في غيرِ حَادثة.

بَدأت قُرحَةُ المَلك هنري الثاني تَنزفُ قَبلَ أن تتدَهورُ حَالتُهُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصحية بشكل كبير فهرب إلى أنجو بدلاً من نورمندي مُخالفاً نصيحة مُستشاريه. فقد كانَ الجو في أنجو في غاية السُخونة، كانَ الجو حاراً بما يكفي ليُنضِجَ الجُلود ويُذيبَ الصَّيخود، الأمرُ الذي قد يَزيدُ من إعياء المَلك ولَن يُساعدَهُ على الاستشفاء. لكنَّ المَلك أصرَّ على الذهاب إلى أنجو، مُقاطعة والده جيوفري، حَيثُ التَقى إميلي أولَ مَرة. كانَ يُفكرُ بابنه ليث طِوالَ الوَقت ويَتساءَل: «أينَ أنتَ يا ليث؟ تُرى لَو كُنتَ هُنَا مَعي هَل كُنتَ ستَحميني من جَشع أخوَتك وأمهم السَّاقطة؟ أم كُنتَ ستَغدرُ بي مِثلهُم؟ لا أظنكَ تَخون.. فأنتَ ابنُ إميلي»!

على فِراش المَرض تَم ابلاغُ هنري الثاني أن ابنهُ جون قَد انضمَّ إلى ابنه ريتشارد في الحَرب!

كانَ ذاكَ الخَبر بمثابَة الطَعنَة الأخيرة في قَلب هنري الثاني المُثخَن. لَم يَحتمل وقعَ خيانة جون لَه فدخلَ في نَوبة شَديدة من الألَم وفُقدان الوَعي. كانَ يُتمتمُ بينَ الفَينَة والأخرَى مُتذمراً من خيانة الأبنَاء. كانَ يُتمتمُ أيضاً بحكايته مَع إميلي ويَستنجدُ بابنه ليث وسَط ذُهول مُرافقيه من الحَرس والخَدم والأطبَّاء! لقد أفشَى هنري الثاني بسرِّه الكَبير الذي كَنَّهُ لسنوَات طَويلة في صَدره الذي ضَاقَ به ومِنه.

هَل كانَ هنري الثاني في وَعيه حينَ أفشَى بسرِّه؟ لا أظنُّ أنَّ أحداً يعرف.

لكنِّي أعرفُ أن آخرَ عباراته قَبلَ أن يَلفظَ أنفاسَهُ كَانت:

«العَار.. العَارُ على مَلك المُلوك»!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دُفنَ جُثمانُهُ في دَيرِ فونتيفرود في فرنسا، ولا يَزالُ هُناك حَتى اليَوم.

تُوفيَ هنري الثاني في السادس من يوليو من العام ١١٨٩م عن ستة وخَمسين عَاما. لكنَّ سيرتَهُ وانجازاته مازالت حَيَّةً حَتى يَومِنَا هذا. كانَ مَلكاً شَهماً ونَبيلاً على الرُّغم من سُوءِ الطَّالِع الذي لازمَهُ مُنذُ نُعومة أظافره. وحَّدَ إنجلترا وأرسَى فيها الأمنَ والرَخَاء، وفَرضَ هَيبتَهُ على كُلِّ أعدائه. كانَ صَادقاً وَدوداً لا يَخونُ ولا يُستبد. حَاولَ إصلاحَ القَضاء بقدرِ استطاعَته. كانت إصلاحَاتُهُ السياسيَة هيَ المُحفِّزُ الرَئيس لوَثيقَة الحُريَات التَّاريخيةَ التي كُتبَت في عَهدِ ابنه المَلك جون والمَعروفَة باسم ماغنا كارتا. غَيرَت تلكَ الوَثيقَةُ مَفَاهيمَ الحُكمِ والمُلك في أوروبا والعَالم!

كمَا كانَ يَهتمُّ بأدقِّ التَفاصيل وفي كُلِّ مَجال، في الاقتصاد والسياسة والفَن، بَل حَتى في العقيدة العَسكرية! فهنري الثاني هوَ أولُ مَلك إنجليزي يَستخدمُ شعارَاً للجيش مُصمَّماً بطريقَة (الشِّعَار المُنذر) أو Heraldic Design. شعَارُ هنري الثاني مَازالَ هُوَ الشِّعارُ الرَّسمي للجَيشِ الإنجليزي حَتى يَومِنَا هَذا!

بعدَ وفاةِ هنري الثاني، تَمَّ تَنصيبُ ريتشارد قَلبُ الأسَد مَلكاً لإنجلترا.

انتهى الفصل السابع.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

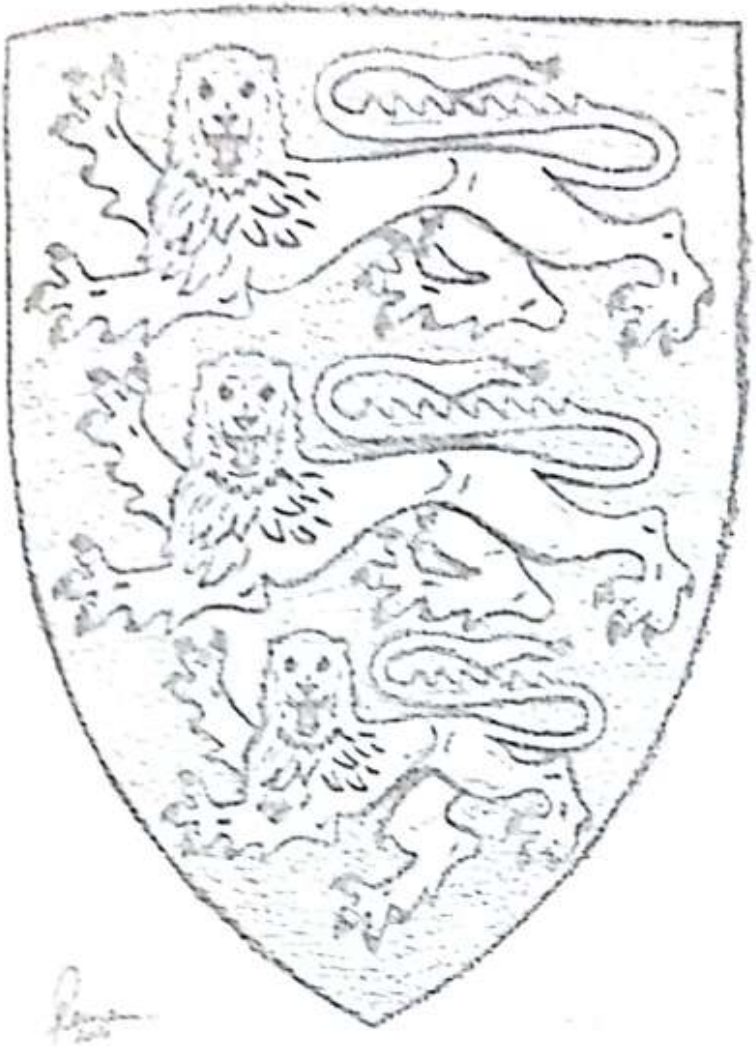

- شعار Heraldic Design / Arms

أسرة آل بلانتجنيه – House of Plantagenet

يسمي الإنجليز اليوم هذا الشعار بشعار الأسود الثلاثة ويفخرون به كثيراً لدلالاته الرمزية، حتى أنه هو الشعار الرسمي للمنتخب الإنجليزي لكرة القدم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الثامن

بُعيدَ وَفاةِ هنري الثاني، انتَشرَت تَمتمَاتُهُ عَن حكايتِهِ مَع إيملي في كُلِّ قُصورِه في إنجلترا وفرنسا ومنهَا إلى بُيوتِ النُّبلاءِ والفُرسَان وعَامَّةِ الشَعب. انتَشرَ مَا حَكاهُ عَلى فِراشِ مَوتِه عَن إميلي وليث وأليكس انتشارَ النَّارِ الحَارِقةِ في الهَشيمِ اليَابِس. وكمَا يَحدُثُ عِندَ انتشَارِ قَصَص كهذه في أوَاسِطِ النَّاس، أُزيدَ فيها وأُنقِصَ منها وضُخِّمَت وحُجِّمَت في أكثرِ من مَوضِع.

لَم يَحتَمِل أبناءُ هنري الثاني وقَبلَهُم زَوجتُهُ إليانور وَقعَ تَداولِ النَّاس حكايات وأخبَارِ المَلِك الرَّاحل مَع زَوجتِه إميلي، فتَصرَّفُوا بقَسوَةٍ ووَحشِيةٍ في مُحاولاتٍ ظَنُّوا أنها ستُخمِدُ نيرانَ العَارِ التي أضرَمَها المَلِكُ هنري الثاني بِهِم قَبلَ وَفاته. أمَرَ المَلِكُ ريتشارد سِرًّا بإعدَام كُلِّ مَن حَضَرَ أو رَافَقَ وَالدهُ المَلِك الرَّاحل إبَّانَ مَرضِه ووفَاته. كَمَا أصدَرَ توجيهَاتٍ غَيرَ مُعلنَةٍ لكُلِّ تَابعيه بقَتلِ كُلِّ مَن يتَداولُ تِلكَ الأخبَار ودُونَ مُحاكمَة!

أصيبَ النَّاسُ بالرُّعب جَرَّاءَ ذلك فكَفوا عَن تَداولِ قِصَّةِ المَلِك هنري الثاني وابنه الذي يَقطِنُ دِيارَ العَرَب، بَل أنهم بَاتوا يَخشونَ حَتى ذِكرَ اسم هنري الثاني في بُيوتِهِم مَخافَةَ أن يَشيَ بِهم وَاش!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكنَّ حَقيقةَ الأمر هيَ أنَّ مَا رُويَ قَد رُوي، ولا يُمكِنُ لأحَد أن يَمحي مَا في أذهَانِ النَّاس. أدرَكَ ريتشارد قَلبُ الأسَد ذلك جَيداً، لذَا سَارَعَ فَورَ تَسنُّمه مُلكَ إنجلترا إلى الدَّعوَة لحَملَة صَليبيَة جَديدة قَبلَ أن يَقُودَ فعلاً الحَملَةَ الصَّليبيةَ الثَّالثة عَلَّ ذلكَ يُصلحُ ما أُفسِدَ من صُورَة أسرَته أمَام الإنجليز والأوروبيين وقَبلَ ذَلكَ الكَنيسة.

مَع مُرور الزَّمَن وتَعاقُب العُقُود فالقُرُون، نَسيَ النَّاسُ حكايَةَ هنري الثاني. لَكنَّ الأُسر المَالكة التي تَوَالَت عَلى حُكم إنجلترا لَم تَنسَ ذَلكَ مُطلَقاً. تَعارَفَت الأُسَر المَالكَة عَلى الاحتفَاظ بالقصَّة فتَواتَرت مَكتُوبَةً من مَلك لمَلك وبشَكل في غَاية السِّرية والتَكتُم تَحفُهُ طُقوسٌ في غَاية الصَّرَامَة. كانت مُجَرَّدُ فكرة وُجود وَريث شَرعي لمُلك هنري الثاني في ديار العَرَب والمُسلمين – وقَد يَظهرُ في أي وَقت شَخصٌ من صُلبه فيُطالبُ بحُقُوقه المَعنَوية والمَادّية – أمرٌ في غَاية الخُطُورة ومُنغِّصٌ لَطالمَا قَضَّ مَضَاجعَ مُلوك ومَلكَات إنجلترا.

ومنذُ قُرون طَويلة دَأبت الأُسَر المَالكة في إنجلترا على إيفَاد مُخبرين ومُؤرخين إلى الجَزيرَة العَربية لاستقصَاء حَقيقة الأمر والبَحث عن أي أحفَاد مُحتمَلين لليث بن هنري الثاني. كَانَ الأمرُ في البدايَة يَتمُّ بتَكليف سرِّي، لكنَّ بعضَ المُوفدين بَدأوا بتَوثيق ذَلكَ لأسبَاب علميَة وتَاريخيَة وطَمَعاً في أموَال الجَمعيات العلمية البريطانية، طَبعاً مَع إخفَاء الأهدَاف الحَقيقية لزياراتهم للجَزيرَة العَربية. لَعلَّ أقدَمَ تَوثيق لزيارَات الإنجليز للجَزيرة العَربية كَانَ تَوثيق جوزيف بتس Joseph Pitts لزيارَته لهَا. اختُطفَ بتس في عِبابِ البَحر وهوَ في طَريقه لبلاد العَرَب من قِبَل مَجموعَة من القَراصنة الجزائريين في



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العام ١٦٧٨م. في العام ١٦٨٠م ذَهبَ بتس إلى الجَزيرةِ العَربيةِ وزَارَ مَكةَ في رِحلةِ حَجٍّ مَع سَيدهِ العَربي. وفي العام ١٦٩٣م عَادَ بتس لإنجلترا وكَتبَ عَمَّا رَآهُ في جَزيرةِ العَرَب.

تَوالت بَعدَ ذَلك أخبَارُ المُوفدين إلى جَزيرةِ العَرَب، وتَحديداً إلى دومة الجنـدل. أذكرُ منهُـم ويليـام غيفـورد بلغريف William Gifford Palgrave في ستينياتِ القَرن التَاسعِ عَشر الميلادي. والليدي آن بلانـت Lady Anne Blunt في سبعينيـاتِ القَـرنِ التَاسـع عَشـر الميـلادي. والقُبطـان ويليـام شكسبيـر Captain William Shakespeare في العقدِ الأولِ من القرن العشرين. ولرُبَمَا كَانَ أشهَرُ المُوفدين العَسكريين إلى دومة الجندل في العَصرِ الحَديث هُمَا لورنس العرب T. E. Lawrence والرَائد هولت Major A. L. Holt اللذانِ كَانَ لهُمَا تَواجُدٌ مُكثَّف في دومة الجندل في العَقدينِ الأولينِ من القَرنِ العشرين.

يَعرفُ الكَثيرون تَفاصيلَ زِيارةِ الضَابطِ البريطاني الشَّاب لورنس لجزيرةِ العَرَب وتَحديداً دومة الجندل. كَمَا أن يومياته ومُغامرَاته مُوثَّقَةٌ بشَكل تَفصيلي ومَنشورَةٌ للعَامّة مُنذُ عُقود. لكنَّ الأمرَ الذي لا يَعرفُهُ أَكثَرُ النَّاس، هُوَ أنَّ زيارته تلكَ لرُبمَا كَانت بأوَامرَ مَلكية مُباشَرَة للبَحث عَن أي أحفَاد مُحتَملين لهنري الثاني في الجَزيرةِ العَربية. الأمرُ نَفسُه يَنطبقُ على الرَّائد هولت الذي كَانَ مُهندِساً مَلكياً في الجَيش البريطاني، فقد اهتمَّ كَثيراً بدومة الجندل وبقَلعةِ مَارد تَحديداً وزَارها أكثرَ من مَرَّة بسيارَته العَسكريَة الضَّخمَة من تَصنيع شَركة فُورد المَعروفَة. كانَ السَّبَبُ المُعلَن لزِياراته المُتعاقبةِ لدومة الجندل هُوَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دراسةُ جَدوى انشَاءِ سِكةِ قِطَارٍ حَديديَة في المَنطِقة، وثَّقَ الرَّائد هولت كُلَّ زِياراتِه وأرسَلَها للجَمعيةِ المَلكية الجُغرافيةِ في بريطانيا.

لَم يَتمكن أيُّ مُوفدٍ بريطاني مِنَ العُثورِ على أيِّ دَليلٍ مَادي عَلى وُجودِ سَابق لإميلي أو ليث في دومة الجندل، ولا على أيةِ وَثيقةٍ أو قِطعَةٍ أثريَةٍ ذَاتُ عِلاقَةٍ بحُقبةِ الملك هنري الثاني.

انتهى الفصل الثامن.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل التاسع

## ١٢ أبريل – ١٩٧٩م. كامبردج، المملكة المتحدة.

أخذَ البَاحثُ الشَّاب (جون مارتن) يَتنقَّلُ بسُرعَةٍ بينَ حُجرَاتِ لمكاتب في رُدُهَاتِ كليَّةِ الرياضيات في جَامعَة كامبردج متسائلاً عَن مَكانِ تواجُدِ رَئيس القسم حَيثُ لَمْ يَجدهُ في مَكتَبه، حَتى وَجدهُ يَحتَسي الشَّاي في زَاوية من زَوايَا حُجرَةِ استِرَاحَة الأسَاتذة في الكليَّة. مَا أنْ وَجدهُ حَتى بَاشَرهُ الحَديث مُبتَسماً:

- لَقَد تَمَّ قُبولُ بَحثي في مَجلَّة أكتا ماثيماتكا[٧]!
- لا أحبُّ المُزَاح في الصَّبَاح البَاكر يَا جون.
- أنَا لا أمزَح! أنظُر، هَذه رِسَالةٌ وَردتني مِنْ لَجنَة التَّحكيم تُفيدُ بقُبولِ بَحثي العلمي حَولَ فَكِّ شَفرَات رَسائل المُستَشرقين الإنجليز ممَّن أوفدَتهُم الحُكومَةُ إلى الجَزيرَة العَربية.
- إلهي! يَبدو أنَّ بَحثكَ قَدْ قُبلَ فعلاً في أكتا ماثيماتكا، هَذا عَظيم! فأنتَ لَمْ تُكمل عَامَكَ الأوَّل مُنذُ أنْ تَحصَّلتَ عَلى دَرجَةِ الدكتوراة! أنَا، بَلْ والكليَّةُ كُلها، فَخورونَ بِك!
- شُكراً لَك!

---

(٧) أكتا ماثيكامنكا أو Acta Mathematica هي من أشهر وأفخر المجلات العلمية في مجال الرياضيات، بدأ صدورها في القرن التاسع عشر الميلادي عبر الأكاديمية الملكية السويدية للعلوم.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان جون شاباً نابغاً في علوم الرياضيات، حتى أنّه تمكّن من حصد كلّ الجوائز العلميّة والتنافسيّة التي تمنحها كليّة الرياضيات في جامعة كامبردج وهو ما يزال طالباً فيها. كما كان يعشق الرياضيات التطبيقية وبالأخص طرائق التشفير والتورية. في بحثه هذا الذي قبل للنشر في مجلّة أكتا ماثيماتكا تمكّن جون وببراعة من فكّ شفرات رسائل بعض الموفدين الإنجليز إلى الجزيرة العربية، حيث أنّ كثيراً منها تمّ تشفيرُهُ باستخدام أدوات تشفير كهروميكانيكية تُشبهُ أداة الإنيغما الألمانية الشهيرة (enigma)، لكن لسوء إعداد تلك الأدوات من قبل الموفدين، أو ربما لعطوب أصابتها، كان ضبطُ مفاتيح التشفير غير دقيق، الأمرُ الذي استحالَ معهُ فكُّ الشفرة وقراءةُ الرسائل أمراً صعباً على الحكومة البريطانية آنذاك، فتمّ إعدامُ كثيرٍ من تلك الرسائل لأنّها لم تعُد ذاتَ أهميّة.

لكنّ جون، ولشغفه أيضاً بالتاريخ، تمكّن من الحصول على بعض تلك الرسائل التي سلمت من الإتلاف، ثمّ قام بمحاولات حثيثة لفكّ شفرتها حتّى تمكّن من ذلك!

وجدَ جون أمراً غريباً يكادُ يكونُ مُشتركاً بين أغلب الرسائل التي قامَ بفكّ شفرتها، ألا وهو الإشارةُ الدائمةُ من قبل كاتب الرسالة إلى عدم العثور على أيّ أمر ذا علاقة بالملك هنري الثاني. «لمَ هنري الثاني بالذات؟ وما علاقتُهُ بالجزيرة العربيّة؟»، كان جون يتساءلُ دائماً، حتّى أنّه ضمّن تساؤلَهُ هذا في بحثه.

عادَ جون إلى مكتبه مزهواً بعد لقاء رئيس القسم، ليجدَ رجُلاً



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غَريباً يَرتدي بزَّةً سَوداء ويَجلِسُ عَلى كُرسيِّه وقَد قَامَ بجَمع بَعض الأوراق مِنْ عَلى سَطح المَكتَب وصَفَّهَا أمَامَه. سَألَهُ جون عَنْ هُويتَه وعَنْ سَبَب جُلوسه في مَكتبه، ليُجيبَ بأنَّهُ يَعمَلُ في جِهاز الاستخبَارات البريطانية، وأنَّهُ قَد جَاءَ ليَصحبَهُ إلى مَركز الاستخبارَات حَيثُ يَودُّ المَسؤولونَ هُنَاك الحَديثَ مَعه. رَدَّ جون:

- ومَاذَا لَو رَفضتُ أنْ آتيَ مَعك؟

- لا يُمكنُكَ ذَلك! نَحنُ هُنَا لسنَا مُتسَاويين في السُلطَة. نَحنُ نَأمُر، وأنتَ تُلبِّي!

- أجِدُ أنَّهُ مِنْ سُخريَة القَدَر أنْ يُقالَ هَذا الكَلام في نَفس الكُليَّة التي ابتَكرَ فيها العَالمُ (روبرت ريكورد) عَلامَةَ المُسَاوَاة في الرياضيَات (=) قَبلَ أكثرَ مِنْ أربَعُمائة عَام!

- هَذا صَحيح. كَمَا أنَّهُ في الكُليَّة هَذه نَفسُها اكتَشفَ العَالمُ (إسحاق نيوتن) قَوانينَ الجَاذبيَة والسُّقوط الحُر، أليسَ كَذلك؟ أتدري لطَالمَا أضحَكتني عبارَةُ «السُّقوطُ الحُر»، حَيثُ لا حُريةَ في السُّقوط! الأجسَامُ تَسقُطُ رُغمَاً عَنهَا بفعل الجَاذبيَة إنْ لَمْ يَحجزهَا حَاجز. هُناكَ أمورٌ في الحَياة تُشابهُ تَمامَاً الجَاذبيّة، لا خِيارَ لأحدٍ بأنْ يَتملَّصَ منها!

فَهِمَ جون مِنْ حَديث الرَّجُل أنَّ لا مَناصَ مِنْ أنْ يَذهبَ مَعهُ عَنْ رِضَا، وإلا فسيُجبَرُ عَلى الذَّهَاب، وهَذا أمرٌ لا يَليقُ به ولا يَنبَغي أنْ يَراه أحدٌ مِنْ زُملائه وهُوَ مُكبَّل اليَدين كالمُجرمين، ليسَ في جَامعة رَاقيَة ككامبردج ولا في كُليَّة عَريقَة ككُليَّة الرياضيات. لِذَا، وَافقَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخيراً على الذَّهابِ إلى مَركزِ الاستِخبارَات مَعَ ذَلكم الرجُلِ الغَريب.

في سَاعَة مُتأخرَة منَ اللَّيل، دَلفَ جون إلى مَنزله وهُوَ في غَايةِ الإرهَاق، لتَستَقبلَهُ زَوجتُهُ (فرانسين) – التي كَانت تَعمَلُ مَعهُ في نَفسِ الجَامعةِ وبنَفسِ القِسم – فتَسألُهُ بقَلقٍ شَديد:

- أينَ كُنتَ يَا جون؟ لقد قَلقتُ عَليكَ كَثيراً، حتَّى أني بَحثتُ عَنكَ في الجَامعةِ ولَمْ أجدك.

- لا تَقلقِ يَا فرانسين، أنَا بخَير.

- لَمْ تُجبنِي، أينَ كُنت؟

- في مَركزِ الاستِخبَارَات!

- لمَاذَا؟

- لَنْ تُصدِّقي إنْ قُلتُ لَكِ بِأني فِعلاً، لا أعرِف!

- ماذَا كَانوا يُريدونَ مِنك؟

- أنْ أسحبَ بَحثي المَقبولِ للنَّشر مِنْ مجلَّة أكتا ماثيماتكا، وأن أحرقَ كُلَّ مَا يتَعلَّقُ بِه، وألا أبحثَ في هذَا الأمرِ مُستقبَلاً!

- لمَاذَا؟

- قُلتَ لَك، لا أعرف! لكنَّهُم كَانوا في غَاية الجديَّة، بَلْ وألمَحوا بأنَّ الأمرَ يتَعلَّقُ بالأمنِ الوَطني وبأنَّهُم لَنْ يَضمنُوا سَلامَتي فيمَا لَو عَاندتُهُم!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- هَذا تَهديدٌ صَريح!

- هُوَ كَذلِك.

- وهَل وافقتَ عَلى ذَلِك؟

- نَعم، وَافقت.

- لِمَ فعَلت! لمَ تَسمَحُ لَهُم بأنْ يُحطِّمُوا إنجَازَكَ العَظيمَ هَذا! أَرجُوك لا تَفعَل. نَحنُ في بَلد قَانون ولا يُمكنُهم تَهديدُكَ بهَذا الشَّكل. سأتَّصِلُ الآن بكُلِ الصُحُفِ والإذَاعَات وأفضَحُهُم!

- فرانسين، اهدَأي! الأمرُ ليسَ بالسُّهولَةِ التي تَظُنين، هَذه هيَ الاستِخبارَاتُ البريطانية، لا مَجالَ لمُراوَغتِهم وتَحديهم. نَعم، وَافقت. وَافقتُ لأنِّي أخشَى عَليك وعَلى نَفسي، بَلْ وأخشَى عَلى أطفَالنَا الذينَ لَمْ يُبصِروا النُّورَ بَعد! هيَ عَاصِفَةٌ لا تَرحَم، فإمَّا أنْ أنحَني لَها، أو أنْ تَقتلِعني وتَقتَلِعَ كُلَّ مَنْ أُحب!

احتَضنَ جون فرانسين بهُدوء، ثُمَّ خَلعَ نَظارَاتَها التي بَلَّلتهَا دُموعُهَا ومَسحَها بمِنديلِه. قَبلَ أنْ يَجلِسَ الاثنانُ عَلى عَتبَةِ المَنزِل وهُمَا يَنظُرَانِ بصَمتٍ إلى السمَاء.

انتهى الفصل التاسع.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل العاشر

**٨ يناير – ٢٠١٥م. الرياض، المملكة العربية السعودية.**

بعدَ أن وَدَّعَ نواف النائل أصدقاءَهُ من المُعزين المتأخرين في وفاةِ جَدِّه، حمود، في مَنزِلِ وَالده. اتَّجه على عَجَل لحُجرَة مَكتبِ وَالده، سالم، ليَقضيَ مَعهُ بَعضَ الوَقت عَلَّهُ يُخفِّفُ عَنهُ مُصابَهُ في فَقد والده. حينَ دَلفَ نواف للحُجرَة، كانَ سالم جَاثياً على رُكبتَيه ويَنظُرُ مُطرِقاً في صُندوقٍ حَديدي ضَخم ضَمَّ مُقتنياتِ وَالدهِ العَتيقة. قَبَّلَ سالم رَأسَ والدِه وجَلسَ بجَانبه، ثُم سَأله:

- مَا الذي بِدَاخلِ الصُندوق؟
- إنَّها مُقتنياتُ جَدِّكَ القَديمة. انظُر، مَفاتيح، سَاعَات، نَظَّارات، خَرَائط، صُكوك، وبَعضِ المَخطوطَات التي ورِثَها عن أبيه وجَدِّه.
- مَاذا سَتفعَلُ بِها؟
- لا أعرف. لكن أشعُرُ بضيق حينَ أنظُرُ إليهَا فَهيَ تُذكرُني بفُقدانِ جَدِّكَ، رَحمهُ اللّه. يَبدو أني سَأغلِقُ هذا الصُندوق ولَن أفتَحَهُ مُجدَّداً.
- هَل تَسمَحُ لِي بأن ألقيَ نَظرَةً على مَا بدَاخله؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- نَعم. لكن لا تَنسَى أن تُغلقَ الصُندوقَ بإحكَام حينَ تَفرَغُ منه. ولا تَأخُذ منهُ شَيئاً دُونَ أن تُخبرَني.
- بالطَّبعِ سَأفعَل.

غَادرَ سالم المَكان، تَاركاً نواف يَستكشِفُ الحَاجيَات دَاخلَ الصُندوق. في قَاع الصُندوق، وَجدَ نواف رُقعَةَ جِلدٍ عَتيقةً وطَويلَة وقَد خُطَّت عليها أحرُفٌ لاتينية بشَكلٍ غَريب لا مَعنى وَاضِح لَه. أثَارَت تلكَ الرُّقعةُ فُضُولَهُ، فأخَذَها، ثُمَّ أغلَقَ الصُّندوقَ ومَضَى.

كانَ نواف، ابنُ الأربعة والعشرين رَبيعاً وَحيدَ وَالديه. ولَعلَّ أبرَز مَا يَسِمُ شَخصيتَه، هَوسُهُ بعلم التَّشفير وطَرائقه، فلطَالمَا حَاولَ الإبحَارَ فيه وسَبرَ أغوارِه. كَما أحبَّ دِراسةَ الحَضَارَات وأبحَاثَ العُلمَاء الذينَ اهتمُّوا به وطَوروه بدءاً من الفَراعنة والاسبَرطيين، ثم خوليو قَيصَر، ومُروراً بالكندي وابن دُريهم، وانتهاءً بوايتفيلد ديفي ومَارتن هلمان وطَاهر الجمَّال، وغيرهم. كمَا أنهُ – من فَرط شَغفه بهذَا العلم – زَارَ دَارَ بليتشلي بَارك الشَهيرَة في إنجلترا أكثرَ من مَرَّة. تلك الدَّار التي ضَمَّت أكبرَ عُلمَاء الرياضيات والتَشفير إبَّانَ الحَرب العَالمية الثَانية (كالعَالم الشَهير آلان تورنغ، مَثلاً)، حَيثُ جَمعتهُم الحُكومَةُ البريطانية آنذاك ليَعمَلوا على فَك تَشفير رَسائل الجَيش الألمَاني التي شُفِّرَت بواسطَة أدَاة الإنيغما. تخرَّجَ نواف من كُلية عُلوم الحَاسب في جَامعة المَلك سُعود في مَدينة الرياض، كَمَا حَصَل قَبلَ عَامين فَقط على دَرجَة المَاجستير في أمن المَعلومَات من جَامعة كامبردج في إنجلترا. وهُوَ الآن يَعملُ مُديرَ أنظمة رَقميَة في إحدَى الشَركَات الكُبرَى في المملكة العَربية السُّعوديَة. كَانَ مُتفوقاً في دراسته وفي عَمَله، ويَحملُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكرًا نيراً وذهناً مُتَّقداً وهمةً لا تخبُو. كمَا كانَ يُحبُّ التَّبَحُّرَ في التَاريخ ويَهوَى الكتابَةَ الأدبيَة حتى أنَّ وَالدَهُ – الذي كَانَ قَريباً منه – كانَ يُلقِّبُه مُمازِحاً بالأريبِ النَّحرير!

في صَبيحَة اليَوم التَالي، حَرصَ نواف على أن يَتنَاوَلَ الإفطَار مَع وَالده قَبلَ أن يُغادرَ لعَمَله ليَسألَهُ عَن سرِّ تلكَ الرُّقعَة الغَريبَة التي وَجدَها في صُندوق جَدِّه. مُباشرةً بَعدَ إلقاء السَّلام وتَقبيل رَأس وَالده ووَالدته، نورة، وهُمَا على طَاولة الإفطَار، أخرَجَ نواف رُقعةَ الجِلد من حَقيبَته وسَألَ والِدَه:

- مَا هَذه؟
- لا أعرف! أينَ وجدتَها؟ أرِني.
- وجدتُها في صُندوق جَدِّي، ويَبدو أنها قَديمَةٌ جداً كَمَا تَرى.
- هذه هيَ أولُ مَرة أرَى مَخطوطَةً مَكتُوبَةً بشَكلٍ طُولِي! مَا هذه الطَلاسم التي كُتِبَت عَليها!
- لا أظُنُّها طَلاسمٌ يَا أبي!
- نواف! دَع عَنكَ هَوسَ التَّشفير يا بُني، ولا تُضِع وَقتكَ في أوهَام.
- صدقني يَا وَالدي أنَا واثقٌ ممَا أقول. هذا نَصٌ مُشفَّر على طَريقَة الإسبرطيين. لا يُوجَدُ تَفسيرٌ آخَر لهذه الرُّقعَة الطَويلة.
- ومَا هيَ طَريقَةُ الإسبرطيين، أيها النّحرير؟
- كانَ الإسبرطيون يُشفرونَ رَسائلهُم بأن يَلفوا رُقعةً طَويلةً من القماش أو الجِلد على عَصَا عَريضَة، ثُمَّ يَكتبون نَصَّ رِسالتهم.
- وبعدَ ذلك يُرسلونَ الرُّقعةَ بمُفردِها دُونَ العَصَا، فتظهَرُ الأحرُف عليها مُشتتةً ودُونَ مَعنىً واضِح؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- بالضَبط! ولَن يَفُكَ شَفرتَها إلا مَن يَملكُ عَصاً مُماثلَةً لحجم العَصَا التي كُتبَت عَليها الرِسالَة، ليَلفَّ عَليها الرُقعَة فتظهرُ كَمَا كَانت وَقتَ كِتابةِ النَّص. تُبهرُني سُرعَةُ استِيعابِكَ يَا كَبيرَ المُهندسين!
- نَحنُ المُهندِسُون نَملكُ قُدرَاتٍ تَحليليَة، لا تَنسَ ذَلك!
- طَبعاً!
- مَهلاً. إن كَانت هَذه الرُقعَة تَحملُ نَصاً مُشفراً على طَريقَة الإسبرطيين فعلاً، فكيفَ سَتفكُ شفرتَها دُونَ العَصَا المُطابِقَة؟
- أنا لا أملكُ العَصَا. بَعْد.
- مَاذا تَعني؟
- أعني أني سَأبحَثُ عَنها. أنَا وَاثِقٌ من أنها مَوجودَةٌ في مَكانٍ مَا.
- يا بني لا تُضِع وَقتك!
- أشعرُ بأنَّ أمرَاً مُهماً وَراءَ هذه الرُقعَة. كُلُّ ما أريدُهُ منكَ هُوَ أن تُخبرَني عَن أية تَفاصيل لا أعرفُها عَن عَائلتنَا الكَبيرة.
- تفاصيلٌ مثلُ مَاذا؟ عَائلتُنَا كَمَا تَعلَم من مَدينَة الجَوف (أو دُومَة الجَندَل) في الشَمال ولَها تَاريخٌ طَويلٌ هُنَاك.
- أعرفُ ذَلك! أريدُ تَفاصيلاً لا أعرفُهَا.
- سَمعتُ وَالدي يُردِّدُ أننا نَملكُ الزَّاويَةَ الشرقيةَ في الدَّور الثَاني في قَلعَة مَارد! كانَ يُرددُ ذَلك نَقلاً عَن أجدَاده الذينَ أصَروا على ذلك على الرُّغم من أنَّهُ لا يُوجدُ دَليلٌ مَاديٌ ولا مُؤرخٌ مُعاصر يُؤيدُ صِحةَ تلكَ المَعلومَة!
- مُمتاز!
- لا تَقُل لَي بأنكَ ذَاهبٌ لمَارد!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لا، ليسَ اليَوم. غَداً!
- إلهي! أنتَ تُهدرُ وَقتَك وطَاقتَك في أوهَام!
- ادعُ لي فَقط أن يَقبَلَ مُديري بأن يُعطيَني إجازَةً عن العَمَل حتى نِهايةِ الأسبُوع!

قَبَّلَ نواف وَالديه مُجدَّداً وهَمَّ بالذَّهابِ لعَمله وهُوَ يَشعُرُ بنَشوة خَوض مُغامَرة جَديدَة. إلا أنَّهُ وقَبلَ أن يَخرجَ من حُجرَة الطَّعام سَمِعَ وَالده يقولُ لَه وهُوَ يَضحَك: «هُناكَ أمرٌ آخر تَذكرتُهُ عَن أسرَتنا رُبمَّا لا تَعرفُه. كانَ وَالدي يُصرُّ على أنَّنا إنجليز! لكنهُ كُانُ يَطلُبُ مِني التَّكتُمَ على تِلكَ الحَقيقَة كَما أخبَرَهُ وَالده. تَخيَّل!»

ضَحِكَ نواف بصَوتٍ عَال حِينَ سَمِعَ ذَلك، ووَاصلَ طَريقهُ إلى خَارِج المَنزِل وهُوَ يَصدَح: so long، my father.

## ٩ يناير – ٢٠١٥م. دومة الجندل، المملكة العربية السعودية.

ما أن حَطَّت الطَائرَة التي كَانت تُقلُّ نواف في مَطارِ الجوف شمَال المملكة العربية السعودية حَتى أحسَّ نواف ببُرودَة الطَّقس الشَديدَة التي لَمْ يَعتَد عَليهَا في مَدينَة الرياض. كانَ في استقباله اثنانِ من أبنَاءِ عَمه محمد وهُما بدر ومساعد، بالإضَافة إلى صَديقِ طُفولتِه خالد.

بعدَ استقبَالِه بالفَرحِ والتَّحيةِ الحَارَّة، استقلَّ الجَميعُ السَّيارةَ مُتجهينَ إلى دومة الجندل. سَألَ بدر نواف عن سِرِّ زِيارتِه المُفاجئة،



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأخبَرهُ بأنه يُريدُ زيارةَ قلعَة مَارد لأمرٍ هَام، وبأنه لا يَرغبُ بأن يلتقي أحَد، حَيثُ أنَّ مُدةَ زيارته قَصيرة ويُريدُ استغلالَ كُلَّ دَقيقة فيها. ضَحكَ بدر وهُوَ يَقول: «يَبدُو أنَّكَ نَسيتَ كَرم أهلِ دومة الجندل! لَن تَفرَغَ حتى لسَاعتين مُتواصلتين! فالكُلُّ سَيدعوكَ لوَلائم الغَدَاء والعَشَاء بَلْ وربُما الفُطور أيضاً»! ضَحكَ الجَميع قَبلَ أن يَرُدَّ نواف: «لا، لَم أنسَ، ولذلك طَلبتُ منكُم ألا يَعرفَ أحدٌ بأمرِ زيارَتي، أرجُوكُم». التفتَ نواف إلى خالد – صَديقه الأقرَب الذي يُشاركُهُ نَفسَ الاهتمَام بالتَّشفير والرِّياضيات – وقَالَ لَهُ: «اشتَقتُ لَكَ كَثيراً يَا صَديقي، أمَا آنَ الأوانُ لتَستَقرَّ في الرياض؟ عَشراتُ الشَّركات الكُبرى تَبحثُ عَن مُتخصصين بقُدرَاتكَ ومُؤهلاتك!»، ليَرُد خالد: «وأنَا اشتَقتُ لَك كَثيراً. لا يُمكنُني الاستقرَارُ في الرياض للسَّبَب الذي تَعرفُه: لا أستطيعُ تَركَ والديَّ هُنَا بمُفردهمَا وأنَا أكبرُ إخوَتي كمَا تَعلَم، لقَد كَبرا في السِّن وبحَاجَة للرِّعَاية». استدرَكَ نواف قَائلاً: «حَفظَهُما الله وأمَدَّ في أعمَارهما».

في مَنزل العَم محمد استُقبَلَ نواف بالترحَاب من قِبَل أقَاربه وبوليمَة غَداء عَامرَة ضَمَّت حَصرَاً ثُلَّةً من الأقَارب بطَلَب مُسبَق من نواف. بعدَ الغَداء، سَألَ العَم محمد نواف عن سَبَب رَغبَتِه في زيارَة قَلعَة مارد. فأجَاب:

- أبحَثُ عَن قطعَة أثريَة، يَا عم.
- وفِّر وَقتكَ يا بُنَي. لقد تَمَّ تَمشيطُ قَلعَة مارد عَشَرات المَرَّات وعلى مَدى عُقودٍ طَويلَة، ولا أظنُّ أنَّهُ بَقيَت فيه أثَارٌ لتُكتَشَف.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- القطعَةُ التي أبحَثُ عَنها قد تَغيبُ أهميتُها عَن بَاحِثي الآثار. هَل تَسمَحُ لي بسُؤالٍ يا عَم؟
- طَبعاً، تَفضَّل.
- ما حكايةُ الزَّاوية الشَّرقية في الدَّور الثَّاني من قَلعة مَارد؟
- لا تُوجَدُ حكايَة. هي مَقولةٌ رَدَّدها أجدادُكَ دُونَ دَليلٍ يُثبتُها. هَذا بَيتٌ من قَصيدَةٍ نَبَطيةٍ لأحَدِ أجدَادِك نُظِمَت قَبلَ عُقودٍ طَويلَة:

**انشد مَارد عَن سِرنا المَدفون  شَرقَ القِليب[٨] اللي دُونَه سكنهَا**

- المَدفُون! هذا يُؤكدُ شُكوكِي يَا عم. استَأذِنُكم، يَجبُ أن أذهَبَ لقلعَة مَارد الآن!
- أيُّ شُكوك؟
- سأخبِرُكم لاحِقاً. لا تَهتَم. شُكراً جَزيلاً لَك.

مَاهيَ إلا دَقائقٌ بَعدَ ذَاكَ الحِوار حَتَّى كَانَ نواف يَقِفُ بجِوارِ مَسجِدِ عمر بن الخطاب – رضيَ اللهُ عَنه – المُلاصِق لقلعَة مَارد. كَانَ بمعيتِه صَديقُهُ خالد الذي مَا انفَكَّ يَسألُهُ عَن سَبَبِ اهتمَامِه المُفاجِئ بقلعَة مَارد. أخبَرهُ نواف بأنَّهُ يَبحثُ عَن عَصاً أثريَة غَليظَة في إحدَى زَوايَا القَلعَة. ولثقة خالد الكَبيرَة برَجَاحَة عَقلِ نواف ونَبوغه، بَدأ دونَ إبطَاء بالبَحث مَعهُ عَنْ تلكَ العَصَا، ولَمْ يَسأل مَزيداً من الأسئلَة. اتَّجَهَ نواف مُبَاشرةً إلى الدَّور الثاني في قلعَة مَارد وبَدأ بالبَحث عَن زَاويَةٍ يُمكِنُ أن تَحويَ تلكَ العَصَا التي يَبحَثُ عَنها. كَانَ يَحفِرُ الزَّوايَا بأدَاةٍ

(٨) القليب تعني البئر بالعامية السعودية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَنقيب دَقيقَة تستَشعِرُ بحَسَّاسَات مُتَعدِدَة وُجودَ أي جِسم صَلب دَاخلَ الجِدار دُونَ الحَاجَة لهَدمه أو الحَفر فيه. غَابَت شَمسُ ذَلكَ اليَوم دُونَ أن يَعثُرَ نواف على ضَالته. كَرَّرَ مُحاولاته في اليَوم التَّالي واليَوم الذي يَليه، لَكن دُونَ جَدوَى. حَتى أنَّهُ تَوسَّعَ في البَحث ليشمَلَ كُلَّ أدوَارِ القَلعَة، بيدَ أنَّ ذلكَ كُلَّهُ كَانَ عَبَثا.

اليومُ الرَّابع كَانَ آخرَ أيَّام نواف في دومة الجَندل. استَحوذَ عَليه اليَأس وبَاتَ مُتشككاً بأنَّهُ رُبَما كَانَ يَبحَثُ عَن وَهم كَمَا أخبَرهُ وَالدُه، أو لَعلَّ فِرقَةً من فِرَق التَنقيب العَديدَة التي عَملَت في القَلعَة على مَرِّ عُقود مُتعَاقبة من الزَمَن قَد وَجدَت تلكَ العَصَا وَلم تُدرك قيمتَها فَأتلفَتها، أو لَعلَّ العَصَا ضَاعَت مَع تَقادُم السنين، فتلكَ الرقعة التي وَجدَها في صُندوقِ جَدِّه بَدا أنَّها قَديمَةٌ جِداً. حِينَ انتَصَفَ النَّهَار، تَوقَّفَ نواف عن البَحث وطَلبَ من خالد أن يَتوقَّفَ أيضاً. شَكرَ نواف صَديقَهُ خالد على مُساعَدته لَه طِوالَ الأيَام المَاضية:

- أعجَزُ عَن شُكرِك يَا خالد. اعذُرني، لَقد أضَعتُ وَقتكَ دُونَ جَدوَى.
- لا تَقُل ذَلك يَا نواف. التَّواجدُ مَعكَ هُوَ مَصدَرُ حُبورٍ دَائماً.
- تَأكَّد أني لَم أكُن لأطلُبَ مِنكَ المُساعَدة لولا ثِقتَي الكَبيرة بأنَّ العَصَا مَوجودَةٌ فِعلاً هُنا.
- أنَا وَاثقٌ من ذَلك، ومَا تَدري لرُبَمَا عَثرَ عَليها مَن لَم يُدرك قيمتَها وألقَى بها في البِئر!
- البِئر! نَعم البِئر! كَيفَ لَم يَخطُر بِبالي ذَلك!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

احتَضنَ نواف خالد بِسُرعَة ثُمّ اتجَه مُسرِعاً نَحوَ البِئر مُنتَشِياً بفِكرَةٍ وَثبَت لرَأسِه!

كانَ خالد يُحاوِلُ اللَّحَاقَ به وهُوَ يَصعَدُ عَتبَاتِ سَلالِم القَلعَةِ الزَلِقَة وهُوَ يَصيح: «إلى أينَ أنتَ ذَاهِب»؟

عندَ البِئر خَلعَ نواف ثَوبَه ومعطَفَه ورَبطَ نَفسهُ بحَبلٍ شَدَّ وِثَاقهُ عَلى عَامودٍ مُجاوِر ثُمَّ بَدأ يَتسلَّقُ الشَّبك الحَاجز للبِئر، فصَاحَ به خالد: «مَاذا ستَفعلُ يَا مَجنُون؟» رَدَّ نواف وهُوَ يَنظُرُ إلى البِئر: «سَأقفِزُ عَلى حَوافِ البِئر! أنَا مُتأكدٌ أنَّ العَصَا هُنَا في البِئر! «شَرق القليب اللي دُونَه سكنهَا» تَعنِي الجِهةَ الشَّرقِية مِن البِئر نَفسِه، لا مِن مَارد! كَيفَ لَم أفكِر بذلك!»

صَرخَ خالد بفَزَع: «شَرقُ مَاذا؟ مَا الذي تَقُوله؟ قِف يَا..»

لَم يُكمِل خالد نِدَاءهُ لنواف إلا وهُوَ مُتعلقٌ فعلاً بجِدارِ البِئر بَعدَ قَفزَةٍ مُتهورَة وأدَاةُ التَنقيب في فَمه وهُوَ يَعضُّ عَليها. لَم يَستطِع خالد رُؤية نواف دَاخلَ البِئر بَعدَ أن ضَجَّ المَكَانُ بأسرَابِ الحَمام الغَافِية على أطرَافِها وهِيَ تَطيرُ مَفزوعَةٌ من قَفزَة نواف. بَدأ نواف يَتحسَّسُ الأحجَار حَولَه بحَمَاس ويَهبط شَيئاً فشَيئاً حَتى وَصلَ لمَنطقة عَميقَة في البِئر وهُناكَ صَاح: «خالد! لقَد وَجدتُ العَصَا! اسحَب الحَبل وسَاعدني عَلى الصُعود»!

وَجدَ نواف العَصَا الغَليظَة التي كَانَ يبحَثُ عَنها! كَانت تُشبهُ الصَّولَجَان ومَصنوعَةً من الخَشَب كَما كَانت مَلفوفَةً دَاخِل رِدَاء كَثٍّ من الصُوف.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نَعم، تلكَ كَانت هيَ العَصَا التي أعطاهَا المَلِك هنري الثاني لإيملي قَبلَ مَا يُقارِبُ الألفَ عَام!

بالإضَافة للعَصَا كَانت هُناك مَخطُوطَةٌ مُختصَرة تَنصُّ على ملكية عَائلة النائل لهذه العَصَا، ومَعهَا رُقاقَةٌ نُحاسية حُفِرَ عَليهَا اسمُ عَائلة نواف: النائل. لَم تَكُن المَخطوطَة قَديمَةً كقِدَمِ العَصَا، يَبدو أنَّهَا كُتِبَت قَبلَ أقلَّ من مائة عَام.

Telegram:@mbooks90

سَحبَ خالد الحبل بسُرعَة وهُوَ لا يَكادُ يُصدِّقُ ما سَمِع. مَا أن خَرجَ نواف وحَلَّ وثاقَ الحَبلِ من حَولِه حَتى انطَلقَ مُسرِعاً نَحوَ حَقيبته التي يَحملُها مَعهُ دَائماً ليُخرِجَ الرُّقعَة التي وَجدَها في صُندوقِ جَدِّه. كَانَ نواف يَبحثُ عَن الرُّقعَة بحَماسٍ بَالِغ وقَبلَ أن يَلتقطَ أنفَاسَه بَعدَ المَجهود الذي بَذلَهُ دَاخلَ البِئر. لَم يَستمِع لعِبارَات اللَّوم وتَعابير الدَّهشَة التي كَانَ يَصدَحُ بِهَا خالد بجانبه. وحِينَ أخرَجَ الرُّقعَةَ أخيرًا، قَامَ بِلفِّهَا بسُرعَة حَولَ العَصَا، ثُمَّ أطرَقَ يَنظُرُ إليهَا مُحاولاً فَهمَ الرِسَالة التي تَحملُها. لكنَّ الرِسَالةَ التي ظَهرَت كَانت مُجرَّدَ طَلاسمَ أخرَى. حُروفٌ لاتينية مُبعثَرة. أزَالَ الرُّقعَةَ من على العَصَا ثُمَّ لفَّهَا مَرَّةً أخرَى بطَريقَة مُختلفة، لَكن عَبَثًا. حَاولَ لمرَّاتٍ عديدة قَبلَ أن يُلقِيَ العَصَا وهُوَ يَصرُخُ مُحبَطاً: «مُستحيل»!

حَاولَ خالد مُواساتَهُ، لَكنَّ نواف الذي بَدا مُتجهِماً حَملَ العَصَا ولَملَمَ حَاجياته ثُمَّ قَالَ وهُوَ يَهمُّ بالذَهاب: «لنُغادِر هَذا المَكان، أشعُرُ بضِيق».

على ضِفَافِ بُحيرةِ دومة الجندل، جَلسَ نواف وخالد دَقائقَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَعدودة وهُمَا يَتأملانِ الأفُقَ في صَمْت، قَبلَ أن يُبادرَ نواف بالحَديث بهُدوء وهُوَ يَرقُبُ الشَّمسَ وقَد أخذَت تَخبُو في عبَاب السَّماء: «أنا مُتأكد يا خالد أني أوشِكُ على حَلِّ لُغزِ هَذه الرُّقعة، لَن أيأس. مَا يُحيرُني هُوَ حرصُ أجدادي على التَّكتُم على مَكانِ هَذه العَصَا في الوقت الذي يَبدو فيه أنَّهم لا يعرفونَ سِرَّها ولا سِر الرُّقعة. المُهمُ الآن هُوَ ألا تُخبرَ أحَداً بأمرِ هَذه العَصَا، ليبقَ الأمرُ سِراً بيننا، أرجوك!». وَعدَ خالد نواف أنهُ سيحفَظُ السِر، ثُم سَألهُ مُتَحيرَاً: «ألا تَستغربُ من أنَّ العَصَا لَم تَتلف من رُطوبَةِ البئر بَعدَ كُلِّ تلكَ الأعوام؟». أجابَهُ نواف: «أنا مُتأكد من أنَّ هَذا المَكان ليسَ مَكانَ العَصَا الأصلي، يبدو أنَّ هُناكَ مَن نَقلها هُنا قَبلَ عشرات الأعوام فَقط مَخافَةَ أن يعثُرَ عليها أحد. كَما أني أكَادُ أجزِم بأنَّ الذَّهب السَميك الذي يُغطِّي مُعظمَ أطرَافِ العَصَا بالإضافَةِ إلى هَذا الرِداءِ الغَليظ الذَي يَلفها قَد سَاهمَا بشَكلٍ كَبيرٍ في الحِفَاظِ عَليهَا».

في مَنزلِ عَمِّه محمد، لَم يُخبِر نواف أحداً عن عُثورِه عَلى عَصاً أثرية في بئرٍ قَلعَة مَارد خَشيةَ أن يَشيعَ الخَبر وتَتعقدَ الأمُور. خَلدَ إلى النَّوم مُبكراً وهُوَ مُحبط لعجزِه عَن فَكِّ الطَّلاسِم المَكتوبَة على الرُّقعة، لكنَّهُ على الأقل أمسَكَ بطرَفِ الخَيط وعَثرَ على العَصَا في أربَعةِ أيام. هَذا إنجَازٌ رَأى نواف أنَّه يَستحقُ عَليه أنْ يَخلُدَ للرَّاحَةِ تلكَ الليلة. تِلكَ الليلةُ فَقط.

في مَسَاءِ اليوم التَّالي عَادَ نواف إلى الرياض. كَانَ يَتأمَّلُ صُورةً التقطَها للعَصَا والرُّقعةُ مَلفوفَةٌ حَولَها طِوالَ الرحلَة. وعلى الرُّغم من عَدَمِ تَمكُّنِه من فَكِّ شَفرةِ النَّص المَكتوبِ على الرُّقعة، إلا أنَّه كَانَ يَشعرُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأنَّهُ قَريبٌ من ذَلك. تَساءلَ مِراراً: مَا الخَطأ؟ النَّص مُشفَّرٌ على طَريقَةِ الإسبرطيين، لا شَك في ذَلك، إذاً مَا الخَطأ؟

لَمْ يَستطع نواف النَّوم في تلكَ الليلة، أو لَعلَّهُ لَمْ يُحاول ذَلكَ أصلاً. كَانَ يَتأمَّلُ الرُّقعةَ بهُدوء وهُوَ يَرتَشفُ الشَاي الذي أعدَّ عدَّةَ أكوَاب منه، ففي كُلِّ مَرَّة يَبردُ الشَاي وهُوَ شَاردُ الذِّهن. وبَعد سَاعات منَ التَّأمُّل حَاولَ الإجَابةَ على تَساؤل دَارَ في خَلَده: لَو كُنتُ أنَا مَن شَفَّرَ هَذه الرِسَالة، وكُنتُ في نَفس الوَقت أخشَى أن تَقعَ الرِسَالةُ والمفتَاحُ مَعها في يَدِ شَخص لا أريدُهُ أن يَعرفَ فَحواها، مَا عَسايَ أفعَل؟

أغمَضَ نواف عَينيه وغَرِقَ في تَفكير عَميق مُحاولاً الإجَابَةَ على ذلكَ التَساؤل. وفَجأة، فَتحَ عَينيه الحمراوين قَبلَ أن يَجحَظا والدَّهشَةُ تَملؤهُمَا، ثُمَّ صَاح: «التَّشفيرُ الخَارق!».

انتهى الفصل العاشر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

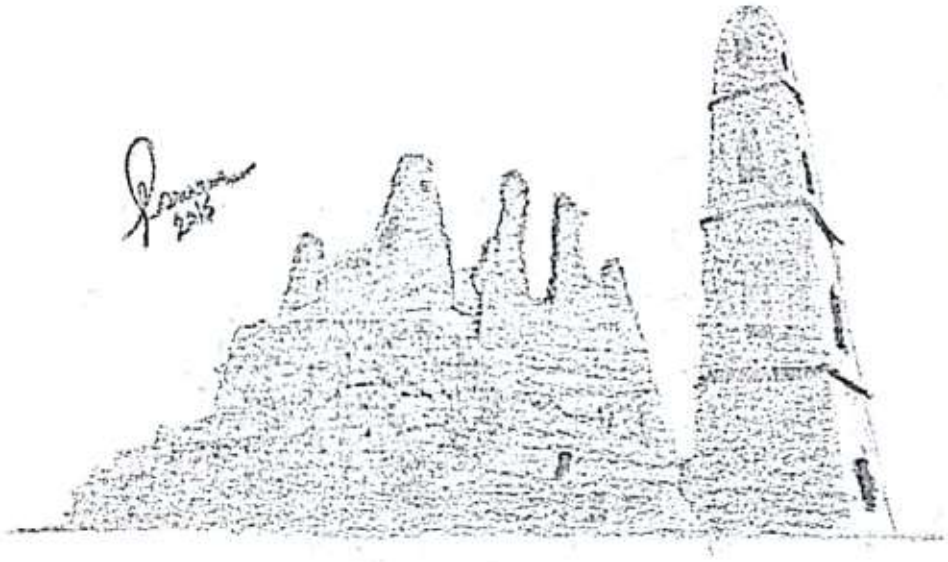

مئذنة مسجد عمر بن الخطاب (يمين)، وأطلال قلعة مارد كما تبدو اليوم (يسار) دومة الجندل، المملكة العربية السعودية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

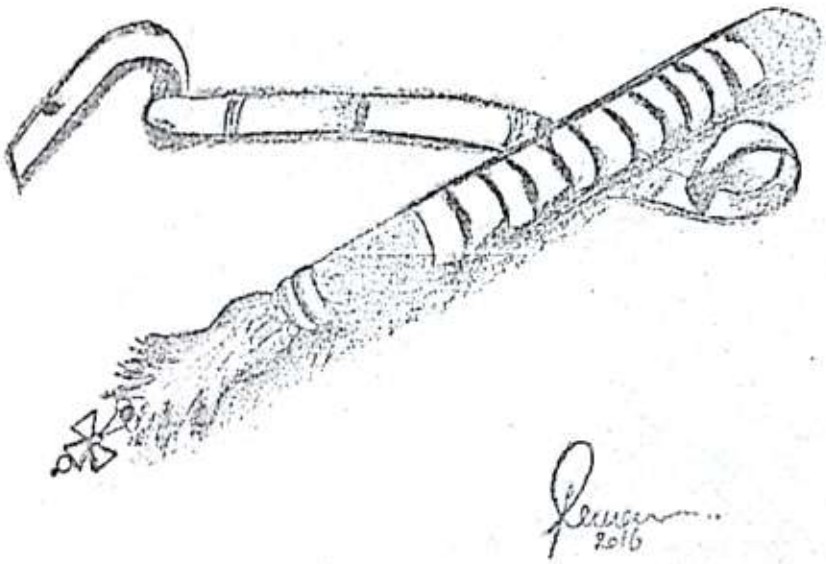

التشفير على طريقة الإسبرطيين، من أقدم طرائق التشفير في التاريخ. تلف رقعة من القماش أو الجلد حول عصا غليظة وتكتب الرسالة عليها، ثم ترسل الرقعة دون العصا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الحادي عشر

## ١٤ يناير – ٢٠١٥م. الرياض، المملكة العربية السعودية.

كَانَ سالم ونورة يَتناولانِ طَعامَ الإفطَار في الصَّباح البَاكر وسطَ حَديقَة المَنزل حينَ فَاجأهُما نواف وهُوَ بحَال رَثَّة والإعيَاءُ الشَّديد بَاد عَليه، حيثُ أمضَى الأمسَ كُلَّهُ من مَطلَع الفَلَق إلى مَجمَع الغَسَق وهُوَ يَعمَل عَلى فَكِّ شَفرَة الرسالَة المَكتوبَة على الرُّقعة. اقتربَ منهُما ثُم قَالَ بصَوت خَافت: «أمي.. أبي.. حَللتُ اللُّغز! لَقد فَككتُ شَفرَةَ الرِسَالة، ولَن تُصدِقَا مَا فِيها»!

طَلبَ سالم من نواف أن يَرتاح قَليلاً قَبلَ أن يَقولَ مَا لديه، لَكن نواف لَم يَستطِع أن يَتمَالَك نَفسَه وبَدأ يَشرَحُ لوالدِه بسُرعةٍ وحَماسٍ شَديدين كَيفَ تَوصَّلَ لفحوَى الرِسَالة:

- أخذتُ أفكرُ مَليًّا في الأمر. الشَّخصُ الذي شَفَّرَ النَّص كَانَ يخشى من أنْ تَقعَ الرُّقعةُ والعَصَا سَويًّا في يَد شَخص لا يَريدُهُ أن يَعرفَ فَحوَاها، فيتمَكنُ بسُهولة من فَكِّ شَفرتها، لِذَا كَانَ لابُدّ من إعَادة تَشفيرِ الرِسالة مَرَّةً أخرَى بَعدَ التَّشفيرِ الأوَّل



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبطَريقَةٍ أخرَى، أو مَا يُعرَفُ في علم التَّشفير بالتَّشفيرِ الخَارِق أو super encryption. التَّشفيرُ الثَّاني تَمَّ بطَريقَةِ الإزَاحَة، بمَعنَى إزَاحةُ الحَرف المُقَابِل لكُلِ حَرفٍ مِنَ النَّص في الأبجَدية اللاتينية بمقدارِ خُطواتٍ ثَابتة. عَلى سَبيلِ المِثَال، لَو كَانَ مقدارُ الإزَاحةِ هُوَ خُطوَتين، فهَذا يَعني أنَّ حَرفَ A في النَّص الأصلي يَتمُ تَعويضُه بحَرفِ C في النَّص المُشفَّر، أو مَثلاً حَرفُ F في النَّص الأصلي يَتِمُ تَعويضُه بحَرفِ H في النَّص المُشفَّر، وهَكذا. كَانَ خوليو قيصر يَعتمدُ هَذه الطَّريقَة في تَشفيرِ رَسائله لقادة جُيوشه، وكَانَ دَائماً يُزيحُ الأحرُف بمقدار ثَلاثة خُطُوات، وذَلكَ نَفسُ مقدارِ الإزَاحة الذي اعتَمدَهُ الشَّخص الذي شَفَّرَ الرِسَالة. إذا مَا أخذنَا في الاعتبار عُمر الرسالَة العَتيق، فمِنَ الوَاضِح أنَّ مَن شَفَّرَ الرِسَالة هُوَ شَخصٌ مُطَّلِع ومُتعلِّم وذَكي!

- تَعني أنَّ الرِسَالةَ شُفِّرت أولاً بطَريقَة الإسبرطيين، ومِن ثَمَّ تَمَّ تَشفيرُ النَاتِج مَرَّةً أخرَى بطَريقَةِ الإزَاحة؟
- بالضَّبط!
- تُبهِرُني بنُبوغِكَ دَوماً يَا بُنَي! حَسناً، ومَا فَحوَى الرِسَالة؟
- هَل أنتُمَا مُستعِدان فِعلاً لمَعرفته؟ الأمرُ أغرَبُ مِمَا قَد تتصَورَان!
- طَبعاً! لَقد أثرتَ فُضولنا أكثَر! أخبِرنَا!
- الرِسَالةُ مَكتوبَةٌ باللُّغَة الفرنسية. وهَذا نَصُّها:

Je suis Henry fils de Geoffrey Plantagenet d›Anjou. Je
...laisse ce message a mon épouse bien-aimée. Emilie



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- قف! تَرجم لَنا يَا بُني!
- أبشِر. النَّصُّ بالعَربية:

**أنَا الأميرُ هنري بن جيوفري آل بلانتجنيه من أنجو. أترُكُ هَذه الرِّسَالة مَع زَوجتي الحَبيبَة، إميلي. هيَ زَوجتي تَحتَ ظل الرَّب وببَرَكَة كَبير قَساوِسَة كَنيسة لاكسويل. هَذه الرُّقعة المُشَفَّرَة سيُمكنُ فَكُّ تَشفيرها عَلى صَولَجان مَلك إنجلترا في حَال أصبَحتُ مَلكاً لَها، وذَلكَ كدَليل عَلى أصَالَتها.**

- ومَاذَا يَعني ذَلك؟
- أظنُّ أنَّهُ يَعني.. أننَا من نَسل المَلك هنري الثاني من أسرَة آل بلانتجنيه، أحَد أشهَر مُلوك إنجلترا!
- هَل جُننت؟
- هَذا يَعني أنَّ أجدَادي رُبمَا كَانُوا أولَى بحُكم إنجلترا من أبنَاء هنري الثاني المُتأخرين! مَا يُحيرُني هُوَ كَيفَ استَطاعَ أسَاساً أن يَتزوَجَ من امرَأتين في نَفس الوَقت وهُوَ مَسيحيٌّ مُتدين، وكَيفَ وَصلَت أسرَتُنا إلى هُنَا! جَزيرَةُ العَرَب! حينَ بَحثتُ في سيرَة المَلك هنري الثاني وَجدتُ أنَّهُ مُتزوجٌ فَقط من المَلكَة إليانور، ولا يُوجَدُ ذكرٌ لزَوجَة اسمُها إميلي! يَجبُ أن أتَحرَّى المَوضُوع بشَكل أكبَر!
- هَذا يَكفي يَا نواف! يَبدُو أنَّكَ فَقدتَ عَقلَك!
- مَا المُشكلَة؟
- لا أريدُكَ أن تُضيعَ مَزيداً من الوَقت في أوهَام لا تَنفَع. هَل تَعي خُطورَة مَا تَقول؟ كَيفَ ستكُونُ رَدَّة فعلِ أعمَامِكَ وبَقيَةُ الأقارب؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَيفَ سيستَقبِلُ السياسيون في إنجلترا هَذِه التّخرُصَات التي لا طَائلَ منها؟

- لمَ يا أبي؟ فَكِّر في الأمر أرجُوك! لَقد قُمتُ بفَكِّ شفرة رِسَالَة كُتبَت مُنذُ مَا يُقاربُ الألفَ عَام! هَل تَظنُّ أنَّ هَذه كَانت مُجرَّدَ مُصادَفة؟ لقَد قَدَّر الله لي ذَلك لسَبب عَليَ أن أسعَى لمَعرفَته. أرجُوك!
- انتَهى الحَديث. كَفَى! اذهَب ونَل قسطَاً من الرَاحة، حَاول أن تَنام وأرِح رَأسكَ وجَسدَك. أنتَ تَطلُبُ أمرَاً دُونهُ خَرطُ القَتاد!

مَا أن غَادرَ نواف والحَسرَةُ تُخيِّمُ عَليه، حَتى التفَتَ سالم إلى نورة وقَالَ بغَضَب: «ألَم أقُل لَك غَيرَ مَرَّة بأنَّهُ قَد حَانَ الوَقتُ لتَزويج نواف؟ يَجبُ أن يَنشغلَ بأمُور تُفيدُه. الفَراغُ هُوَ سَببُ مُا يَحصُلُ لَهُ الآن!»، لتُردَّ عَليه: «أنتَ تَعرفُ أنَّهُ يَرفُضُ ذَلكَ كُلَّمَا عَرضتُهُ عَليه!». غَادرَ سالم الحَديقةَ غَاضباً وهُوَ يُقولُ بصَوت عَال: «هَذه مَسؤوليتك، حَاولي مَرَّةً أخرَى. لَقد كُنتُ أصغرَ من نواف الآن حِينَ رُزقنَا بِه!».

مَضَت عدةُ أشهُر بَعدَ ذَلكَ الحوار، لَم يَتحدَث فيها نواف عَن أمرِ الرِسالَة المُشفَّرة مُطلقاً. كَانَ مُنكبَّاً عَلى عَمله وبَدا كَأنَّهُ قَد نَسيَ أمرَ الرِسالَة تَماماً، أو هَكذا ظَنَّ سالم!

لكنَّ الحَقيقَة كَانت خلافَ ذَلك، فنواف كَانَ يُجري وبصَمت بَحثاً عَميقاً، استعَانَ فيه بالعَديد من المَراجع والأبحَاث التَّاريخية في المَكتبات العَالمية عَبرَ شَبكة الإنترنت، ليعرَفَ مَكانَ صَولجَان المَلك هنري الثاني، هَذا إن كَانَ لَهُ صَولجانٌ أصلاً. فمُعظَمُ المَراجع تَنفي



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنَّ لَهُ صَولجَاناً نَجَا من الضَياعِ عَبرَ كُلِّ تلكَ السنين. إلا أنَّ نواف كَانَ مُصرَّاً عَلى وُجودِ هَذا الصَّولجان. سَاقَهُ بَحثُه إلى صَولجَانٍ خَاص بمُطرانِ كانتربري في فَترةٍ قَريبَةٍ من فَترةِ حُكم المَلك هنري الثاني. كَانَ الصولَجان في غَايةِ الجَمَالِ والإتقَان، كَمَا لَو كَانَ صَولجانَ مَلِك! يَقبَعُ هَذا الصَّولجان بالتَّحديد في قَبوِ مَتحفِ (فكتوريا أند ألبرت) وسَطَ العَاصِمةِ البريطانية لندن!

## ٩ يونيو – ٢٠١٥م. الرياض، المملكة العربية السعودية.

كَانَ سالم يَحتَسي الشَّاي في غُرفَةِ المَعيشَة حينَ هَرعَت إليه زَوجتُه نورة وهِيَ تَسألُهُ بوَجَل: «أينَ نواف؟ سَيارَتُهُ في الخَارج! لم لَمْ يَذهَب إلى عَمَله؟»، ليَرُدَّ سالم بهُدوء: «رُبمَا غَلَبهُ النُعاس فَلم يَستيقظ! أوقظيه!». ذهَبت نورة لتُوقظَ نواف، لكنَّها عَادت بسُرعَةٍ وهِيَ تَرتَعش ودُمُوعها على وِجنَتيها! صَاحَ بها سالم: «مَا الأمرُ يا امرأة؟»، فنَاولتهُ بيدِها المُرتَعِشَة رِسالةً وَجدتهَا في غُرفَةِ نواف، وكَانَ نَصُّها:

أمي الحَبيبة، أبي الحَبيب،

أرجو أن تَعذُراني. كَانَ لابُدَ من أن أتَقصَّى هَذا الأمر حَتى نهايته. شَيءٌ مَا بداخلي مَا انفكَّ يُؤكدُ لي أنَّ هُناكَ ثَمَّةَ أمرٌ عَليَ مَعرفَته. حَدسٌ لَم أشعُر به من قَبل. لا أظُنُّ أنَّ الرِسَالةَ المُشفَّرة قَد وَصلتني بالصُدفَة، لقد مَكنني رَبي – عَزَّ وجَل – من فَكِّ طَلاسمها لسَببٍ مَا. أنَا ذَاهبٌ إلى لندن، وسَأتَصلُ بكُمَا فَورَ وصُولي. تَواصلتُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَع أستاذي في جَامعة كامبردج ووَعدني بالمُساعدَة. لا تَقلقا عَلي. لن أغيبَ طَويلاً.

أحبكُما!

نواف النائل آل بلانتجنيه!

وضَعَ سالم رِسالةَ نواف على المنضدَة بَعدَ أن قَرأها. ثُمَّ ابتَسَمَ وهُوَ يَنظُرُ إلى نورة الوَجلَة بجِواره قَائلاً: «آل بلانتجنيه! كَم يُذكرُني ابنُك هَذا بنَفسي حينَ كُنتُ شَاباً يَافِعاً مِثلَه. يُعجبُني إصرَارُه، وأنَا وَاثِقٌ من أنَّهُ سيَصِلُ لأمرٍ مَا يُبهِرُ به العَالم. لا تَقلَقِي عَليه، نواف شَابٌ ذَكي وقَوي»!

انتهى الفصل الحادي عشر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الثاني عشر

**٩ يونيو – ٢٠١٥م. لندن، المملكة المتحدة.**

بَعدَ أن خَطَى نواف أولَى خُطواتِه علَى أرض إنجلترا خَارجَ مَطارِ هيثرو، تَوقَّفَ لبُرهَةٍ ثُمَّ أغمَضَ عَينيه واستَنشَقَ الهَواءَ بعُمق. كَانَ كمَن يُوشِكُ عَلى خَوضِ مَعرَكةً لا يَعرِفُ عَواقبَها، وإنْ كَانَ قَد أعدَّ لَها طَويلاً. استَقلَّ إحدَى سَيارَات الأجرَة اللندَنية السَّوداء، ثُمَّ اتصَلَ عَلى وَالده ليُطمئنَهُ ووالدتَه عَلى وصُوله بالسَلامَة. أثنَاءَ المُكَالمَة، قَاطعَ نواف عتَابَ والده لَه بأن طَلبَ منهُ أن يَدعو لَه، فَلا طَائلَ من اللَّوم الآن، ثُمَّ أخبَرهُ بأنَّهُ سيَتواصَلُ مَعه مَرَّةً أخرَى حِينَ يَصلُ الفُندق.

أخذَ نواف يَتأمَّلُ المَنطقةَ المُحيطَة بمَطارِ هيثرو وهُوَ دَاخل سَيارة الأجرَة حَيثُ قُرَى فلتام وإغام وستينز ووينذزور وآسكُت، هُنَا تَحديداً عَاشَ مُلوكُ أسرَة آل بلانتجنيه وخَاضُوا مَعارِكَهُم قَبلَ مَا يُقارب الألف عَام، وفي قَلبِ تلكَ القُرَى تُوجَدُ غَابَةُ رنيميد حَيثُ وَقَّعَ المَلك جون بن هنري الثاني وَثيقَةَ الماغنا كارتا التَاريخية.

حِينَ اقتَربت سَيارَةُ الأجرَة من لندن، اتصلَ نواف بأستَاذه، البروفيسور جون مارتن، الذي كَانت تَجمعُهُ بِهِ عَلاقَةُ صَداقَةٍ حَميمَة.

نَعَم، هُوَ جون البَاحثُ النَّابغَة في جَامعة كامبردج الذي تَمكَّنَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قَبلَ عُقود منْ فَكِّ شَفرات بَعض رَسائل المُوفدين الإنجليز إلى الجَزيرة العَربيَّة، قَبلَ أنْ يَتوقفَ عَنْ مُواصَلة ذَلك بأمرٍ منَ الاستخبَارات البريطانية. جون كَانَ المُشرفَ عَلى رِسَالة الماجستير التي قَدَّمَها نواف إبَّانَ دراسته في كامبردج. القَدرُ لا يَأتي مُصادَفة والعَالَمُ الذي نَعيشُ فيه أصغَرُ بكَثير ممَا نَظُن.

بَعدَ انتظارٍ لَحظَات وَجيزَة، رَدَّ جون عَلى الاتِصَال:

- أهلاً، جون مارتن يَتحدَّث.
- أهلاً جون، أنَا نواف!
- مَرحَباً نواف، كَيفَ حَالُك؟
- أنَا بخَير، شُكرَاً لَك. لَقد وَصلتُ لندن!
- عَظيم، أرجُو أنَّ رِحلتَكَ إلى هُنا كَانَت جَيدَة.
- نَعم، شُكراً. أحتَاجُ أن ألتَقيكَ لأبحَثَ مَعكَ المَوضُوع الذي سَبقَ أن حَدَّثتُكَ عَنه.
- نَعم. سيُسعِدُني ذَلك!
- سَآتيكَ في كامبردج؟ هَل نَلتَقي في الجَامِعَة؟
- لا. أفضِّلُ أن نَلتَقي في مَنزِلي.
- كَمَا تَريد. سَأزورُكَ غَداً إذاً.
- سَأكونُ بانتِظَارك!
- إلى اللقَاء.
- إلى اللقَاء.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لَم يَخرُج نواف مِنَ الفُندق طوالَ ذَاكَ اليَوم. كَانَ يَقومُ بتَرتيب الملفَات الضَّخمَة ويُعدُّ الرُّقعَةَ العَتيقَة والعَصَا ليَعرضهُمَا عَلى أستَاذه جون في الغَد. يَثِقُ نواف بجون ثقةً كَبيرَة، ويَعرِفُ أنَّ بإمكَانه أن يُساعدَهُ في مَسعَاه للبَحث عَن حَقيقة تلكَ الرِسَالة المَكتوبَة عَلى الرُّقعَة. ابتداءً من يَوم الغَد، سيَتغيرُ كُلُّ شَيء، فنواف عَلى وَشَك خَوض مُغامَرة لا يَعرِفُ حَتى الآن جَسامَةَ خُطورَتها!

## ١٠ يونيو – ٢٠١٥م. كامبردج، المملكة المتحدة.

كَانَ نواف يَقِفُ أمَامَ بَاب مَنزِل البروفيسور جون في تَمام السَّاعَة الرَّابعة عَصرَاً. فقد حَرِصَ أن يَلتزِمَ بالمَوعد بدقَة كعَادة الإنجليز، على الرُّغم من أنَّهُ كَانَ قَد وَصلَ كامبردج قَبلَ أكثرَ من نِصف سَاعَة. كَانَ مَنزِلُ البروفيسور جون خَارِجَ المَنطقة السَّكنيَة في وَسط مَدينة كامبردج، حَيثُ فَضَّلَ البروفيسور السَّكنَ بَعيداً عَن ضَوضَاء المَدينَة وصَخبها في مَنطقة زراعيَّة عَلى أطرَافها. وعَلى الرُّغم من أنَّها كَانت المَرَّة الأولى التي يَزورُ فيها نواف مَنزِلَ البروفيسور جون، إلا أنَّهُ اهتدَى للمَنزل بسُهولة حَيثُ لا تُوجدُ بنايات كَبيرَة ولا شوارَع كثيرَة في تلكَ المَنطقة. قَرعَ نواف جَرسَ المَنزِل، ليَفتحَ لَهُ جون البَاب بسُرعَة وابتسَامَةٌ عَريضَة تَرتَسِمُ عَلى مُحيَّاه.

لَم يَستغرق نواف وأستَاذهُ في حَديث السؤال عَن الأحوَال واسترجَاع الذكريَات طَويلاً؛ بَدأوا النِّقاشَ حَولَ مَوضوع الرُّقعَة بَعدَ فَترة قَصيرة من جُلوسهما في غُرفَة المَعيشَة. كَانَ جون يَسألُ أسئلةً مُتتاليةً حَولُ الأمر، وكَأنما أعدَّ لَها مُسبقاً، فيما كَانَ نواف يُجيبُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحماس بالغ. أخرجَ نواف الرُّقعةَ الجلدية العتيقة والعصا التي وجدها في قلعة مارد من حقيبته التي لا تُفارقه، ومَا أن رآهما جون حتى تسمَّر مُطرقاً يتأمَّلُ القطعتين بانبهارٍ كبير. سألَ جون فيما إن كانَ بإمكانه أن يتفحصَّ القطعتين، فردَّ عليه نواف بالإيجاب.

بينمَا كانَ جون يتفحصُ الرُّقعةَ والعصا بفضول، إذا بفتاة في غاية الجمال تدخُلُ الغرفة حاملةً إبريقَ شاي وأقداح على صينية فضيَّة. مَا أن وقعت عينا نواف على الفتاة حتى شعرَ بالذُّهول أمامَ حُسنها الجذَّاب وقوامها الأخَّاذ وعينيهَا الآسرتين. استمرَّ نواف يتأملُ الفتاةَ غيرَ مُدرك لما حولهُ وكأنما الزَّمنَ توقَّفَ لحظةَ رآها، فيمَا كانت هيَ تُبادلهُ النَّظرات وَجلةً تارةً وتُشيحُ نظرَها عنهُ خجلةً تارةً أخرى. سمعَ جون صوتَ أقداح الشاي تهتزُّ فوقَ الصينية التي بدأت ترتعشُ في يدِ الفتاة، فتركَ القطع التي كانَ يتأملُها، وطلبَ منها أن تقترب. «نواف، أعرِّفُكَ على ابنتي إميلي»، قالَ جون مُوجِّهاً الحديثَ لنواف شاردَ الذهن. «إميلي؟» ردَّ نواف بدهشة! ليوضِّح جون: «اسمٌ فرنسي، أعرفُ ذلك. فوالدتُها فرنسية. تُوفيت مُنذُ سنوات، كما تعرف، ربمَا. إميلي هيَ ابنتي الوحيدة وتدرسُ حالياً في برنامج ماجستير أمن المعلومات في جامعة كامبردج، ذات البرنامج الذي التحقتَ أنتَ به قبلَ أعوام!»

قدَّمَ جون نواف لإميلي، وأخبرهَا بأنَّهُ صديقُه وأحدُ أفضل الطُّلاب الذينَ قامَ بتدريسهم. اكتفت إميلي بابتسامة لطيفة دُونَ أن تُعلِّقَ على حديث والدها. حاولَ نواف أن يكسرَ حاجزَ الثَّلج بينهُ وبينها حينَ سألَ جون: «ألا تجدُهَا مُصادفةً غريبةً يَا جون أنَّ الرسالة المُشفَّرة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الرُّقعَة كَانت تتحدَّثُ عَن سَيدة اسمُها إميلي أيضاً؟»، ليَردَّ جون وهُوَ يَضحَك: «أجَل!»، قَبلَ أن يَقوُل وبجديَّة مُفاجِئة:

- نواف، أظُنُّ أني أعرفُ أجوبَةً لعدة أسئلَة تَدورُ في ذهنك حَول الرِسَالة وفحوَاهَا. المَوضوعُ أخطَرُ مِمَا تَظُن، رُبمَا.
- مَا الخَطيرُ فيه؟ أخبِرني أرجُوك!
- مَا رَأيكَ أن تُرافقَني إلى مَكتبَي المَنزِلي فأخبِرُكَ بمَا أعرِف وأريكَ بَعضَ الوَثائق التي تُهمُّك.
- بالطَّبع. لكن لمَ لا تَأتي إميلي مَعَنا؟ أنَا وَاثقٌ مِن أنَّها ستُساعِدُنا في هَذا الأمر.
- إن كُنتَ لا تُمانِع، فَلا مَانعَ لَدي. سَأسبقُكُما إذاً إلى المَكتَب لتَحضير بَعض الوَثائق. أخبِرهَا بأمرِ الرُّقعة والرِسَالة مِن فَضلك، فهيَ لَا تَعرِفُ عنهُما شَيئاً، ثُم الحقَا بِي.
- حَسناً.

مَلأ جون قَدحَ شَاي وأخذَهُ مَعه وهُوَ يُغادرُ الغُرفَة. أمَّا نواف فَقد كَادَ قَلبهُ أن يَقفزَ من مَكانه وهُوَ يجلِسُ بجوارِ إميلي. شَيءٌ مَا كَانَ يجذبُهُ إليها بشَكل لَم يَعهدهُ أبدَاً في حَياته. كَانَ يَشعرُ بهَالة من السحر تُحيطُ بها وكَأنَّماً كَانَ يَعرفُها مُنذُ أعوام عَديدَة، وكَأنَّها كَانت حُلماً يُراودُهُ مُنذُ طُفولَته تَجسَّدَ أمَامَ عَينيه أخيرَاً. بَدَت لهُ كخَيال استحَالَ وَاقعاً، أو رُبمَا كَانت وَاقعاً أشبَهُ بخَيال. حَاولَ أنْ يَلجمَ نَظرات إعجَابه بها، ولَم يُفلِح، فبَدأ الحَديث رَاوياً حكايَة الرُّقعَة والرِسَالة المُشفَّرة مُنذُ أن وَجدَها في صُندوقِ جَدِّه، عَلَّ ذَلك يُسكِنُ زَخمَ المَشاعِر المُتلاطِمة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأخته بأنه توقف، وابتسم جون أخيراً بنفسه مشدوهاً بسحر إيميلي لتستمرّ متجذراً على مقربة ولم يتطلّب منه باهتمام كبير أن يعيد تحديثاً قد تكمل روايته. أثبتت إيميلي إعجابها بقدرته على قراءة الرسالة. ذلك كان مخطوطة في سبب ركيكة وصعبها إلى قيمة تاريخ في جزيرة العرب. بعد ذلك، توجّه نواف برفقة إيميلي إلى مكتب جون كما كان قد طلب منهما.

كان جون يتأمل عدة مخطوطات وكتب على سطح مكتبه حين دخل نواف برفقته إيميلي حجرة المكتب. وما أن رآهما حتى طلب منهما الجلوس والإنصات جيداً لما سيقوله. وقف جون بتثاقل وأخذ ينظر إلى المزارع التي تحيط منزله عبر النافذة. ثم أشاح ببصره إلى السماء وهو يقول: «إن صحت المعلومات التي أعرفها، فحكاية هذه الرسالة المشفرة يا نواف هي بحق أغرب وأعجب من أن تمر بخيال أحد. إننا هنا نكمل فصول رواية ابتدأت منذ ألف عام إنها من أغرب مصادفة الحياة».

نظراً لاهتمامه الكبير بالتاريخ الإنجليزي وقراءاته العميقة فيه، وفي خضم محاولات سرية للبحث عن سبب تقصي الحكومة البريطانية أخبار هنري الثاني في الجزيرة العربية، اطلع البروفيسور جون على مخطوطات وكتب زعم مؤلفوها بأن الملك هنري الثاني كان قد أخبر بعض مرافقيه وأبنائه غير الشرعيين وهو يحتضر بأنه تزوج من فتاة فرنسية من العامة تدعى إيميلي قبل زواجه من إليانور، متحدياً رغبة والدته الإمبراطورة ماتيلدا، وبأنه قام بتهريبها إلى جزيرة العرب خوفاً على حياتها، على أن يحضرها إلى أوروبا مرة أخرى حين يتمكن



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من استعَادة مُلك إنجلترا الذي سُلِبَ من وَالدته. وبحسَب قراءات جون أيضاً، يَتفقُ أغلَبُ المؤرخون عَلى أنَّ ذلكَ هُوَ سِرٌّ كَبيرٌ مُتواتِر تعارَفت الأسَر المَالكة في إنجلترا على كَنْه والتَّكتُّمَ عَليه. لَكنَّ أحداً من المُؤرخين الذينَ رَووا ذَلك لَم يَكُن يَملكُ دَليلاً مَادِيّاً عَلى صحَّة هَذا الادِّعَاء. أخبرَ جون نواف كُلَّ مَا يَعرفُه عَن تلكَ القصَّة المَزعُومَة، وبأنَّ إميلي زَوجةُ المَلك هنري الثاني لَم تَعد لإنجلترا لأنها اعتَنَقت الإسلام وفضَّلَت البَقاءَ في ديارِ المُسلمين. كما أخبرَهُ بأنَّها، كَما يَقولُ المؤرِّخون، كَانت تَصطَحبُ مَعها ابنَها ليث، أكبرُ ابنَاء المَلك هنري الثاني. كَانَ نواف يُنصتُ لحديث البروفيسور جون دُونَ أن يَنبسَ ببنت شَفَه. حَاولَ استيعَابَ ما نَقلهُ لَهُ جون، وربطَ حِبالِ الأحدَاث تَارَةً وحَلِّهَا تَارَة أخرَى. حَاولَ استقرَاء تَبعاتِها، وعَواقِبها، ومَا تَعنيه، لَكنَّ الأمر لَم يَكن هَيناً.

ظَلَّ نواف صَامتاً ولَمْ يُعلِّق، حتى سألهُ جون: «ماذا سَتفعلُ الآن؟» ليرُد بهُدوء: «أولاً، سَأذهبُ لمُتحف فكتوريا أند ألبرت وأجرِّب فَكَّ شَفرَةِ الرقعَة عَلى الصَولجَان المُوجودِ هُناك، وفي حَالِ ثَبتَ أنَّ الصَولجَان مُطابق للعَصَا التي مَعي كَما أخبَرَ المَلك هنري الثاني في رِسالته، سأخبرُ العَالمَ بأسرِه عَن حِكايتي وعَن جَدِّي ليث، مَلِك إنجلترا غيرِ المُتوَّج!».

رَبتَ جون على كَتفِ نواف ثُم قَالَ لَه: «الأمرُ ليسَ بالسهولَة التي تَظنُّها. كُنْ حَذراً!» فأجابه نواف: «لا تَخَف. اسمَح لي بالمُغادَرة، أشعُرُ بصُداع. احتَاجُ وَقتاً لاستيعَابِ مَا سَمعتهُ مِنك، وللتخطيطِ لخُطوتي المُقبلة».



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَا أنْ غَادرَ نواف مَنزِلَ البروفيسور جون، حتَّى بَادرت إميلي وَالدهَا بالحَديث:

- لم أخبرت نواف بكل ذلك؟
- لا أعرف يا ابنتي. أشعر بالندم الآن. يبدو أن جزءاً مني ما زال متلهف لحل لغز تلك الرسائل التي فككت شفرتها منذ عشرات السنين، يبدو أني تسرعت.
- لا أرى في الأمر ما يستدعي كل هذا القلق. هل ستخبر نواف أيضاً عن حكايتك مع فك رسائل الموفدين الإنجليز؟
- لا. يكفي ما أخبرته به اليوم.
- حسناً.

في رِحلَةِ العَودةِ إلى لندن، كَانَ نواف غَارِقاً في التفكير بِمَا عَرِفَ من خَبرِ المَلك هنري الثاني وزَوجته إميلي وابنهما ليث. حَينَ عَادَ للفندق، أخرَجَ الرُّقعة من حَقيبته وأخَذَ يَتحسسُ أطرَافَها وكَأنَّما كَانَ يُواسيهَا ويُطمئنُ مَن كَتبَ عَليها بأنَّ السِّر قَد وَصلَ أخيرَاً لِمَن سيَحفظُ لإميلي كَرامَتها وحَقَّها وسيَروي الحَقيقةَ كَما يَجبُ أنْ تُروَى، ثُم استغرَقَ في تَفكيرٍ عَميق حَولَ مَا حَدثَ ومَا قَد يَحدُث. أيُعقل أنَّ ما قَالهُ البروفيسور جون صَحيح؟ الأمرُ فعلاً أغرَبُ من أن يَكونَ حَقيقَة! الأمرُ برُمَّته كَانَ سراً غَائراً فكيفَ قُدِّرَ لَهُ أن يُكشفَ بعدَ مَا يُقاربُ الألفَ عَام؟ ولِمَاذا؟ أمضَى نواف ليلَتهُ تلكَ في البَحثِ والتَّخطيط: أمضَاها مُتفكِّرَا ومُفكِّرا وحَائرا ومُحتارا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في اليوم التالي، نأنق نواف مستعداً للخروج. لكنه لم يأخذ معه حقيبته كما اعتاد. خبأ الرقعة داخل ملابسه فلربما احتاجها اليوم، كما أنه لا يأمن أن يتركها في الفندق. فقد عزم على الذهاب لمتحف فكتوريا أند ألبرت. وبينما كان يهم بالخروج، سمع رنين هاتفه فأخرجه ليرى من ذا الذي يتصل به على رقم هاتفه البريطاني الذي كان قد ابتاعه من آلة بيع في المطار يوم وصوله. ولا يفترض أن أحداً يعرفه سوى والده والبروفيسور جون. كان رقم المتصل غير معروف لديه. لكنه رد على أية حال، ليفاجأ بأن المتصل كان إميلي، ابنة جون!

بادرت إميلي بتحيته ثم أخبرته بأنها حصلت على رقم هاتفه من والدها، فبادلها نواف التحية وعبر لها عن سعادته باتصالها. ساد صمت غريب بعد ذلك، حيث كانت إميلي خجولة رغم قوة شخصيتها وذكائها، يبدو أن جرأتها قد خانتها فلم تفصح عن سبب اتصالها. إلا أن نواف خمن بذكاء ذاك السبب فسألها: «ما رأيك أن نلتقي اليوم فنناقش أمر الرسالة المشفرة وكيفية التأكد من صحة ما فيها؟» لتجيبه بسرعة: «أود ذلك! أنا في لندن الآن!». اتفقا على أن يلتقيا في مقهى قريب من الفندق الذي يقيم فيه نواف على مقربة من شارع نايتس بردج وسط لندن.

حين وصل نواف للمكان، وجد إميلي وقد سبقته. أخذ يتأملها من بعيد حيث بدت له كملاك هبط من السماء، قبل أن يتقدم نحوها ويحييها. كان حماس إميلي كبيراً وواضحاً، بل أنها ربما كانت شغوفة بأمر سبر غور حكاية الرقعة والرسالة بدرجة لا تقل أبداً عن شغف نواف. أكد نواف لإميلي عزمه الذهاب إلى متحف فكتوريا آند ألبرت–



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَمَا سَبقَ وأخبَرَ في مَنزِلِ جون – ليَتأكدَ فيمَا إنْ كَانت الرُّقعة ستُلائمُ الصَولجَان القَابع هُنَاك. إلا أنَّ إميلي كرَّرَت لَهُ تَحذيرَ وَالدَها السَّابق من أنَّ ذَلكَ لَن يَكونَ بالسُهولَة التي يَتصورُهَا، ثُمَّ قَالت: «أرجُو أنْ تُخبرَني بِكُلِّ مَا يَستَجِدُّ مَعك، وتَأكَّد مِن أنِّي سَأقومُ بِكلِّ مَا أستطيع لمُساعَدتك!». عَبَّرَ لَها نواف عَن امتنانِهِ البَالِغ لاهتمامِهَا وحُبورُهُ الكَبير بالتَواصلِ معَها. أمضَى نواف وإميلي بقيةَ النَّهارِ في المَقهى يتحدَّثانِ في أمورٍ عدَّة بَدأت بالتَشفير وطَرائقه ومَرَّت بتَاريخ بريطانيا قَبلَ أنْ تَنتهيَ عِندَ الحَديث حَولَ الاهتمامَات الشَّخصية والطُموحَات المُستقبَليَّة لكليهِمَا. غَادرَت إميلي المَقهَى قُبيلَ غُروبِ الشَّمس. غَادرَت وقَد استلَّت قَلبَ نواف الذي تُيِّمَ في حُبهَا.

في صَبيحَة اليَوم التَّالي تَوجَّهَ نواف فعلاً إلى المُتحَف مُصطَحباً الرُّقعةَ العَتيقةَ مَعه، ومَا أنْ دَلفَ إلى المُتحَف حَتَّى تَوجَّهَ مُباشرَةً إلى القَبو حَيثُ يَقبَعُ الصَولَجان المَطلوب في جَناحِ التَّاريخ الأوروبي القَديم. شَعرَ نواف بارتياح شَديد حينَ وَجدَ الصَولجَان في المَكانِ المُتوقَّع وقَد تَم وَضعهُ دَاخلَ صُندوقٍ زُجاجي سَميك. اتجَهَ نواف لأحد مُوظَّفي المُتحف المُتجَهِّمينَ – كعَادةِ مُوظَّفي المَتاحف – وأخبَرَهُ بأنَّهُ بَاحثٌ في التَّاريخ البريطاني وأنَّهُ بحَاجةٍ لتَفحُص الصَولجَان خَارجَ صُندوقه. رَفضَ المُوظَّفُ في بَادئ الأمْر حَتى مُناقشَةَ طَلبَ نواف منه، إلا أنَّهُ – وبعدَ إلحَاحٍ كَبيرٍ من نواف – أجابَ بأنَّهُ سيذهَبُ ليُخبرَ المُدير بطَلب نواف استخرَاجَ الصَولجانِ من صُندوقه وتَفحصه. بَعدَ انتظار لعدَّة دَقائق، عَادَ مُوظَّفُ المُتحَف يَصحبُهُ شَخصٌ آخر يَبدو أنَّهُ المُديرُ نَفسه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نوجّه ذاكَ الشّخصُ مُباشرَةً لنواف وأخبَرهُ بأنّهُ المُدير فعلاً. وأنّ لهُ أنْ يسألهُ عَن سَبب رَغبتِه في تَفحُّص هذا الصّولجَان تَحديداً، فأجَاب:

- أنَا بَاحثٌ في تَاريخ أسرَة آل بلانتجنيه، وبحَاجة إلى دِراسة مُقتنياتهم عَن كَثَب.

- لكنَّ هَذا الصّولجَان لَيسَ مِن مُقتنياتهم.

- أعرِف، ولكِنَّهُ كَانَ لكَاهنٍ عَاصرَهم.

- الأمرُ مُختَلف. قُلتَ أنَّكَ بحَاجة لدِراسَة مُقتنيَاتهم! ما اسمُك؟

- نواف.

- ما جِنسيَتُك؟

- سُعودي.

- أجدُ طَلبكَ هَذا غَريباً بَل ومُريباً. عُمومَاً، لَن يُسمحَ لَكَ مُطلقاً بتَفحص الصّولجَان خَارجَ صُندوقِه. يُمكِنُكَ الاكتِفَاءُ بالنَّظرِ إليه مِن خَلفِ الزُّجَاج.

- مَاذَا لَو حَضرَ أستَاذي في الجَامعة وطَلبَ ذَلك؟ مَاذَا لَو استَصدَرتُ طَلباً رَسميَّاً مِن الجَامعة بذَلك؟

- لا. لَنْ أسمَحَ لأحدٍ بلَمسِ هذا الصّولجَان!

شَعرَ نواف بغَضب شَديد تجاهَ رُدود المُدير وأسلُوبه المُتعجرِف بالحَديث، فصَرخَ وهُوَ يتَّجِهُ للصّولجَان: «لَن تَمنعَني مِن تَفحُّص



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصولجان! مَن تَظُنُّ نَفسَك؟»، ليُفاجَأ بعَددٍ من مُوظفي المتحف وحُرَّاسه وقد حاصرُوه وأمسَكوا به قبلَ أنْ يَسحبوهُ إلى خارج المتحف. كانَ المُديرُ يَصرخُ في وَجهِ نواف أثناءَ ذلك ويُخبرهُ بأنَّهُ لَن يَتمَ السماحُ لهُ مَرَّةً أخرَى من دُخولِ المُتحَف. وَجدَ نواف نَفسهُ في الشَّارعِ وسطَ نَظراتِ استنكارٍ من جَميعِ المُتواجدينَ فيه. بسُرعَة، أخذَ نواف يَتحسَّسُ مَلابسَه ليتأكدَّ من أنَّ الرُّقعةَ مَا زَالت مَعَه ولَمْ تَسقُط منه. فوَجدَها فاطمَأنَّ وهَمَّ بمُغادَرةِ المَكان.

مَضَى نواف عَائداً للفُندقِ وهُوَ يَشعرُ بخَيبةِ أملٍ كَبيرة، وحَنقٍ بَالغٍ استَعرَ في صَدرِه فأحرَقَ قَلبَهُ ونِياطَه، قبلَ أنْ يَرسَى عَليهِ الحُزنُ بكَلاكِله.

في حُجرَتِه، اتَّصَلَ نواف بإميلي وأخبرَها بِمَا حَدث لَه، لتُجيبَ فَورَاً: «أنَا قَادمةٌ إليكَ حَالاً!».

كانَ جون يَجلِسُ على أريكَتِه في غُرفَةِ المَعيشَة ويَقرأُ الصَّحيفَة حينَ سَمِعَ إميلي تتواصَلُ مع نواف عَبرَ الهَاتف، فسَألَها بَعدَ أنْ أنهَت المُكالَمة: «هَلْ ستلتَقينَ نواف؟»، فأجابَتهُ: «نَعم!»، ليسألَها مَرَّةً أخرَى: «هَلْ للأمرِ علاقَةٌ بالرُّقعَةِ التي عَثرَ عَليهَا؟»، «لا، سنَلتَقي للحَديثِ حَولَ أمورٍ عَامَّةٍ في أمنِ المَعلومَات، فهُوَ يَملِكُ بَعضَ المُقترَحَاتِ التي قَد تُفيدُني في كِتابَةِ رِسَالتي للماجستير» أجَابَت إميلي. أشَاحَ جون ببَصرِه إلى الصَّحيفَة ليُكمِلَ القِراءة دُونَ أنْ يُعلِّق.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التقَى نواف بإميلي بَعدَ اتصَاله بها بسُويعَات في بَهوِ الفُندق الذي يُقيمُ فيه. كَانَ مُحطَّماً ومُحبَطاً ويَشعرُ بغَضبٍ كَبير. رَوَى لَها تَفاصيلَ مَا حَدثَ في الصَباح. في مُحاوَلة لتَهدئته، أمسَكت إميلي يَدَهُ المُرتعشة عَلى الطَاولة وهِيَ تَنظرُ في عَينيه مِمَا كَانَ لَهُ أثَرَ السِحر عَلى أعصابه. وكَأنما أطَفأت بلمسَتِها الرَقيقة تلك بُركاناً ثَائراً!

بعدَ لَحظَات من الصَمت، قَالت إميلي بهدُوء: «لَقد أخبَرنَاكَ سَابقاً بأنَّ الأمرَ لَنْ يَكونَ بالسُّهولَة التي تَظنُها. لَكن، لا تَقلَق سنَجدُ حَلاً لهذه المُعضلة». صَرخَ نواف بصَوتٍ عَالٍ وهُوَ يُحدِّقُ بفنجانِ القَهوة أمَامَه: «سأذهَبُ مَرَّةً أخرَى للمُتحف وسأتفَحصُّ الصَولجَان! مَنْ يَظنُّ نَفسَه هَذا المُتعجرف!»، لتَرُد إميلي: «لا! لا تَذهب مَرةً أخرَى! لَن يُسمَح لَكَ بالدُّخول وسَتُثيرُ شُكوكَهم أكثَر. أرجُوك، دَعنَا نَجدُ حَلاً أكثَرَ حَصَافة». «شُكُوكَهم؟»، تَساءَل نواف، قَبلَ أنْ تُجيبهُ إميلي: «نَعم! هَلْ تَذكر مَا قَالهُ وَالدي عَنْ مُحاوَلة الأسَر المَالكة في إنجلترا التَّكتُمَ عَلى حكَايَة المَلك هنري الثاني الحَقيقيَة؟ رُبمَا أثَارَ طَلبُك فَحصَ ذَاك الصَّولجَان بالتَّحديد رِيبَتهُم. قَدْ لا يَعرِفُ مُدير المُتحف سِرَّ أهميَّة الصَّولجَان، لكنَّهُ بالتَّأكيد يُنفِّذُ أوامَرَ صَارِمَةً بعَدم السَّمَاح لأحَد بتَفحُصه وإن تَقدَّمَ الفَاحِصُ بطَلب رَسمي من جَامعَة بحَجم جَامعة كامبردج! ألَمْ تُفكِّر بذلك؟». أجَابَ نواف: «أرَى أنَّك تُبَالغين في مَخاوفك وتَحليلاتك!»، لتَرُدَ إميلي: «لَستُ أبالِغ!».

اتفَقَ نواف وإميلي عَلى أنْ يَلتقيَا خِلال يَومين بَعدَ أنْ يُفكِّرَ كُلٌّ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِنهُما بحَلٍ يُمكِّنُ نواف مِن استِخراجِ الصَّولجَان مِن صُندوقِه. غَادَرت إميلي عَائدةً إلى كامبردج بَعدَ أنْ نَجحَت بتَهدئةِ نواف الذي أمسَى يَنظُرُ للمَوضوع برَويةٍ أكبَر. كَانَت لَيلةً صَعبةً أمضَاها نواف يُنَاجِي نُجومَ سَمِاءِ لندن.

انتهى الفصل الثاني عشر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الثالث عشر

## ١٣ يونيو – ٢٠١٥م. لندن، المملكة المتحدة.

أستيقَظَ نواف مُتأخراً عَلى غيرِ عَادته، فقد أخذَ التَّفكيرُ منهُ غَيرَ مَأخذ وبَلغَت الحَيرةُ فيه مَبلغاً كَبيراً. وأصبَحَ الإنهَاكُ بَادياً عَلى وَجهه الذي بَدأ شعرُ دقنه يَظهرُ عليه بوضُوح حَيثُ لَمْ يَحلق دقنهُ مُنذُ أيَام، أيضَاً عَلى غَيرِ عَادته. بعدَ أنْ استحمَّ وأرتَدى مَلابسه، اتصَلَ بوَالده فطَمأنَهُ ووَالدته عَلى حَاله. أخيراً، ألقَى نَظرةً سَريعةً عَلى الرُّقعة دَاخلَ الخَزنةِ الإلكترونيةِ في حُجرَته، ثُم أعَادَ اغلاقَ الخَزنَةِ وغَادَر.

تَوجَّهَ إلى حَديقة هايد بارك الضَّخمَة وَسطَ لندن، حَيثُ اعتَزمَ أنْ يَشربَ قَهوَتَهُ هُناك عَلى ضفافِ نَهرِ التايمز، عَلَّ جَمالَ المَنظرِ يُساعدهُ عَلى التفكيرِ بهُدوء في قَضيةِ الصَّولجَان. لَمْ يَكُن الفُندقُ بَعيداً عَن حَديقة هايد بارك، لَكنَّ نواف أحسَّ بَعد بُرهة وَجيزة من خُروجه بأنَّ هُناكَ ثَمَّةَ مَن يَتبَعُه. كَانَ يَلتفتُ للوَراء في كُلِّ مَرَّة يُراودهُ هذا الإحسَاس لَكنهُ كَانَ يَجدُ أشخَاصاً مُختَلفين يَمشونَ وراءَه، فأخذَ يُتمتمُ مُستنكراً هَذا الإحسَاسَ من القَلَق والشَّك الذي رُبمَا أثَارَتهُ فيه إميلي بحَديثها مَعهُ بالأمْس. في حَديقة هايد بارك، أمضَى نواف جُلَّ يَومه، كَانَ يُفكرُ بكَيفيةِ استِصدَارِ طَلبٍ رَسمي يُمكنُهُ من تَفحُّصِ الصَّولجَان،



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طَلبٌ لا يُمكنُ لإدارَةِ المُتحفِ رَفضه. أخذتهُ الأفكارُ بَعيداً حتى أنَّهُ فكَّرَ بالتَّواصُلِ مع سِفارَةِ المَملكةِ العَربيةِ السعوديةِ لمُساعدَته في مَسعاه، إلا أنَّهُ سُرعانَ مَا تَراجَعَ عَن ذَلك، فتَضخيمُ الأمرِ عَلى هَذا النَّحوِ سيَزيدُهُ تَعقيداً ولَنْ يَحُله. قَاربت الشمسُ عَلى المَغيبِ دُونَ أنْ يَصِلَ نواف لحَلٍّ مُعضِلَةِ الحُصولِ عَلى طَلبٍ رَسمي نَافذ.

أغلَقَت المَقاهي في الحَديقَةِ أبوَابَها قُبيلَ الغُروب، ولَعلَّ نواف كَانَ آخرَ المُغادرين. في طَريقِ عَودتِه إلى الفُندُقِ كَانَ يَسيرُ دَاخلَ زُقاقٍ ضَيِّقٍ دَاخلَ الحَديقَةِ التي بَدأ الظَّلامُ يَكسوهَا بردائه الكَالِح، ومَرَّةً أخرَى أحَسَّ بأنَّ هُناكَ مَنْ يَتبعُه، لكنَّهُ لَمْ يَلتفت هَذه المَرَّة، حَيثُ قَرَّرَ ألا يَستَسلمَ لشُكُوكه، فتَابَعَ السَّيرَ بسُرعَة. إلا أنَّهُ وبعَدَ لحَظَات سَمعَ مَنْ يُناديه باللغَةِ الإنجليزية: «قفْ قَليلاً يَا صَاح!». التفَتَ نواف للخَلف بسُرعة ليَجدَ ثَلاثَةَ شُبانٍ إنجليز مَفتُولي العَضلات يَقفونَ عَلى مَقرُبَةٍ منه، لَكنّ مَلامحَهُم لَمْ تَكُن وَاضحةً تَماماً بسَبَبِ الظَّلام. رَدَّ نواف: «نَعَم؟»، ليَسألَهُ أحدُهُم وهُوَ يَقتربُ منهُ أكثر: «مَا السَّاعَةُ الآن؟»، فأجَابَ نواف: «لمَ تَسألُني وأنتَ تَحملُ هَات..»، لَمْ يُكمل نواف جَوابَهُ حَتى فُوجئَ بالشَّابِ الذي اقتَربَ منهُ يُحاولُ لَكمَهُ بقَبضَةِ يَده فتَفَاداهُ بسُرعَة ثُمَّ عَاجَلَهُ بلَكمَةٍ أسقطَتهُ أرضاً. مَا أنْ رَأى الشَّابانِ الآخرَانِ مَا حَلَّ بصَاحبهما حَتى هَرعَا مُسرعَين باتجَاه نواف لضَربه، فتَمكَّنَ نواف منْ تَفادي الأول قَبلَ أنْ يَتعثَّرَ بأوراقِ الشُجيرَات ويَسقُط. لكنَّهُ نَهضَ مَرةً أخرَى بعدَ أنْ تَناوَلَ غُصنَ شَجرَةٍ قَاس وَجدَهُ عَلى الأرض فَضَربَ به وجهَ أحدهمَا ليَقعَ والدِماءُ تَسيلُ منه، فبادَرَ الآخر بركَلَةٍ قَويَّةٍ عَلى رُكبَتِه قَبلَ أنْ يَلكمَهُ بشدَّة فأطَاحَ به.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صَاحَ نواف بالشُّبانِ الذينَ حَاولوا الاعتداءَ عَليه وهُم يَهمُّونَ بالنُّهوض: «مَنْ أنتُم؟ مَاذَا تُريدُون؟ مَنْ بَعثَكم؟» فاكتَفوا بالنَّظرِ إليه بتَحفُّز دُونَ أنْ يُجيبَهُ أحَد. وفي غَمرَة غَضبَ نواف، تَوجَّهَ لأحد الشُّبان ليَسألَهُ مَرَّةً أخرَى، إلا أنَّ شَاباً رَابعاً كَانَ يَختبئُ بَينَ الأشجَارِ فَاجَأهُ بأنْ تَسلَّلَ منْ خَلفِه وضَربَهُ عَلى رَأسه بعَصَاً غَليظَة، فسَقطَ مَغشيًّاً عَليه. أفَاقَ بَعدَ دَقائق ليَجدَ نَفسهُ مُكبَّلَ اليَدين فيمَا كَانَ الشُبان يَقومُونَ بتَفتيشه، ليَصرَخَ: «عَنْ مَاذَا تَبحثون؟ عَنْ الرُقعَة أليسَ كَذلك؟»، ليلكمَهُ أحدُهم بعُنف ويَطلُبَ منهُ الصَّمت. لَمْ يَجدوا مَعَ نواف سِوَى مَبلَغ قَليل منْ المَال فأخذُوه، ثُمَّ تَناوبُوا عَلَى رَكله وهُوَ مُكبَّلٌ عَلى أرض الحَديقَة، قَبلَ أنْ يُغادرُوا المَكان صرَخَ أحدُهُم: «عُدْ إلى بَلدك أيُّهَا العَربيُ القَذر! اعتَبر هَذه نَصيحَة!».

بصُعوبَة بَالغة وبتَثاقُل شَديد نَهضَ نواف، ثُمَّ حَاولَ فَكَّ وثاقَهُ بأسنَانه وهُوَ يَسيرُ ببُطء مُتَّجهاً إلى الفُندق بجَسد تَملؤهُ الكَدمَات والرُّضُوض ومَلابس مُتَسخَة بالطِّين والدَّم. كَانت لَيلةً سَوداء يَضلُّ بها الغَطاط، ولا يُبصرُ فيها الوطوَاط. دَلفَ إلَى بَهو الفُندق وَسطَ ذُهولِ الزُّوار والعَاملين وهُم يُشاهدونَ حَالتَهُ الرَثَّة، ومَا أنْ دَخلَ حُجرَته حَتى أوصَدَ بابَها، ثُمَّ أخذَ يَتفحَّصُ المَكانَ بوَجل قَبلَ أنْ يَهرَعَ إلى الخَزنَة فيفتَحُها ليَجدَ الرُّقعَة دَاخلَها ويَطمَئن. أخذَ يَجرُّ جَسدَهُ المُنهَك بَعدَ ذَلك إلى حَوض الاستحمَام ليَفتحَ صُنبورَ المَاء ويَرتَمي دَاخلَه. دَاخلَ الحَوض، كَانَ نواف يَنظُرُ إلى السَقف بعَينين جَاحظَتين وهُوَ يستَذكرُ مَا حَدثَ في الحَديقة فيمَا كَانَ فُؤادُهُ يَغلي عَلى مرجَل من نُحَاس، فتَلاطَمَت فيه مُهَجُ الجُمودِ بمُهَجِ الإحسَاس. يَبدو أنَّ الأمرَ فعلاً أخطَرُ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِمَّا كَانَ يظنُّه. لَكنَّ ذَلكَ لَمْ يُثنِه عَن عَزمِه كَشفَ سِرِّ الرُّقعة، بَلْ زَادهُ إصرَاراً عَليه!

هاتَفَ نواف إميلي بَعدَ أنْ استجمَعَ شَيئاً من قُواه، وطَلبَ منها أنْ يَلتقيَها في صَباحِ الغَد في كامبردج دُونَ أنْ يُخبرَها بِمَا حَدث في الحديقَة، فَردَّت بالإيجَاب وإنْ كانَت قَدْ أبدَت استغرَابَها من صَوته المُتحجرِش، لكنَّهُ طَمأنَها بأنَّهُ فَقط مُتوعِّكٌ قَليلاً من نَوبَة بَرد ألَّمت به.

حَاولَ نواف النَّوم تلكَ الليلةَ وهُوَ يَحتضِنُ الرُّقعةَ والعَصا من خَشيته عليهمَا أنْ يُسرقا أثنَاءَ نَومه، بيدَ أنَّهُ في نهاية الأمر لَمْ يَتمكَّن من النَّوم؛ تَملَّكَهُ القَلَق وبَدأ يَفقدُ الثِّقةَ بكُلِّ شَيءٍ حَولَه. ومَا أن غَطَّت خُيوطُ شُعاعِ الشَّمسِ الوَثيرة زَوايَا حُجرَته، حَتى نَهضَ وأخذَ يَستعِدُّ للمُغادرَة إلى كامبردج.

## ١٤ يونيو – ٢٠١٥م. كامبردج، المملكة المتحدة.

خَرَج نواف مُبكراً من الفُندق يَحملُ حَقيبتَهُ الصَّغيرة مُتجهاً إلى مَحطَّة القطَار ليَنطَلقَ منها إلى مَدينَة كامبردج. كَانَ يَرتَدي نَظَّارته الشَّمسيَّة طِوالَ الوَقت ليُخفي أثَرَ كَدمَات صَبغَت وجهه إثرَ عِراكه مَع الشُّبان الإنجليز بالأمْس، كَمَا كَانَ يَشعُرُ بآلام الرُّضُوض في جَسده في كُلِّ خُطوَة يَخطُوها.

في القطَار، هاتَفَ نواف صديقَهُ خالد، ثُمَّ أخذَ يَنظُرُ عَبرَ النَّافذة مُتأمِّلاً المَنَاظر الطَّبيعية الجَميلة من غَابَات وسُهُول وبَدأ يَسألُ نَفسَه: «لمَ أجِدنُي أَثِقُ كُلَّ هَذهِ الثِّقة بالبروفيسور جون وابنَته؟ مَا دَافعهُم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لِيُساعدوني فيمَا أسعَى إليه؟ أيُعقلُ أنْ يَكونوا هُمْ مَنْ وَشى بي؟»، ثُمَّ أغمَضَ عَينيه وتَنهَّدَ بحُرقةٍ وهُوَ يَتساءَل السؤال الأخير: «لَو كُنتُ أنَا هنري الثاني في حَكايَتي هَذِه، فهَل تَكونُ إميلي هِيَ إميلي؟ أمْ أنَّ إميلي هِيَ في حَقيقَةِ الأمْر توماس بيكيت؟»!

في كامبردج، كَانَت إميلي تَنتظِرُ نواف في مَحطَّة القِطَار، وحِينَ لَقيَها، طَلبَ منهَا أنْ يَتوجهَا لأي مَطعَم قَريب يُقدِّمُ وَجبَةَ الإفطَار فَقد كَانَ يَتضوَرُ جُوعَاً ولَمْ يَأكل مُنذُ أمَد. وفي مَطعَم صَغيرٍ وَسطَ مَدينةِ كامبردج بَدأ نواف يَحكِي لإميلي مَا حَدَث:

- يَبدو أنَّك والبروفيسور كُنتُمَا عَلى حَق حِينمَا حَذرتُمَاني مِن أنَّ المَوضوعَ لَنْ يَكونَ سَهلاً!

- لِمَ تَقولُ ذَلِك؟ هَلْ استجَدَّ جَديد؟

- نَعم..

خَلعَ نواف نَظَّارَتهُ لتَرىَ إميلي الكَدمَاتِ في وَجهه، فصَاحت بهَلَع:

- إلهَي! مَاذَا حَدَث؟

- هاجَمني أربَعةُ شُبان يَومَ الأمس في حَديقةِ هايد بارك.

- لِماذَا؟

- هَذا مَا أودُّ مَعرفَته! أنَا لا أظنُّ أنَّهُم هَاجمُوني بهَدَفِ السَّرِقَةِ مُطلَقاً. أعرِفُ اللصُوص وأسلُوبَهم، ليَسوا لصُوصَاً!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- إذاً لِمَ هَاجمُوك؟

- رُبمَا، للتَّهديد! رُبمَا، ليَسرقُوا الرُّقعةَ مِني!

- أشعرُ بالأسَى لِمَا حَدث، هَلْ تَتألَّم الآن؟ هَلْ يُمكنُنِي مُساعدتُك؟

- إميلي..

- نَعَم!

- هَل يُمكنُنِي الوُثوقَ بِك؟

- بالطَّبع!

أخرَجَ نواف الرُّقعَةَ والعَصَا مِن حَقيبَتِه، ووَضعَهُما عَلى الطَّاوِلَة وَسطَ دَهشَةِ إميلي، ثُمَّ أمسَكَ بيَديهَا الغَضَّتَين والدُّمُوعُ تَترَقرَقُ في عَينيه وقَال: «بِتُّ لا أثِقُ بالبروفيسور جون! قَد أكونُ مُخطِئاً، لكِني لَمْ أعُد أثِقُ بِه. أمَّا أنتِ، فلسَبب لا أعرِفُه ولا أفهَمُه، تَزدَادُ ثِقتِي بِك كُلمَا رَأيتُك. خُذي، هَذهِ هيَ الرُّقعَة والعَصَا، لَنْ أثِقَ بشَخص آخَرَ أكثَرَ مِنك لائتمِنَهُ عَليهِمَا. لَكن، إنْ سَمحتِ لِي، فلَديَّ طَلبَان..».

كَانَت إميلي تُحدِّقُ بكُوبِ القَهوَةِ أمَامَها والصَّدمَةُ جَليَّةٌ عَلى مُحيَّاهَا، في حِين انسَكبَت دَمعَةٌ عَلى وِجنَتِها. رَفعَ نواف وَجهَ إميلي بيَده، ثُمَّ مَسحَ دَمعتَها بإبهَامِه وهُوَ يَبتَسِم ثُمَّ قَال: «هَلْ تُريدِينَ سَماعَ الطَّلبَين؟»، فهَزَّت رَأسَها مُومِئَةً بالإيجَاب. فقَال:

- أولاً، يَجِبُ ألا يَعرِفَ البروفيسور أبداً عَن مَكانِ الرُّقعةِ والعَصَا



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا عَن أيِّ أمرٍ يَستَجدُّ بهَذا الشَّأن كإجرَاءٍ احترازِي. ثَانياً، عَليكِ أنْ تُخبرينِي أينَ ستُخبئينَ الرُّقعةَ والعَصَا، وأفَضِّلُ ألا تُخبئِينَهُما فِي المَنزِل. هَلْ اتفَقنَا؟

- نَعَم. ولكِن لَدَيَّ سُؤال.

- تَفضَّلي!

- لَو كَانَ وَالدي هُوَ مَنْ وَشَى بِكَ فِعلاً، لِمَ أخبَرَكَ بَسرِّ المَلِك هنري الثاني وأهميَّةِ الرُّقعة ابتِدَاءً؟

- أنَا أعرِفُ البروفيسور جَيداً، لَيسَ الغَدرُ مِن شِيمِه. وأنَا مُتأكِّد مِن أنَّهُ كَانَ صَادِقاً مَعي حِينَ رَوَى لِي حكايَةَ هنري الثاني وزَوَّدني بمَصادِرِ مَعلومَاته. لَكن يَبدو لِي أنَّهُ نَدِمَ وخَشيَ عَلى نَفسه بَعدَ ذَلك مِن أنْ يَتورَّطَ بكَشفِ سِرٍّ خَطيرٍ كهَذا، فَآثَرَ التَّملُّصَ من ذَلك بالوِشايةِ بِي. تَظلُّ هَذه مُجرَّدُ تَوقعاتٍ غَيرَ مُؤكَّدة، لكنِّي فَقط أحَاوِلُ أنْ أحتَاط. أرجُو أنَّكِ تتفَهمينَ ذَلك.

- نَعَم. هَذا مِن حَقِّك. سأخبِّئُ الرُّقعةَ والعَصَا فِي كَنيسَة مَهجورَة عَلى مشَارِفِ كامبردج، ثِقْ بِي، لَنْ يَخطُرَ بِبَالِ أحدٍ أنْ يُفتِّشَ ذَاكَ المَكان.

- أثِقُ بِك.

لَمْ تَتمالَك إميلي نَفسهَا بَعدَ أنْ عَبَّرَ لَها نواف عَن ثِقتِهِ بِهَا



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأتمنها على الرُّقعَةِ والعَصَا، فأخذَت تَبكِي قَبلَ أنْ تَسرُدَ لَهُ حكايةَ وَالِدها مَعَ الاستخباراتِ البريطانية. أخبَرتهُ بكُلِّ شَيء، بالرَّسَائل التي فَكَّ جون شفرَتَها وأنَّها كَانت لمُوفدِين مِنَ الحُكومَةِ البريطانية إلى الجَزيرةِ العَربيَّة، وبأنَّ تلكَ الرَّسائل كَانت تُشيرُ إلى وُجودِ أوَامرَ بالبَحثِ عَن أيِّ شَيءٍ يَتعلَّقُ بالمَلِكِ هنري الثاني هُنَاك. أخبَرتهُ كَيفَ أنَّ الاستخبارات قَد كَسرَت قَلبَ وَالِدها، ووَالِدتِها، حينَ أجبَرتهُ عَلى سَحبِ بَحثِه مِنْ أرقَى المَجلاتِ العِلميَة ومَنعتهُ مِنْ مُواصَلةِ البَحثِ في ذَلك الأمر. وأخيرًا، بَيَّنَت لَهُ أنَّ شَغفَها بالأمر وحِرصَها الكَبير عَلى مُسَاعدَته هُوَ في حَقيقةِ الأمر مُحَاولَةٌ لِرَدِّ اعتبارِ وَالِدها وانهاءِ مَا قَد كَانَ بَدأ بِهِ في سَبعينَاتِ القَرنِ المَاضِي.

ذُهِلَ نواف ممَّا سَمِع، وأخرَجَ مِنْ حَقيبَتِه مِنديلاً نَاولَهُ إميلي لتُكفِّفَ بِهِ دُموعَهَا، ثُمَّ أمسَكَ بيَدِهَا وهُوَ يَقول: «لا بَأس. سَأكمِلُ مَا بَدأهُ جون، أعدُكِ!». نَظرَت إميلي إلى نواف بقَلق وهِيَ تَسألُه:

- ماهِيَ خُطوَتُكَ القَادِمَة؟

- سأسرِقُ الصَّولجَان!

- ماذَا؟!

- سأسرِقُه، يَبدو أنَّ لا خَيارَ آخَرَ لَدي!

- كَيفَ ستَفعَلُ ذَلك؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أعمَلُ عَلى خُطَّة. وسيَأتي صَديقي خالد غَداً قَادِماً مِن السعودية لمُساعَدتي عَلى تَنفيذها!

- هَلْ يمكِنُني المُساعدَة؟

- في الحَقيقَة، نَعم. لكنّي لا أوَدُّ تَوريطَك أكثَر مِنْ ذَلك في هَذا الأمْر. مَا سنَفعَلُهُ هُوَ جَريمَةٌ كُبرَى في نَظرِ القَانُون وعَواقِبهُ قَاسيَةٌ جِداً!

- أرجُوك اسمَح لي أنْ أسَاعِدَك!

- لَنْ أسمَحَ لَكِ بتَعريضِ نَفسكِ للأذَى!

- وأنَا لَنْ أسمَحَ لَكَ بِأنْ تَتأذَى بمُفرَدِك!

تَسمَّرَ نواف بعدَ أنْ سَمِعَ إجَابَةَ إميلي! هَلْ مِنَ المَعقولِ أنَّها تُكِنُّ لَهُ مَشاعِرَ إعجَابٍ أيضَاً!

أخذَ يُحدِّقُ في عَينيهَا وهُوَ يَبتسِم، ثُم قَال: «حَسناً! ستَلعبينَ دَوراً مُهمَّاً في خطتي! سنَجتَمِعُ غَداً في لندن لأطلِعَكُم عَلى الخطَّة».

تَوجَّهَ نواف وإميلي بَعدَ ذَلك إلى الكَنيسَة المَهجورَة التي ذَكرتها إميلي، وخَبَّئا الرُّقعةَ والعَصَا دَاخلَها في حُجرَةٍ مُظلِمةٍ في قَبوِ الكَنيسَة.

ودَّعَ نواف إميلي بَاكراً وعَادَ بَعدَ الظَهيرة إلى لندن، حَيثُ يَحتاجُ للرَّاحَة والتركيز للانتهاءِ من حَبكِ خطته لسَرِقَة الصَّولجَان!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في طَريقِ عَودَته، وحِينَ كانَ يَسترجِعُ مَا حَصَلَ في كامبردج ومَا أخبرَتهُ بِهِ إميلي مِنْ حِكايَةِ جون مَع الاستخباراتِ البريطانية. كَانَ يَبتسمُ مُستَغرِباً عَدَمَ نَدمِه عَلى ثِقتِه المُفرِطَة في إميلي! كُلُّ مَا كَانَ يَشغَلُه هُوَ أنَّ إميلي أفصحَت عَن بَعضِ مَشاعِرهَا نَحوَه! بالنِسبَةِ لَه، في تِلكَ اللحظَة، كَانَ هَذا الأمرُ أهَمُّ مِنْ كُلِّ شَيء!

انتهى الفصل الثالث عشر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الرابع عشر

## ١٥ يونيو – ٢٠١٥م. لندن، المملكة المتحدة.

لَمْ يَستَقبل نواف خالد الذي وَصلَ لندن في الصَّباح البَاكر، احترَازا. كَانَ يُحاولُ عَدمَ الالتقاء به في مَكانٍ عَام خَشيَة أنْ يَكونَ مُراقَباً. أمَّا خالد الذي قَامَ بحَجز غُرفَةً في فُندقٍ بَعيد عَن فُندقِ نواف بطَلب منه، كَانَ يَعرفُ جَيداً أنَّهُ قَادمٌ للمُساعَدة في مَهمَّة خَطيرَة، إلا أنَّ حُبَّهُ لصَديقه وحرصه عَلى ألا يَخذلَه حَملاهُ عَلى القُدوم إلى لندن وفعل أي شَيء يَطلبُه منه. طَلَبَ نواف، عَبرَ إحدى تَطبيقاتِ الدَّردَشة المُشفَّرَة، من صَديقه أنْ يَستريحَ في الفُندق حَتى السَّاعة الخَامسة، مَوعدُ اجتمَاعهمَا مَعْ إيملي. تَمْ تَحديدُ مَكانِ الاجتمَاع في دَارِ ألفرد دنهل الرَاقية والمَعروفَة في قَلبِ مَنطقة سَكنيَّة قَريبَة من شَارع أكسفورد الشَهير وَسطَ لندن. اختَارَ نواف هَذَا المَكانَ لسَببين؛ أولاً، في المَكانِ طَاولاتُ جُلوس مَحدودةَ العَدد ومُتباعدة ممَا يُسهِّل اكتشَافَ أيِّ مُتتبع. وثانياً، في المَكانِ نادٍ اجتمَاعي سرِّي يَقصدهُ الكَثيرُ منْ المَشاهير وأصحَابِ النُّفوذ، فمِنَ الصَّعبِ أنْ يَتوقَّعَ أيُّ مُراقبٍ اجتمَاعَهم فيه.

في تَمَامِ السَّاعةِ الخَامسة، دَلفَ نواف إلى دَارِ ألفرد دنهل بَعدَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنْ تَأكدَ منْ أنَّ لا أحدَ يَتبَعُه، وطَلبَ الجُلوسَ عَلى أبعَدِ طَاولةٍ عَن المَدخَل. خِلالَ دَقائق قَدِمَت إميلي، ثُمَّ بَعدَها بقَليل جَاءَ خالد الذي استَقبَلَهُ نواف بحَرارَة واحتضَنهُ بفرَح وهُوَ يشكُرهُ على قُدومه. بعدَ دَقائق أمضيَت في الأحَاديث العَامَّة وتَعريف خالد وإميلي بنفسَيهِمَا. سَألَ نواف خالد: «هَلْ أحضَرتَ أدَاة اشعَالِ مُحرِّك السَّيارَة[٩] كَمَا طَلبتُ منك؟»، ليَردَّ خالد: «نَعم. لكنِّي مَا زِلتُ لا أعرِفُ مَاذَا تُريدُ بِها!»، «ستَعرِفُ الآن. هَلْ أنتُم جَاهزونَ لمَعرِفَةِ الخِطَّة؟»، قالَ نواف.

بَعدَ أنْ أومَئَ الاثنانِ برَأسيهِمَا إيجَاباً، بَدأ نواف سَردَ خطته:

كَمَا تَعلَمَان، فمنَ المُستَحيل أنْ يُسمَحَ لي بأنْ أزُورَ المُتحَف مَرَّةً أخرَى، فالجَميعُ يَتربَّصُ بي هُنَاك. لذَا أنَا أعتَمِدُ عَليكُمَا في إتمَام هَذا الأمر، وأنَا وَاثقٌ منْ أنكُما سَتنجَحانِ في ذَلك. غَداً صَباحاً في تَمَام السَّاعة التَّاسعَة تَدخُلانِ إلى المُتحَف، لَكن كُلٌّ يَدخُلُ بمُفرَده. سيَتمُّ تَفتيشُكُمَا، لذَا هُناكَ قَائمَةُ مَوادٍ لا تُكتَشَفُ في التَّفتيش يَجبُ أنْ يَحملُها كُلٌّ منكُما في حَقيبتَه.

إميلي: وَلاعَة، ومَطَّارَةُ مَاء بدَاخلها قَليلٌ منَ الكيروسين، ووِشَاح.

خالد: أحجَارُ النينْجا أو ninja rocks (هَذا هُوَ الاسمُ الشَائع لمَادة السيراميك البَيضَاء عَلى بَواجي السَّيارَة أو spark plugs بَعدَ تَكسيرهَا لعَدد منَ الأحجَار الصَّغيرَة)، ومَطَّارَةُ مَاء منَ الحَديد، وزُجَاجَةُ حِبر، ووِشَاح، ولُعبَةُ مُسدَّس مَاء، وغِرَاء لاصِق قَوي، وقُفَّازَات.

(٩) أومَا يُعرَفُ في اللَّهجَة الدَّارجَة بالبَواجي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد التفتيش مباشرة، يتجه خالد إلى غرفة المياه ويقوم بإحضار الحجارة السينجا بقاعدة المضارة يابسة الغراء، لتصبح لديه أداة قوية لتكسير الزجاج (الجيرنيا)، التي هي حجر صغير من أحجار السيراميك يلقى على الزجاج يفتته تماما). ثم يقوم بملء مسدس الماء بالحبر، ثم يفتش وجهه.

جزئيا بالوشاح ويتجه إلى قبو المتحف حيث يقبع الصولجان. يستغرق ذلك نحو ربع ساعة. لذا عند الساعة التاسعة والربع تتجه إليلي إلى غرفة المياه وتسكب الكيروسين على الوشاح الذي تحمله معها، ثم تشعله وتتركه. وفي حال كان هناك من ينتظر لدخول غرفة المياه تطلب منهم عدم استخدامه لأنه معطوب، ثم تخرج بسرعة إلى خارج المتحف حيث ساكين بانتظارها في الشارع المقابل. بعد دقيقة أو اثنتين ستنطلق إنذارات الحريق في المكان وسيهرع كل العاملين في المتحف إلى إخراج الزوار، من حسن الحظ أن الصولجان موجود في قاعة في القبو وفي منطقة لا يؤمها الزوار كثيرا.

بمجرد سماع صفارات الإنذار، يلبس خالد النظارات كي لا يترك بصماته على أي شيء، ثم يخرج مسدس الماء المملوء بالحبر، ويطلق الحبر باتجاه ثلاثة كاميرات مراقبة قريبة من الصولجان رصدتها في زيارتي الأخيرة للمتحف حتى لا يتم تسجيل ما سيحدث. بعد ذلك يخرج المطارة التي تم إلصاق أحجار السينجا عليها ويضرب بها الصندوق الزجاجي الذي يحوي الصولجان بقوة حتى يتهشم. عندها ستنطلق صفارات إنذار السرقة وسيتم تفتيش جميع من



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بداخل المُتحَف عندَ خُروجهم. لِذَا، سيَأخُذُ خالد الصَّولجَان ويُخبئهُ داخلَ معطفه ثُمَّ يَعودَ مُباشَرةً إلى دَورَةِ المياه، لَكن يَدخُل إلى المَكان المُخصَّص للنِسَاء والذي سيَكونُ فَارِغاً في الأغلَب، وهُناك يُزيلُ إحدَى أغطيةَ فَتحات السَّقف المُستَعار، ويُخبِّئُ الصَّولجَان والمَطَّارَة ومُسدَّس المَاء في الأعلَى ثُمَّ يُعيدُ الغِطَاء كَما كَان، ويَخرُجُ بهُدوء مِنَ المُتحَف.

سنَقومُ بَعدَ ذَلك باستعَادةِ الصَّولجَان من هُناك في يَوم آخَر. بمُجرَّد خُروج خالد مِنَ المُتحَف سيَستَقلُّ سَيارَةَ أجرَة ويَتجِهُ إلى المَطَار ويُغادرَ مِنْ هُناك إلى السعودية مُبَاشرَة. أمَّا أنَا فسَأذهبُ إلى شَمال إنجلترا، تَحديدَاً إلى قَريةٍ صَغيرةٍ غَيرَ مَعروفَة تُدعَى سكبتون، وسَأسكُنُ في نُزُلٍ صَغير هُنَاك. هَلْ مِن أسئلَة؟

أصيبَ خالد وإميلي بدَهشَةً كَبيرَة من إحكَام الخِطة ومَراحِل تَنفيذهَا، وعَبَّرَا عَن إعجَابِهِمَا الشَّديد بهَا. إلا أنَّ خالد استدَركَ بسُؤَالِ نواف: «هَلْ ستُفلِحُ أحجَار النينجا بتَهشيم زُجَاج المُتحَف السَّميك والمُقَاوِم للرَّصَاص؟»، ليُجيبَ نواف: «لا أعرف! بحَسبِ مَا قَرأت، فإنَّ ضَربَ مثلَ هَذا الزُّجَاج بأدَاة قَويَّة كالمطرَقَة في حَالَ كَانَ عَليهَا عَددٌ منْ أحجَارِ النينجَا سيُهشِّمُه، لكنِّي لَمْ أختَبِر ذَلكَ بنَفسي. لِذَا، فكُلَّ مَا نَملكُه هُوَ الأمَلُ بَأنَّ ذَلكَ سيَنجَح. بالمُناسَبة، اضرب زُجَاجَ الصُندُوق ثَلاثَ أو أربعَ مَرَّات فَقَط، فَإن لَمْ يَتهشَّم، اترُكه وغَادِر المَكان، لا تُغامِر!»، «حَسناً»، أجَابَ خالد.

نَظرَ نواف إلى إميلي وخالد بجِديَّة، ثُمَّ قَال: «تَذكرُوا أنَّ بإمكَانِكُم الانسِحاب مِن هَذا الأمر مَتى مَا شِئتُم، لَستُم مُضطَّرين



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لفعل أي شيء، وسأتفهَّمُ ذلك تماماً. أمَّا الآن، لنُغادر هَذا المَكان وليعمل كُلٌّ منكُم عَلى الاستعدَاد للغَد. أرجُو أنْ تقومُوا بطباعَة خَارطَة المُتحَف الداخليَّة والمَوجُودَة في المَوقع الإلكتروني الخَاص به واحفَظوهَا جَيداً. سَنتواصَلُ فَقط مِنْ خِلال تَطبيق الدَّردَشة المُشفَّر، وسَأكونُ غَداً صَباحاً عَلى الشَّارع البَعيد المُقابل للمُتحَف لأطمَئنَّ عَليكُمَا. إلى اللقَاء!». غَادَرَ الجَميع بسُرعَة ليَبدأوا فَوراً بجَمع المُستَلزمَات وعَمل حُجوزَات السَّفر والتَنقُّل.

يَبدُو أنَّ نواف قَرَّرَ المُغامَرة مَهمَا كَانت العَواقب، تَماماً كَما فَعَلَ هنري الثاني بغَزوه جَيشَ المَلك ستيفن المُحاصر لقَلعَة ويلنغفورد قَبلَ مَا يُقاربُ التسعمائة عَام، وفي مَكان غَيرَ بَعيد منَ المَكان الذي كَانَ نواف يَجتَمعُ به مَع إميلي وخالد. لَكن، هَلْ سَيخرُجُ نواف منْ هَذه المُغامَرة مُظفَّراً كهنري الثاني؟ كَانَ عَليه الانتظَار حَتى يوم الغَد لمَعرفَة الجَواب.

في سَاعَة مُتَأخِّرَةً منَ اللَّيل عَادَت إميلي إلى المَنزل، لتَجدَ وَالدَها البروفيسور جون وقَدْ جَلسَ عَلى عَتبَة المَنزل وهُوَ يَرقُبُهَا منْ بَعيد. حينَ اقتَربَت منهُ، سَألته: «مَاذَا تَفعلُ هُنَا يَا وَالدي؟»، ليَرُدَّ عَليها والدُّموعُ تَلمَعُ في عَينيه: «أنتَظرُك!». طَلبَ جون من إميلي أنْ تَجلسَ بجوَارِه، ثُمَّ قَال: «عَلى هَذه العَتبَة نَفسُها، جَلستُ ووَالدَتك لَيلةَ مَنعي منَ البَحث في فَكِّ الشفرَات. حَاولتُ أنْ أفهمَ وَالدتك لَيلتَها بأنِّي لستُ رَجُلاً يَقبَلُ الهَزيمَة، ولستُ جَبَاناً. قُبولي بشُروط الاستخبارات المُجحفَة كَانَ لخَشيَتي عَلى وَالدتك، بَلْ وعَليك أنت أيضاً حَتى قَبلَ أنْ تُولَدي. منَ الأنَانية يَا ابنَتي أنْ نُخَاطر بأنفُسنَا دُونَ الأخذ بالاعتبار مَا قَدْ تُسبِّبُهُ مُخاطرتُنَا تلك منْ أذَى لأولئكَ الذينَ يُحبونَنا ويَهمهُم أمرُنَا. أرجُو



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألا تُغامر يَا ابنتي في أمر قَدْ يَتسبَّبُ في خسارَتي لآخر سَبب تَبقَّى لَديَّ لأستَمرَّ في هَذه الحَياة: أنتِ!».

قَبَّلت إميلي كَفَّ وَالدهَا، ثُمَّ قَالت: «لا تَقلَق يَا أبتي. لَنْ تَخسرني أبدَاً. سَأظلُّ أُنغصُ عَليكَ حَياتك!». ضَحكَ الاثنَانُ قَبلَ أنْ تُساعدَ إميلي وَالدَها بالنُّهوض والدُّخول إلى المَنزل.

## ١٦ يونيو – ٢٠١٥م. لندن، المملكة المتحدة.

انطلَقَ الثَّلاثَة، إميلي ونواف وخالد، إلى مُتحَف فكتوريا أند ألبرت في الصَّبَاح كُلٌّ بمُفرَده. وفي الوَقت المُحدَّد، السَّاعَة التَّاسعَة، دَلفَت إميلي، يَليهَا خالد، إلى المُتحَف. فيمَا اكتَفَى نواف بمُراقَبتِهم مِنْ بَعيد في الشَّارع المُقابل للمُتحَف.

مَضَت لحَظَاتُ الانتظَار بصُعوبَةً بالغَة وببُطء شَديد. كَانَ نواف يَنتظرُ بلا حَول ولا قُوَّة، ولا يَعرفُ فيمَا إنْ كَانَت الأُمُور تَسيرُ عَلى مَا يُرَام في الدَّاخل أمْ لا. حَتى أنَّه شَعرَ بتَأنيب ضَمير حَاد بَعدَ أنْ سَاوَرهُ القَلَق عَلى إميلي وخالد. لَنْ يُسامحَ نَفسَهُ أبداً لَو قُبِضَ عَليهمَا وتَعرَّضَا للأذَى بسَببه.

عندَ السَّاعَة التَّاسعَة والرُّبع، بَدأت دَقَّاتُ قَلب نواف تَتَسَارَع وشَعرَ بتَوتُّر شَديد وهُوَ يَرقُبُ مَدخلَ المُتحَف مُنتَظراً إميلي تَخرُجُ منه حَسبَ الخطَّة. بَعدَ ذَلك بدَقيقتَين انطَلقَت صَفَّارَات إنذَار الحَريق في المُتحَف كَمَا كَانَ مُتوقَّعاً، لَكنَّ إميلي لَمْ تَخرُج مِنَ المُتحَف!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بَدَأ مُوظَّفُو المُتحَف بإخرَاجِ الزُّوَّار مِنَ المُتحَف وأخَذَت الحُشود تَخرُجُ مِنْ بَوابَتِه الرَئيسة.

كَانَ نواف يَرقُبُ المَشهَد بقَلَق كَبير حَيثُ لَمْ تَظهَر إميلي حَتى الآن! لذَا شَعرَ بخَوف شَديد عَليهَا، حَتى أنَّ يَداه كَانتَا تَرتَجِفَان من فَرط التَّوتُر، فقَرَّرَ أنْ يَذهبَ بنَفسِه إلى المُتحَف ليَستَطلِعَ الأمر ويَبحثَ عَنها، وليكُن مَا يَكُن!

لكن قَبلَ أنْ يَتحرَّك، رَبتَ أحدُهُم عَلى كَتفه مِنْ خَلفه، فالتَفتَ بسُرعَة ليَجِدَ إميلي تَنظُرُ إليه مُبتَسِمة!

دُونَما تَفكير، احتَضنَ نواف إميلي وهُوَ يَقول: «قَلقتُ عَليكِ! أينَ كُنت؟»، لتَرُدَّ إميلي: «وجَدتُ مَخرَجاً آخَر بالقُربِ مِنْ دَورَة المِيَاه يَنفُذُ عَلى شَارِع اكزبشن رود، فَقرَّرتُ أنْ أخرُجَ منه لأكونَ خَارجَ المُتحَف في أسرَع وَقت مُمكن!». تَركَ نواف حُضنَ إميلي وهُوَ يَعتذِرُ عَنْ رَدَّة فِعله العَفويَة فيمَا اكتَفت هِيَ بابتِسامَتِها الجَميلَة.

أخذَ نواف وبجَانبِه إميلي وقَد أمسَكَت بيَده لتَهدئته يُحدِّقُ ببَوابة المُتحَف مُنتَظراً خُروجَ خالد الذي تَأخَّرَ كَثيراً، حَتى أنَّ السَّاعَة شَارَفت عَلى التَّاسعة والنِّصف. هَمسَت إميلي: «لا تَقلَق، أنَا واثقةٌ مِنْ أنَّهُ بخَير!». وقَبلَ أنْ يَرُد عليهَا نواف، إذَا بخالد يَخرُجُ مُسرِعاً من بَوابَة المُتحَف ويَستَقلُّ سَيارةَ أجرَة والقَلقُ بَاد عَليه. انفَرجَت أسَاريرُ نواف، واطمَأنَّ عَلى صَديقه. لَكن هَلْ تَمكَّنَ خالد مِنْ سَرقَة الصَّولجَان؟ أمْ أنَّ زُجاجَ الصُّندوق لَمْ يُكسَر. طَلبَ نواف من إميلي أنْ تُغادرَ مَعهُ المَكانَ بسُرعَة، وهُوَ مَا حَصَل.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بَعدَ دَقائقٍ مِنَ التَّرقُّب، وَردَت رِسالةٌ مِن خالد لنواف عَلى تَطبِيقِ الدَّردَشَة فِي هَاتِفه:

- لَقد خَرجت مِنَ المُتحَف!
- الحَمدُ للّه. لَقد رَأينَاك وأنتَ تَخرُج. كُنَّا قَلقِين عَليك جِداً. هَلْ أنتَ عَلى مَا يُرَام؟
- الحَمدُ للّه.
- هَلْ تَمكنتَ مِن كَسرِ الصُّندوقِ الزُّجَاجِي؟
- للأسَف، كَانَ زُجَاجُ الصُّندوق سَميكاً جِداً..
- لا بَأس يَا صَاح. لا بَأس. شُكراً لقدُومِك ومُساعَدتِك، لَنْ أنسَى مَوقفَكَ هَذا مَا حَييت. المُهم أنْ تُغادِر بسُرعَة إلى السعودية..
- لكنِّي، رُغمَ سَمَاكته، هَشمتُهُ تَهشيمَاً! والصَّولجَان يَرقُدُ بأمَان الآن عَلَى السَّقف المُستَعار فِي دَورَة مياه النِّسَاء فِي الدَورِ الثَاني بجِوارِ قَاعةِ الفَنَّان رافييل. ودَدتُ فَقَط أنْ أمَازِحَك!

مَا أنْ قَرَأ نواف رِسَالةَ خالد الأخيرَة حَتى رَفعَ رَأسهُ وأخَذَ نَفسَاً عَميقَاً وهُوَ مُغمِضٌ عَينيه، ثُمَّ صَاحَ بصَوتٍ عَال: «الحَمدُ للّه»!

أبلَغَ نواف إميلي بِمَا أخبرَ بِه خالد لتَغمُرهَا فَرحَةٌ عَامِرَة. أكدَّ خالد لنواف أنَّهُ حَاولَ قَدرَ المُستَطاع ألا تَرصُدهُ كاميرَات المُراقَبة خَارِجَ القَبو، حَيثُ كَانَ يُخبّئ وَجههُ بالوِشَاح ويُحاوِلُ الدُّخول بِينَ الحُشود



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حَتى وَصلَ إلى دَورَةِ المياه. طَلبَ نواف مِنْ خالد أنْ يُطمئنَهُ فَورَ صُعودِه للطَّائرَة وأبدى لَهُ عَظيم الثّناء وجَزيل الشُّكر عَلى شَهامَته وكُلُّ مَا فَعَل.

في وَسطِ شَارِعٍ خَالٍ مِنْ المَارَّة وَقفَ نواف أمَامَ إميلي وأخَذَ يُحدِّقُ بعَينيها الزَرقاوَان ثُمَّ أمَسكَ بيدَيها وقَال: «يَجبُ أنْ نَفترِق الآن. سَأذهَبُ حَالاً إلى سكبتون، وأنتِ اذهَبي إلى كامبردج وطَمئنيني فَورَ وصُولِك بالسَّلامَة هُنَاك. أنَا وَاثِقٌ مِنْ أنَّ المُتحَف لَنْ يُغلِقَ أبوَابَه بَعدَ هَذه الحَادثة لأكثرَ مِنْ ثَلاثة أيَام، حَيثُ يُوجَدُ مَعرضٌ عَالمي مِنَ المُقرَّر أنْ يُقَامَ فيه قَريبًا. مَا أنْ يُعاوِدَ الافتِتَاح، قُومِي بزِيَارَته للمَرَّة الأخيرَة بعَربَة أطفَال خَاليَة تَسعُ الصَّولجَان ليُخبَّأ فيه، واتجِهي فَورَاً لدَورَة المِيَاه الخَاصَّة بالنِساء في الدَورِ الثاني بجِوارِ قَاعَة الفَنان رافييل، انزَعِي غِطَاء السَّقف المُستَعار وستَجدينَ الصَّولجَان بإذنِ الله.

سَأكونُ بانتظارك في سكبتون، وحِينَ تَأتين وتُحضِرينَ مَعك الرُّقعَةَ والصَّولجَان سنَتحقَّقُ سَوياً مِنْ تَطابقهُما. كُنتُ أعرِفُ أنَّك أهلٌ للثِقَة. سَأفتَقِدُك!». رَدَّت إميلي بصَوتٍ خَافِت: «وأنَا أيضَاً!».

افتَرَقَا، كُلٌّ في اتجاه، عَلى أمَلِ أنْ يُعاوِدَا اللِّقاءَ خِلالَ أيَامٍ قَليلَة. كَانَ فُراقاً صَعباً عَلى كِليهِمَا.

نَجحَ الثَّلاثَة في مَسعاهِم الصَّعب، نواف، إميلي وخالد.

ولعَلي استَذكِرُ هُنَا، ثَلاثَةً نَجحُوا أيَضاً في مَسعىً صَعَب قَبلَ مَا يُقارِبُ الألفَ عَام، هنري الثاني، إميلي وأليكس!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عُصبَةٌ تُحاوِلُ كَشفَ سِرِ عُصبَة!

الأحدَاثُ تَتكرَّر. الأزمَانُ مُتغَايرَة والغَايَاتُ مُتبَاينَة والشُخوصُ مُختَلِفَة، لَكنَّ الأحدَاث تَتكرَّر.

انتهى الفصل الرابع عشر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل الخامس عشر

## ٢٢ يونيو – ٢٠١٥م. سكبتون، المملكة المتحدة.

مَضَت خَمسَةُ أيَام كَاملة مُنذُ أنْ تَمَّ تَنفيذُ خِطَّةِ نواف لسَرِقَة الصَّولجَان. خالد عَادَ إلى دومة الجندل بسَلام، وإميلي تَنتظرُ في كامبردج أنْ يُعاودَ المُتحَف فَتحَ أبوَابِهِ للزُّوَار. أمَّا نواف فَقد ظَلَّ مُتَخفِّياً في سكبتون حَيثُ نَزلَ في نُزُل صَغير باسم مُستعَار، وهُنَاك أمضَى الأيَّام الخَمسَة مُتَرقِّبَاً ومُرتَقباً ومُرَاقباً. كانَّ يُحَاوِلُ التَّخطيط لعَواقب سَرِقَة الصَّولجَان، مَا عَليه أنْ يَفعَل إنْ لَمْ تَجدهُ إميلي في المُتحَف؟ وإنْ وُجد، مَا عَليه أنْ يَفعَل لَو لَم يَكُن مُطابقاً للرُّقعَة التي وَجدَها في صُندوقِ جَدِّه؟ ومَاذَا إنْ كَانَ مُطَابقا؟ دَارَت كُلُّ تلكَ الأسئلَة وغَيرِها في خَلَدِ نواف فاجتَهدَ في وَضعِ إجَابَاتٍ لَهَا.

كَانَ نواف قَد تَلقَّى رِسَالةً من إميلي يَومَ الأمس تُفيدُ بأنَّ المُتحَف قَد أعلَنَ بأنَّهُ سيُعَاودُ فَتحَ أبوَابِهِ اليَوم الإثنين. وعَلَى خِلاف رَغبَةِ نواف بأنْ يَتمَّ الانتظار لبِضعَة أيَّام، قَرَّرَت إميلي الذَّهاب للمُتحَف اليَوم الإثنين حَيثُ أبدَت حَماسَها الشَّديد لاستخرَاج الصَّولجَان وخَشيَتَها مِنْ أنْ يَتمَّ اكتشافُ مَكانَه في حَالِ تَأخَّرَت في ذَلك. لِذَا، كَانَ نواف بانتِظَارِ البُشْرَى من إميلي مُنذَ الصَباحِ البَاكِر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بُعيدَ الظَّهيرَة وصَلتَ الرِسَالَةُ المُنتَظرَة مِنْ إميلي: «لَقد وَجدتُ الصَّولجَان وأخرَجتُه! أنَا في طَريقِي إليك!».

شَعرَ نواف بقَلبِه وكَأنمَا قَدْ توقفَ عَن النَبض للحَظَات! ولوهلة أحَسَّ بأنَّ الزَّمَنَ قَدْ تَجمَّدَ وأنَّ الأرضَ قَدْ توقفَت عَن الدَورَان! يَبدُو أنَّ خطَّتهُ قَدْ نَجحَت فعلاً! انتَابَهُ شُعورٌ مُتضارِب مَا بينَ السَّعادَة والوَجلِ مِمَا هُوَ قَادِم.

في سَاعَات العَصرِ المُتأخِّرَة كَانَ نواف يَقِفُ عَلَى المنصَّة الوَحيدة في مَحطَّة القطَار في سكبتون مُنتَظرَاً قُدومَ إميلي. وفي المَوعِد المُعلَن وَصلَ القِطَارُ القَادمُ مِنْ لندن لتَترجَّلَ منهُ إميلي حَاملَةً حَقيبَةً كَبيرَة. هَرعَ نواف إليهَا ليُحيِّيَها ويَحملَ الحَقيبَةَ عَنهَا، كَانت الحَمَاسَةُ بَادِيةً عَلى مُحيَّاهَا لدَرجَة أنَّ نواف لَمْ يَستَطِع مَنعَ نَفسِه مِنْ سُؤالها: «هَلْ طَابَقتي الرُّقعَة مَعَ الصَّولجَان؟»، لتَرُدّ عَليه بسُرعَة: «لا! مِنْ المُستَحيل أنْ أفعَل ذَلك قَبلَك!»، ابتَسمَ نواف مُقدِّرَاً لَهَا ذَلك ثُمَّ طَلبَ منهَا أنْ تُرافقَهُ إلى النُزُلِ الذي يَنزِلُ فيه حَيثُ كَانَ قَدْ حَجزَ لَهَا حُجرَةً لتمكُثَ فيها.

حِينَ وَصلا إلى النُّزُل، طَلبَ نواف مِنْ إميلي أنْ تَضعَ الحَقيبةَ في حُجرَتها ثُمَّ تُحضرُ مَعهَا الصَّولجَان والرُّقعَة بَعدَ أنْ تَتأكَّدَ مِنْ أنَّهُما مَلفُوفَان بغِطَاء يُخفيهما. وهَذا مَا حَدَث. سَألت إميلي: «هَلْ ستُطَابِقُ الرُّقعَةَ والصَّولجَان هُنَا؟»، فأجَابَ نواف: «لا طَبعاً! بَلْ في دير بولتون!».

ديرُ بولتون هُوَ ديرٌ عَتيق في سكبتون تَمَّ تَأسيسُهُ في العَام ١١٥٤م،



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي في نَفسُ العَام الذِي دَخلَ فِيهِ المَلِك هنري الثاني لندن مَلِكاً مُتوَّجاً لإنجلترا!

يَقعُ الدير في مَنطِقةٍ تَحظَى بطَبيعَةٍ خَلاَّبَة وبجِوَارِ نَهرٍ مَائر، لَكن لَمْ يبقَ مِنْ هَذا الدير اليَوم سِوى أطْلاله وقَاعَة المُصلَّى الكَنَسِي.

عَلَى جَالِ النَّهر أمَام الدير جَلسَ نواف ومَعهُ إميلي. كَانت تلَكَ هِيَ لَحظَةُ الحَقيقَة، اللَّحظَةُ التِي غَامَر مِنْ أجلها نواف كُلَّ تِلَك المُغامَرات وخَاضَ كُلَّ تِلَكَ الصِعَاب وعَرَّضَ أصحَابَهُ للمُخَاطِر. الآن سيَتضِحُ الأمر، فِيمَا إنْ كَانَ نواف وعائلةُ النائل يَنحدِرُونَ مِنْ نَسلِ المَلِك هنري الثاني، أو إنْ كَانَت كُلُّ تِلَك الأفكَار هِيَ مُجرَّدُ أوهَام وأسَاطِير لَمْ يُحسِن قِراءتَها وأخذَتهُ لسَرابٍ بَعيد. أخذَ نواف الصَّولجَان وبَدأ يُحرِّرُهُ مِنْ قِطعَةِ القِمَاش الثَقيلَة التِي كَانَت إميلي قَدْ لَفتهُ بِهَا، ثُمَّ وَضعَهُ بجَانبِه قَبلَ أنْ يُمسِكَ بالرُّقعَةِ الجِلديَّة ويَأخُذَ نَفسَاً عَميقَاً. بَدَأ نواف لَفَّ الرُّقعَةَ عَلى الصَّولجَان بنَفسِ الطَريقَةِ التِي كَانَ قَد لَفَّ بِهَا الرُّقعَةَ عَلَى العَصَا الغَليظَة التِي وَجدَها في قَلعَةِ مَارِد في دومة الجندل. كَانت عَينُ نواف تَلمَعُ وتَجحَظُ أكثَر فأكثَر مَعَ كُلِّ حَرفٍ يَصطَفُّ بجِوارِ الآخَر عَلَى الصَّولجَان. وحِينَ اكتَملَ لَفُّ الرُّقعَة عَلَى الصَّولجَان، أخذَ نواف يَنظُرُ إلى الصَّولجَان بذُهول فِيمَا انهَمَرت دَمعةٌ بَارِقةٌ مِنْ عَينِه!

صَاحَت إميلي وهِيَ تُمسِكُ بقَميصِ نواف وتَهزُّه: «مَا الأمر؟ لمَ تَبكِي؟»، ليُجيبَ نواف بهُدوء: «هنري الثاني هُوَ جَدِّي يا إميلي. يَبدُو أنَّ جَدِّي ليث هُوَ مَلِكُ إنجلترا! مَلِكٌ غَيرُ مُتوَّج..»، لتَصيحَ إميلي مَرَّةً



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرَى: «إلهِي!»، قَبلَ أنْ تَحتَضِنَهُ بشِدَّةٍ وهِيَ مُنتَشِيَة بِمَا سَمِعَت أيمَا انتِشَاء!

أحمرَّت وجنَتَا نواف خَجَلاً مِنْ حُضنِ إميلي لَه، لكنَّهُ استَجمَع قُوَاه وقَالَ بخَجَل: «إميلي.. أنَا أحِبُّك!». رَفعَت إميلي رَأسَها الصَغير نَحوَهُ ثُمَّ قَالَت: «وأنَا أيضَاً أحِبُّك!»، قبلَ أنْ تَلثِمَهُ بعَينيين مُغمَضَتين!

كَانَت تلَك اللَّحظَة هِيَ اللَّحظَة التِي ارتجَاهَا نواف طَويلاً وتَمنَّاهَا أكثرَ مِنْ أيِّ شَيءٍ آخَر، أكثرَ حَتَّى مِنْ لَحظَةِ تَأكُّدِهِ مِنْ تَطابُقِ الرُّقعَةِ والصَّولجَان.

احتضَنَها نواف بهُدوء في مَشهَد حَالم أمَامَ الدير الخَالي ونَهرِه الذي كَادَت طُيورُه أنْ تُغنِّي وأشجَارُهُ أنْ تَرقُص في هَالَةِ السِحرِ والجَمَال التِي غَطَّت المَكَان.

سألَت إميلي نواف في طَريقِ العَودَةِ إلى النُّزُل: «مَاذَا ستَفعلُ الآن؟»، فأجَاب: «سَأخبرُ العَالَم بحِكَايَة جَدِّي المَلِك ليث الأول! سأحكِيهَا وسأثبتُ مِصدَاقيتَها بالرُّقعَةِ والصَّولجَان والعَصَا. عَليك أنْ تَعودي غَداً إلى كامبردج، بَقاؤك مَعي في الأيَّامِ القَادِمة قَدْ يُعرِّضُك للخَطَر. سأخبِرُك لاحَقاً بِمَا سأفعَل».

## ٢٣ يونيو – ٢٠١٥م. سكبتون، المملكة المتحدة.

استيقَظَ نواف صَبَاحاً بهَلَع بسَبَبِ صَوتِ قَرعٍ قَوي عَلى بَابِ حُجرَته. فَتحَ البَابَ بسُرعَة ليَجدَ إميلي في حَالة واضحة من الخَوف والتَّوتُر والدُموعُ تَملأ عَينيهَا! فطَلبَ مِنهَا الدُّخُول. ثُمَّ، أغلقَ البَابَ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأوصَدهُ ليَسألَها فَورَاً: «مَا الأمر؟»، نَاولتهُ هَاتفَها لينظُرَ مَا فيه، فوَجدَ نواف صَفحَةَ اليَوم في المَوقع الإلكترُوني لإحدَى الصُحُف الشَهيرَة في بريطانيا، وقَد وَضعَت صُورَتهُ وكَتبَت أسفَلَها: الشَّابُ العَربي المُشتبَهُ بِهِ في سَرِقَةِ مُتحَفِ فكتوريا آند ألبرت!

كَمَا ذَكرَ الخَبرُ أنَّ المُشتبَه بِه (نواف) كَانَ قَد حَاولَ اقتحامَ المُتحَف في وَقتٍ سَابق ليَسرقَ نَفس القطعَة المَسرُوقَة بَعدَ ادعَائه بأنَّهُ بَاحثٌ مُتخَصِّص ويَحتَاجُ لفَحصهَا بشَكل مُبَاشر، وقَد تَمَّ طَردُه مِنَ المُتحَف يَومَها. وأخيراً، ذَكرَ الخَبرُ بأنَّ المُشتبَهَ بِه هَاربٌ لكنَّهُ لَمْ يُغادر بريطانيا، لِذَا فَإنَّ السُلُطَات تَدعُو الجَميعَ للتَّعَاونِ مَعهَا بالإبلاغِ عَنه فَورَ التَّعرُّف عَليه!

جَلسَ نواف مُنهَارَاً عَلَى سَريره فيمَا كَانَ رَأسُهُ يَغلي مِنْ هَولِ مَا قَرأ. بَعدَ لَحظَاتٍ قَليلَةٍ مِنْ الصَّمت، قَالت إميلي:

- هَيا بِنَا!
- إلى أين؟
- لا يُمكنُ أنْ تَمكُثَ هُنَا أكثَر، سَيُفتَضحُ أمرُكَ بسُرعَة!
- لا يُوجدُ مَكانٌ آخَر أذهَبُ إليه.
- بَلى! أنَا أعرِفُ مَكاناً آخر!
- أين؟
- في مَزرعَة وَالدي المُجاورة لمَنزلنا يُوجَدُ كُوخٌ صَغير ومَهجُور، سَتختبئُ هُناك حَتى نَصل إلى حَلٍّ لهَذهِ المُعضِلة.
- لَكن..



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أرجُوك لا تَخذُلني! لا أريدُ أنْ أفقِدَك!
- حَسناً.

عَلى عَجَل رَتَّبَ نواف مَلابسهُ وحَاجياته في حَقيبَته وتَركَ النُّزُل بَعدَ أنْ دَفعَ حَسابَ الأيَّام التي قَضاهَا فيه نَقداً كَي لا يَتم استخدَامُ بطاقته المَصرفية في تَتبُّعه. كَمَا أغلَقَ خِدمَةَ الاتصال من هَاتفه كَيلا يَتمَّ تَتبعَ أمَاكن تَواجُده من خَلالِ أبرَاجِ الاتصَالات، وطَلَبَ مِنْ إميلي أنْ تَصلهُ بالإنترنت عَبرَ هَاتفهَا بالرَّبط اللاسِلكي.

في الطَّريق الطَويل إلى كامبردج كَانَ نواف يُحاوِلُ إخفَاءَ وجهه بأنْ يُدني قُبعتَه عَلى جَبينه، فيمَا كَانت إميلي تُمسكُ براحة يَده طوَال الوَقت. دَارَت برَأس نواف مِئاتُ الأفكَارِ التَعسَة، لكنَّ أكثَرَ مَا كَانَ يُقلقُه هُوَ أنْ يَعرفَ أهلُهُ في السعودية بخَبرِ الاشتباه به. إلا أنَّ مَا خَشيَهُ قَد حَدثَ بالفعل، فقد ضَجَّت شَبكاتُ التواصُل على شَبكة الإنترنت بهَذا الخَبَر، وانتَشرَ فيهَا كَمَا تَنتَشرُ النَّارُ اللاهبَة في الهَشيم اليَابس، حَتى وَصلَ الخَبرُ أخيرَاً لوَالده. قَبلَ الوُصولِ لمَحطَّة كامبردج بدَقائق، تَلقَّى رِسالَةً عَبرَ تَطبيق الدَردَشة من وَالده يَسألُهُ فيهَا عَن سَبب إغلاقه لهَاتفه وعَنْ حَقيقَة الخَبر المُتداوَل، وكَانَ رَدُّ نواف: «أبي، لا تَقلق. أنَا بخَير وسَأعودُ إليكُم قَريباً. أنَا لَمْ أفعَل مَا يُشين، بَلْ عَلى العَكس. أرجُو أنْ تُطمئنَ وَالدَتي. لا تُراسِلني الآن. سأتصَل بِكُمَا قَريباً».

وصَلَ نواف بمَعيَة إميلي إلى الكُوخ الصَّغير في مَزرعَة وَالدها البروفيسور جون والمُجاورة لمَنزله. تَأكدَت إميلي في البداية منْ وُجودُ البروفيسور خَارجَ المَنزل، ليتَجهَ الاثنانُ إلى الكُوخ الذي كَانَ رَثَّاً وبَدَا



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنَّ أحداً لَمْ يَدخله مُنذ سنين. طَلَبت إميلي مِنْ نواف أنْ يَبقَى في الكوخ ريثما تُحضرُ لَهُ بَعضَ الأغرَاض. وقَبلَ أنْ تُغادر، سَألتهُ إنْ كَانَ يَودُّ أنْ تُحضرَ لَهُ طَعامَاً مُعيناً، لكنَّهُ أجَابَ بأنَّهُ لا يَشعُرُ برَغبَة في الأكل. عَادَت إميلي بَعدَ سَاعَة وهِيَ تَجرُّ حَقيبةً وَضعَت فيها وِسادَةً وبَطَّانيةً وكَشَّافاً مَنوثياً وبَعضُ الفَواكِه والعَصَائر. أفرَغَت مَا في الحَقيبَة بصَمت. ثُمَّ جَلسَت بجِوارِ نواف وبادرتهُ القَول:

- أنَا وَاثقة منْ أنَّنَا سنَجِدُ حَلاً لِمَا نَحنُ فيه، اطمَئن.
- لَستُ قَلقاً عَلى نَفسي، فَأنَا قَد خُضت هَذه المُغامَرة وأنَا أعي جَيداً مَا قَد تؤولُ إليه عَواقبُها. أنَا قَلقٌ عَليكِ، أخشَى أنْ يُصيبُك مَكرُوهٌ بسَببي.
- لا تَخشَى شَيئاً! دَعنَا لا نَستَبقُ الأحدَاث ولنُفَكِّر مَليَّاً في مَخرَج يَضمَنُ ابعَادَكَ عَن أيَّة مُساءلَة قَانونية.
- أشعرُ بصُدَاع يمنَعُني مِنْ التَفكير. لَمْ أكُن أتوَقعُ أنْ تَتسَارَع الأحدَاثُ بهَذه الوَتيرَة.
- أنتَ مُرهَق، خُذ قِسطَاً منْ الرَّاحَة، وأرجُو أنْ تَأكُلَ شَيئاً. سأذهَبُ الآن إلى المَنزل قَبلَ أنْ يعودَ وَالدي، منَ المُؤكَّد أنَّهُ سَمِعَ بالخَبر وسيَشغَلهُ هَذا الأمرُ كَثيرَاً. سأذهَبُ بعدَ ذَلك إلى الكَنيسَة المَهجُورَة لأخبِّئَ الصَّولجَان والرُّقعَة، لا أظنُّ أنَّنَا يَجبُ أنْ نَحتَفظَ بهمَا هُنَا. قَد لا أستَطيعُ أنْ آتيَ إليكَ مَرَّةً أخرَى حَتى صَباح الغَد، لا أريدُ أنْ يَشكَّ وَالدي بوجُودكَ هُنَا. في المَساء استَعمل الكَشَّاف كمَصدَر للضَّوء، لا تُشعل مَصابيحَ الإنارَة. لَقد كَتبتُ لكَ في تلكَ الوَرقَة عَلى المنضَدَة البَيانَات



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللازمَة للاتِّصَال بالإنترنت عَبرَ مُوجِّه الشَّبكة في مَنزِلنَا، فبَثُّه يَصلُ إلى هُنَا.

- حسناً. اذهَبي الآنَ قَبلَ أنْ يَحضُرَ البروفيسور. لَكن لا تَأخُذي الصَّولجَان والرُّقعة، قَد أحتَاجُهمَا. ولا تَقلقي عَلي، سَأكونُ بخَير. سأحَاربُ الكَونَ لَو اضطَررتُ لذَلك، فَأنَا لَنْ أقبَلَ بأنْ أبعَدَ عَنكِ بَعدَ أنْ وَجدتُك!

ابتَسمَت إميلي ابتِسامَتها الخَجولَة، قَبلَ أنْ تُغادِر الكُوخ مُتَّجهَةً إلى المَنزِل.

أمضَى نواف لَيلَتهُ في الكُوخ، ويَبدو أنَّ الإعياء قَد تَمكَّنَ منه فَلم ينتَصف الليلُ إلا وهُوَ يَغطُّ في نَوم عَميق، وذَلك بَعدَ أنْ طَمأنتهُ إميلي مِنْ خِلالِ تَطبيقِ الدَّردَشة بأنَّها عَلى مَا يُرام.

## ٢٤ يونيو – ٢٠١٥م. كامبردج، المملكة المتحدة.

أفاقَ نواف من نَومه وهُوَ يَشعر بألَم في ظَهره بسَبب النَّوم الطَّويل عَلى الأرض. أخذَ هَاتفهُ من عَلى المِنضَدة ليَقرأ الرَّسائلَ الوَاردة في تَطبيقِ الدَّردَشة، فصُعقَ لوُجودِ عَشرَات الرَّسائل الوَاردة منَ البروفيسور جون يُطالبهُ فيها بأنْ يَتصلَ به للضَّرورَة القصوَى. شَعرَ نواف بخَوف بَالغ عَلى إميلي، وبعدَ تَردُّد لَم يَدُم طَويلاً، فَعَّلَ خَاصيةَ الاتصال في هَاتفه، واتصَلَ عَلى الفَور بالبروفيسور جون ليُفاجَأ به يصرُخ بهَلَع: «مَاذَا فَعلتَ بابنتي يَا نواف؟ لَنْ أغفرَ لَك لَو حَدثَ لَها أيُّ مَكروه!»، ليَرد نواف بسُرعة: «عَن مَاذَا تَتحدَّث؟ اهدَأ يَا جون وأخبرني



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَاذا حَدَث!». «لَقَد أتت فِرقَةٌ خَاصَة من الشُّرطَة البريطانية وألقَت القَبضَ عَليها! فَهمتُ مِنهُم أنَّ الأمر لَهُ علاقَة بالصَّولجَان المَسروق، وأنَّا واثِقٌ مِنْ أنَّكَ أنتَ مَن سَرقَه! مَاذَا فَعلتَ بإميلي؟ هَلْ أشركتَها مَعك فِي جَريمَتك هَذه؟» قَالَ جون، فَردَّ عَليه نواف: «اسمَع! لَن يَحدُثَ أيُّ مَكروه لإميلي، لَنْ أسمَحَ بذَلك. أيَنَ هِيَ الآن؟»، أجَابَ جون: «انَّها فِي مَركَز شُرطة العَاصمة فِي لندن حَيثُ يَتمُّ التَّحقيق مَعها!»، «حَسَناً. أخبرهم بأنْ لا حَاجَةَ لأن يُحدِّدوا مَوقِعي من خِلال مُكَالَمتكَ هَذه، لا حَاجَةَ لأنْ تَشيَ بِي مَرَّةً أخرَى يَا جون، أنَا ذَاهبٌ إليهُم بنَفسِي!» قَالَ نواف قَبلَ أنْ يُنهي المُكالَمَة ويُغلِق هَاتِفه.

انتهى الفصل الخامس عشر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الفصل السادس عشر والأخير

بَعدَ سُويعَات منْ مُكالَمة البروفيسور جون مَعْ نواف، كَانَ نواف يَقفُ أمَامَ مَركزِ شُرطَة العَاصمة الرَئيس في لندن. دَلفَ إلى المَركَز بكُلِّ ثقة وكبريَاء، وهُناك أفصَحَ عَنْ هُويته فتَمَّ القَبضُ عَليه. وبَعدَ عدَّة إجرَاءات قَانونية وطَويلَة تَمَّ أخذُهُ إلى غُرفَة التَّحقيق، وهُنَاك انتَظَر بِضعَ دَقائق قَبلَ أنْ يَدخُلَ عَليهِ المُحقِّقُ مُبتَسِماً وهُوَ يَقول:

- السَّيد نواف النائل، أهلاً! كُنتُ وَاثقاً مِنْ أنَّكَ ستَأتِي بنَفسِكَ إلى هُنَا.
- أينَ إميلي؟
- إميلي بخَير. وستَعتَرِفُ لنَا قَريباً عَنْ مَكانِ الصَّولجَان!
- هِيَ لا تَعرِفُ مَكانَه، ولا عَلاقةَ لهَا بالأمر!
- فعلاً؟ كاميرات المُرَاقبَة في المُتحَف تُظهِرُ أموراً تُخالفُ ذَلك! إميلي مُتورِّطَةٌ في هَذا الأمر مثلَك أو رُبمَا أكثَرَ منكَ يَا صَاح!
- اسمَع! أقسمُ بأنَّكم لَنْ تَمسُّوا الصَّولجَان مَرَّةً أخرَى، وأقسمُ بأنِّي سأفضَحُ هَذا الأمر برُمَّته للعَالم وأنَا مَعكُم هُنَا، إنْ لَمْ تُفرجوا عَن إميلي فَوراً وتُسقطوا عَنهَا كُلَّ التُّهَم!
- مَنْ تَظُنُّ نَفسَك؟ لَستَ في وَضعٍ يَسمَحُ لَكَ بوَضعِ اشتِرَاطَات!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أنَا نواف حَفيدُ ليث بن هنري الثاني! أعرِفُ نَفسِي جَيداً، وهَذا الصَّولجَان هُوَ صَولجَانُ جدي! بَقِيَ فَقط أنْ يَعرِفَ العَالمُ ذَلك!
- هَلْ اسمِّي هَذا تَهديداً؟
- نَعم! أفرِجوا عَنْ إميلي حَالاً!
- وإلا؟
- وإلا ستُشَاهدُ تَقاريرَ مُفصَّلَة عَنْ الصَّولجَان وحِكايته في كُلِّ قَنوات الأخبَار العَالميَّة خلالَ سَاعَة!
- هَلْ تَظنُّ فعلاً بأنَّنَا لَنْ نَعثُرَ عَلى الصَّولجَان؟
- بَلْ أنَا وَاثقٌ من ذَلك!
- حَسناً. لنَفترض بأنَّنَا أفرجَنا عَنْ إميلي وأسقَطنَا التُّهمَ عَنها. مَاذَا ستُعطينا في المُقابل؟
- نتَفاوَض بَعدَ أنْ تُفرِجُوا عَنها. لَنْ أجيبَ عَنْ أيَّة أسئلة أخرَى حَتَّى تُفرجُوا عَنهَا!
- حَسناً. أمهلني دَقائق لأرَى مَا يُمكِنُنَا فعلَه.

خَرجَ المُحقِّق منْ غُرفَة التَّحقيق، وغَابَ لأكثرَ منْ سَاعَة، ثُمَّ عَادَ إلى الغُرفَة بهُدوء وهُوَ يَحملُ هَاتفَ نواف الذي تَمَّ تَحريزُه أثنَاءَ القَبضِ عَليه، وجَلسَ أمَامَ نواف وقَال:

- هَلْ تَوَدُّ أنْ تَشرَبَ شَيئاً؟
- هَلْ أفرَجتُم عَنْ إميلي؟
- نَعَم! وستَكونُ في مَنزِلهَا خِلالَ دَقائق.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- هَلْ يُمكنُني الاتصَالُ بهَا للتَّأكُد منْ ذَلك؟
- لا. لَقد تَمَّت مُصَادَرَةُ هَاتفهَا، لكنهَا ستَتَّصلُ بِكَ عَبرَ هَاتفِ مَنزِل وَالدها لتُطمئنَك!
- سأنتَظرُ مُكالَمتَها إذاً!

وضَعَ المُحقِّقُ هَاتفَ نواف عَلى الطَّاوِلَة، وبَعدَ بِضعَةِ دَقائق رَنَّ الهَاتفُ فِعلاً، ليَرُدَّ نواف بسُرعَة:

- إميلي؟
- أهلاً نواف! هَلْ أنتَ بخَير؟
- دَعك مني أنَا بخَير، مَاذَا عَنكِ؟
- أنَا بخَير لا تَقلَق!
- أينَ أنتِ الآن؟
- أنَا في مَنزِلِ وَالدي، اطمَئن.
- هَلْ أسقطت عَنك التُّهَم؟
- نَعَم. لَقد تَأكَّدَ المُحامي منْ ذَلكَ فِعلاً.
- جَيد. سأتوَاصَلُ مَعكِ لاحَقاً، ولا تَقلقي فَكُلُّ شَيءٍ عَلى مَا يُرَام!
- سأنتَظِرُك، إلى اللقَاء.

أنهَى نواف المُكَالَمة فيمَا كَانَ المُحقِّقُ يَرمقهُ بنَظرَاتٍ حَادَّة قَبلَ أنْ يَسألَه:

- هَلْ يُمكِنُنَا التَّفَاوضَ الآن؟
- نَعم.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- طَلَبَاتُك؟
- الإفرَاج الفَورِي واسقَاطُ كُل التُّهم!
- مُقابِل؟
- سأعيدُ لَكُم الصَّولجَان!
- والرُّقعَةُ والعَصَا.
- هَاتَانِ القطعَتان هُمَا مِنْ مُمتلكاتِي. الرُّقعَةُ ورِثتُهَا عَنْ جَدِّي، والعَصَا عَثرتُ عَليهَا في دومة الجندل في السعودية!
- لا إفرَاج ولا اسقَاط للتُّهَم إلا في حَالِ سَلمتَنا الرُّقعَة والعَصَا. هَذا الأمر غيرُ قَابِلٍ للنِّقَاش!
- حَسناً.
- وهَاتفُك والكاميرا التي مَعَك!
- حَسناً.
- وستُغادرُ غَداً إلى السعودية!
- لا يُمكِنُكم تَرحيلي! لقَد كَانَ شَرطِي هُوَ إسقَاطُ التُّهَم كَأن لَمْ تَكُن!
- عَزيزِي نواف، لا تُسمِّه تَرحِيلاً. كُلُّ مَا في الأمْر هُوَ أنَّ وجُودُكَ في بريطانيا في هَذا الوَقت تَحديداً بَاتَ أمراً غَيرَ مُرحَّب به. يُمكِنُكَ القُدومُ لاحِقاً في حَالِ تَمَّ مَنحُكَ تَأشيرةَ زِيَارة!
- حَسناً.
- بالمُناسَبة، جَلالَةُ المَلِكَة تَشكرُكَ لحَلِّكَ لُغزاً أرَّقَ البَلاطَ المَلكِي البريطَاني كَثيرًا!
- العَفو. أرجُو في المُقابِل أنْ تُحافِظَ جَلالتُها عَلى صَولجَانِ جَدِّي ورِسَالتِه، اتلافُهُمَا قَدْ يُسبِّبُ لها إحرَاجاً ويُورِدُها مُشكِلات في



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المُستقبَل!

- هَل تُحاوِلُ تَهديدنَا مَرَّةً أخرَى؟
- عَزيزِي المُحقِّق، لا تُسمِّهِ تَهديداً. إنْ هِيَ إلا نَصيحَة!

غَادرَ نواف المملكة المتحدة في اليَوم التَّالي وِفقَ الاتفَاق بَعدَ أنْ سَلَّمَ السُّلُطات البريطانية الصَّولجَان والرُّقعَة والعَصَا. لَمْ يَتسنَ لَهُ الحَديثَ مَعْ إميلي كَمَا لَمْ يَسمَح لَهُ الحَرسُ المُرافِق بشِراءِ هَاتِفٍ جَديد.

في الطَّائرة كَانَ نواف يُواسِي نَفسهُ – رُغمَ الأسَى البَالِغ الذي يَشعرُ بِه – بأنَّ مَا فَعلهُ هُوَ إنجَازٌ يَجبُ أنْ يَفخرَ بِه.

لقَد كَانَ عَليهِ أنْ يُسلِّمَ الصَّولجَان والرُّقعَة والعَصَا ليُنقِذَ إميلي.

إميلي التي غَامَر هنري الثاني مِنْ أجلِهَا ووَافَقَ عَلى الشُّروطِ المُجحِفَة مِن وَالدتِه الإمبرَاطُورة فَقط ليُنقِذَهَا!

Telegram:@mbooks90

أحدَاثٌ مَكرورَة في أزمنة مُتباعدَة. كُلُّ تلك الأحدَاث في الحَاضر هِيَ تكرَارٌ لمَثيلاتِهَا في الزَّمَن الغَابر. لَو فَهمنَا ذَلك جَيداً، ورَبطنَا تلك الأحدَاث بِبَعضِهَا، لتَمكنَّا مِنْ تَخمينِ العَواقِب وصَيرورَة الأمُور.

## ٢٥ مارس – ٢٠١٦م. دومة الجندل، المملكة العربية السعودية.

في غَمرَة ازدِحَام شَديد دَاخلَ مَنزِلِ العَم محمد، طَلَبت زَوجَةُ العَم محمد من نورة (أم نواف) أنْ تَستريحَ قَليلاً، فهِيَ لَمْ تجلِس للحظَة مُنذُ الصَّباح نتيجةَ انهِمَاكِهَا في تَرتيبِ حَفلِ زِفَاف ابنِها نواف



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي سيُقَامُ الليلَة. إلا أنَّ نورة رَدَّت: «كَيفَ لي أنْ أستَريح؟ الليلَة هِيَ لَيلةُ زِفَاف ابنِي الوَحيد!»، ثُمَّ التَفتت إلى العَروس الخَجولَة بجوارِهَا واحتَضنتهَا وهِيَ تَقول: «سيتَزوجُ نواف أجمَلَ البَناتِ الليلَة، كَمْ هُوَ مَحظوظٌ بِكِ يَا إميلي!».

كَانَ نواف حينَهَا بجِوارِ وَالِده ليَتفقَّد التَجهيزَات في سَاحة مُلاصقَة لقَلعَة مارد، حَيثُ أصَرَّ نواف أنْ يُقيمَ حَفلَ زِفَافِه الخَاصَّ بالرِّجَال في ذَلِك المَكَان. سمِعَ نواف صَوتاً يُنادِيه:

- نواف!
- البروفيسور جون! أهلاً! كَيفَ كَانَت لَيلتُك؟
- كَانَت جَميلَةً جداً! الهَواءُ هُنَا نَقي والأجوَاءُ لَطيفَة.
- مَنْ أحضَرك إلى هُنَا؟
- خالد. النَّاسُ هُنَا في غَايةِ اللُّطف والشَّهامَة! لَقد أحبَبتُ هَذا المَكان كَثيراً!
- هُمْ كَذلك. مَا رَأيُكَ بهذه القَلعَة العَريقَة؟
- إنَّها قَلعَةٌ رَائعَة وسأقُومُ بدِرَاسَتِها عَنْ كَثَب. نواف..
- نَعم؟
- أوَدُّ أنْ أعتَذرُ لَك عَمَّا بَدرَ مني في لندن. أبلَغتُ السُّلُطَات عَنك خَشيةً عَلى نَفسي وعَلى ابنتي، ولَقَد أكَّدوا لي أنَّهُم لَنْ يَمسوكَ بسُوء. أرجُوك أنْ تُسَامحني، فقد كَانَ ذَلكَ تَصرُّفاً دَنيئاً مني!
- لا تَقُل ذَلِك. أنَا أتفَهمُ مَوقفك تَماماً يَا جون. دَعنَا نَنسَى مَا مَضَى.
- لَقَد فَعلتَ يَا نواف مَا خَشيتُ أنَا فِعلَهُ حِينمَا كُنتُ بعُمرِك.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لَقدَ تَحديتَ الجَميع ومَضيتَ لغَايتِكَ حَتى بَلغتَها. شَجاعَتُكَ أخجلَتني!

- لَمْ أكُن لأفعَل مَا فَعلت لَولاكَ يَا جون. مِنكَ تَعلمتُ التَّشفير، ومِنكَ أيضاً عَرفتُ حكايةَ المَلك هنري الثاني وزَوجُهُ إميلي. أنتَ كُنتَ ومَا زِلتَ وستَظلُّ أستَاذي وصَديقي، ووَالدُ زَوجَتي!
- شُكرَاً لَك، أنَا مُمتَنٌ لنُبلِك. أرجُو أنْ لا تَتأخرُوا بإنجَاب الأطفَال، فأنَا وَحيد وبحَاجَة لِمَن يؤنسُني!
- لا تَقلَق. سنمَلأُ مَنزلَك بالأطفَال حِينَ نَزورك في كُلِّ صَيف!
- هَلْ اتفَقتُم عَلَى اسم لابنِكُم الأوَّل؟
- نَعم. ليث!

في الليل كَانَ حَفلُ الزِّفَاف رَائعَاً، أُديَت فِيه الأغَاني الشَّعبيَة الرَّائعَة والرَّقصَاتُ الجَميلَة عَلَى الدُّفُوف وبالسِّيوف. عَمَّ الفَرحُ الجَميع وبخَاصة خالد الذي كَانَ بجِوارِ نواف طِوالَ الحَفل. وقبلَ أنْ يُغادرَ نواف المكَان، هَمسَ لخالد: «لابُدَّ أنَّ جَدتي إميلي مَدفُونَةٌ في مَكانٍ مَا قَريبٌ جداً مِنْ هُنَا. أُحسُّ أنَّها سَعيدَةٌ الليلَة، هَلْ تَشعُرُ بذَلك مِثلي؟»، أومَأ خالد برَأسِه إيجَابَاً، ثُمَّ أردَفَ وهُوَ يغمزُ بعَينِه: «اذهب لعَروسِكَ الآن فهِيَ بانتِظارِكَ مُنذُ مُدَّة! لا نُريدُ أنْ نُسعِدَ إميلي ونُغضِبَ أخرَى!».

مَا أنْ وَقعَت عَينُ نواف عَلَى عَروسِه إميلي في الحُجرَة التي كَانت تَنتَظرُهُ فِيهَا حَتَى أحسَّ برَجفَةٍ تَسري في جَسدِه لتَهُزَّ قَلبَه، فعَلَى الرُّغم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِنْ جَمالِها الذي لطَالَما أذهَلَ نواف وسَحرَه، كَانت إميلي ليلَتَها أجمَلَ مِنْ أي مَرَّة رَآهَا فِيها. بَدَت كنجمَةٍ لامَعةٍ تَحفُّهَا هَالَةٌ مِنَ السِّحرِ فِي ليلَةٍ حَالِكةِ السَّوَاد!

جَلسَ بجَانبِهَا وأمسَكَ بيَدِهَا ثُمَّ قَال:

- أخيرَاً يَا إميلي!
- نَعم.
- أشعُرُ بأنِّي أسعَدُ رَجُل عَلَى مَتنِ الأرض!
- وأنَا أيضَاً، أسعَدُ النِّسَاء. تَمنيتُ أنْ تَكتَمِلَ فَرحَتُنا بنَجَاح مُحاوَلاتِنَا الصَّيفَ المَاضي ليَعرِفَ الجَميع حِكَايَة إميلي زَوجَةُ المَلك هنري الثاني وابنُهَا ليث.
- آه! بخُصوصِ ذَلك..

أخرَجَ نواف هَاتفهُ وطَلبَ مِنْ إميلي مُشاهَدةَ مَقطَع مُسجَّل فيه (كَانَ المَقطعُ يُظهِرُ نواف فِي مَكانٍ مُظلِم بِه اضَاءةٌ مسلطةٌ عَلَى منضَدة أمَامَه وقَدْ وضَع عَليهَا الرُّقعَةَ والصَّولجَان والعَصَا، قَبلَ أنْ يَشرحَ بالتَفصيل حَكَايةَ كُلَّ قطعَة وطَريقَةَ استخدَامها، ويُطالبُ المُؤرخين وعُلمَاء الآثار فِي العَالَم مُسَاعَدتَه) ثُمَّ أخرَجَ نواف مِنْ جَيبِه قطعَةَ جلد صَغيرة عَليهَا بَعضُ الأحرُف – كَانَ قَد اقتصَّها مِنَ الرُّقعَةِ الأصليَّة قَبلَ أنْ يُسلِّمَها للسُلطَاتِ البريطانية – وأعطَاهَا إميلي التي قَالت بدَهشَة:

- مَتَى سَجَّلتَ هَذا المَقطَع؟
- سجَّلتُهُ فِي اللَّيلة التي أمضَيتُهَا فِي الكُوخ المُجاور لمَنزل جون، ثُمَّ رَفعتُهُ إلى الإنترنت عَبرَ حِسَابِي المُشفَّر فِي خِدمَةِ السَّحابَة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرَّقميَّة قَبلَ أنْ أمسَحهُ منْ هَاتفي. كَمَا اقتَصصتُ هَذه القطعَة منَ الرُّقعَة لأثبتَ للمُهتمينَ حَقيقةَ ادِّعائي في حَال أرَادوا التَثبُّتَ بفَحصهَا بالكَربون المُشع لمَعرفَة عُمرهَا. هَلْ كُنت تَظنينَ بأنِّي بَعدَ كُلِّ مَا فَعلنَاه، كَنتُ لأُسلِّمَ مَا عندي للسُّلُطات البريطانية دُونَ أنْ أترُكَ مَعي مَا يُثبتُ اكتشَافَنَا؟ لَستُ سَاذجاً لهَذا الحَد!

- هَلْ شَاهدَ المَقطَع أحدٌ غَيري؟
- لا. لَمْ يسبق أنْ شَاهدَهُ أحَد.
- لمَ لَمْ تُخبرني عَنهُ سَابقاً؟
- لأني كُنتُ أخطِّطُ لخُطوَتي القَادمَة، لَمْ أشَأ أنْ أشغلكِ حَتَّى تَتضحَ لي الأمُور.
- ومَاهيَ خُطوَتُكَ القَادمَة؟
- ستَرين، وسيَرى العَالَمُ بأسرِه!

انتهت الرواية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الإهداء

إلى كل الرجال العظماء في حياتي.

الرجال الذين صنعوا مني الرجل الذي ربما تعرفونه، وأحسب أني أعرفه.

على رأسهم والدي الدكتور أحمد بن حمود الروضان الشعلان، أعظم أب ومعلم على متن الأرض! أحمد الله أن كتب لي أن أكون ابنه وعضده.

وإلى أبي الروحي والرجل الذي أحتذي خطواته العلمية والعملية الدكتور عبدالله بن ثنيان الثنيان، رجل عظيم أكرمني الله أن صحبته وقربت منه.

وإلى معلمي ومرشدي البروفيسور كريس ميتشل، ومعلمي الراحل السيد فيليب جون لي، ومعلمي البروفيسور فرد بايبر.

وإلى أساتذتي العظماء إبان الدراسة في الجامعة: الدكتور محمد العبدالكريم، والدكتور خالد السبتي، والدكتور توفيق الربيعه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإلى أساتذتي العظماء إبان الدراسة في المدرسة: الأستاذ أحمد مرعي، والأستاذ رضا، والأستاذ محمد فريد، والأستاذ محمد عبدالجواد، والأستاذ محمد عبدالعال، والأستاذ عطاف، والأستاذ رياض.

وإلى كل أقاربي وأصدقائي الذين حباني الله أن حظيت بصحبتهم ورفقتهم ونهلت من معين نبلهم وشهامتهم وأخلاقهم وعلمهم. لن تفيهم كل كلمات الثناء حقهم وسيجف مداد الأحبار قبل أن تبلغ عبارات الامتنان رد جمائلهم. وددت لو أمكنني كتابة أسمائهم جميعا.

وأخيراً وليس آخراً، إلى الشاب الرائع فيصل الفارس، رحمه الله. لقيته مرةً واحدة أثناء حفل توقيع أحد كتبي في لندن، وكان شاباً يافعاً خلوقاً، بل أنموذجاً يُحتذى في الحصافة والثقافة والأناقة وحسن الخلق. إلا أني لم أحظى برؤيته مرةً أخرى، حيث توفِّي – رحمه الله– بعد لقائنا اليتيم بأشهر قليلة. أسأل الله أن يرحمه ويدخله فسيح جنانه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَاريخُ الإنسَان على مَتنِ هذا الكَوكبِ الهَرِم أقصَر بكَثير مِما نَتصوَّر.

كما أنَّ تَاريخَه مُترابِطٌ ومُتشابِكٌ ومُتراكِمٌ وحَكايَاتهُ مَكرورَة.

قَد تَبدأ حِكايةٌ فِي أقصَى الأرض، ولا تَنتهي فُصولُها إلا في أدنَاها، وبَعدَ ألفِ عَام!

تَماماً كَما حَدثَ في رِوَايتي هَذِه.

قَد يَصدِمُكَ أن تَعرفَ أنَّ جُلَّ الشَخصيَّات والوَقائع التَاريخيَة في الرِواية هي شَخصيَّاتٌ حَقيقيَة ووقَائعٌ موثَّقة. فالروايَة تَحكِي الحَقيقَة، كَما أعرفُها!

Telegram:@mbooks90

الرَّاوِي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner